شعر الموسوسين
في العصر العباسي

د. عبدالمجيد الإسداوي




الناشيء

شعر الموسوسين في العصر العباسي

دراسة نصية وصفية تحليلية

د. عبدالمجيد الإسداوي



رئيس التحرير

د. عثمان بن محمود الصيني

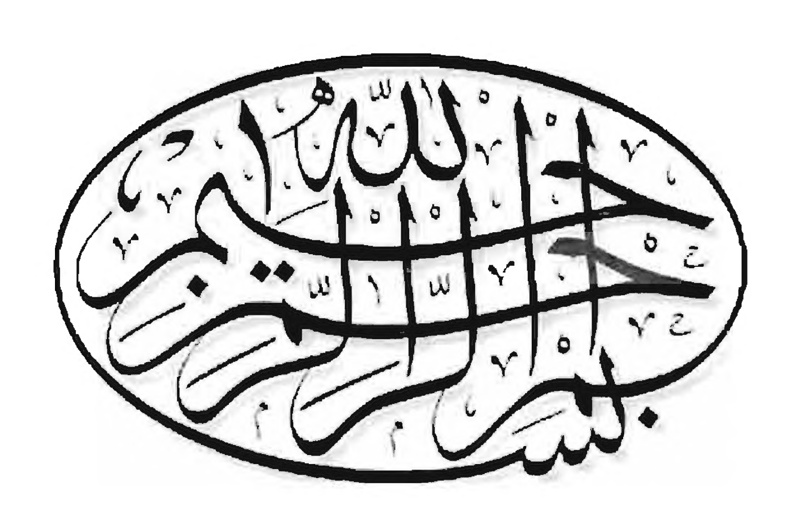
الرياض - طريق صلاح الدين الأيوبي (الستين) - شارع المنفلوطي

هاتف: **4778990** - **4779792** فاكس: **4766464**

ص.ب **5973** الرياض **11432**

المملكة العربية السعودية

www.arabicmagazine.com - info@arabicmagazine.com


بسم الله الرحمن الرحيم

ح المجلة العربية، 1434هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الأسداوي، عبدالمجيد

شعر الموسوسين في العصر العباسي: دراسة نصية وصفية تحليلية. / عبدالمجيد الأسداوي- الرياض، 1434هـ

272 ص، 21x14 سم

(كتاب المجلة العربية؛ 198)

ردمك: 1_97_8086_603_978

1 - الشعر العربي - العصر العباسي 2 - الموسوسة أ. العنوان ب. السلسلة

ديوي 811.5 1434 /4643

رقم الايداع: 4643/ 1434

ردمك: 1_97_8086_603_978

المحتوى

المحتويات

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

«قل أعوذ برب الناس، ملك الناس، إله الناس، من شر الوسواس الخناس، الذي يوسوس في صدور الناس، من الجنة والناس»

(سورة الناس)

وبعد:

فموضوع هذا البحث هو (شعر الموسوسين في العصر العباسي دراسة نصية وصفية تحليلية) تدلف إلى النصوص الشعرية، موضع الدرس مباشرة، تستنطقها، وتحاول ترويضها، واسترفاد معالم فنيتها، من خلال التواصل مع عطاءاتها الممتدة، عبر الزمان والمكان، دون التعريج، إلا نادراً، على المرويات، والأخبار التاريخية، وما يتصل بها، مما نقلته المصادر والمراجع المعنية في تأريخها، وكشفها النقاب عن جوانب من حيوات هؤلاء الشعراء وإشاراتها إلى أشعارهم، وبعض قضاياها وخصائصها الفنية.

ويسلك الباحث، في هذا البحث قواعد (المنهج الوصفي التحليلي)، الذي يدرس الظاهرة الأدبية من نواحيها المختلفة، مع الاستفادة ما أمكن، من بعض نتائج (المنهج النفسي)، الذي يربط بين الأديب من جهة، وبين حاجاته، ودوافعه، وسلوكه، من جهة أخرى.. وقد دفعتني طبيعة البحث إلى تقسيمه لقسمين رئيسين متكاملين، أولهما: يعنى بدراسة مضامين شعر هؤلاء الشعراء، والآخر يختص بدراسة تشكيله الجمالي.

وقد صدرت القسم الأول، من هذين القسمين بوقفة متأنية مع (الوسوسة)،

وأخـرى مع الشعـراء الموسوسـين في العصـر العباسي.. وحاولـت في الأول استيضـاح معـالم الطريـق للبحث، بسـبر أغوار معنـى (الوسوسـة) في اللغة، والاصطلاح، من خلال استقراء ما تيسر لي من المصادر والمراجع المعنية القديمة والمعاصرة..

وأشـرت في الوقفة الثانية إلى خلاصة الأخبار، والمرويات التي تناقلتها كتب التاريـخ والأدب، ونحوها، عن حيوات هـؤلاء الشعراء، وبخاصة فيما يتصل بإصابتهـم بالوسوسة، أو نسبتهم إليها.. وفي دراستي مضامين شعرهم قسمته ثلاثة أقسـام متكاملة ومتداخلة، بدأتها (بالبوح الذاتي) الذي قصدت به صدى أحاديـث الشعراء عن أنفسهـم، في تأملاتهم، وتعمقهـم بذواتهم، وكشفهم النقـاب عما قـد يختلج بها مـن أحاسيس ومشاعر متباينـة، تواكب مواقفهم الإنسانية والأدبية التي عايشوها..

وبعد هذا القسـم من مضامين شعرهم درست شعرهـم الاجتماعي، وشعر الطبيعـة، محاولاً الإجابة عن سؤال راودني كثيراً عن مدى تأثرهم، في مضامين شعرهم بما أصيبوا به، أو نسبوا اله من علة، أو مرض..

وفي دراستي تشكيلهم الجمالي في شعرهم وقفت قليلاً عند وحدات النصوص الشعريـة في أشعارهم، منتقلاً منها إلى دراسـة موسيقاها، من خلال ما أسميته (الايقاعية)، وقد تفرعت، في هذا البحث، إلى دراسة أوزانهم، وقوافيهم، وما واكبهمـا، وما نتج عنهمـا من روافد الموسيقى الداخليـة المعروفة في دراسات القدماء والمعاصرين.. مختتماً بالوقوف عند بناء لغة شعرهم وصوره الفنية، مذيلاً بقائمة المصادر، والمراجع، التي استفدت منها في إعداد هذا البحث.

والله الموفق والمستعان..

الفصل الأول

الوسوسة في الفكر القديم والمعاصر

الوسوسة (بوزن: الفعللة)، والوسواس، والوسواس (بوزني: الفعلال، والفعلال، وبفتح الواو الأولى، وكسرها، مع فتح الواو الأخرى، وتسكين السين فيهما): مصدر رباعي من الفعل اللازم: (وسوس: يوسوس).. وتجمع على (الوساوس) بوزن: (فعالل)، و(الوساويس)؛ بوزن (فعاليل) ويشتق منها اسما الفاعل: (الموسوس)، والمفعول: (الموسوس) له، أو إليه، وهو الذي تلقى إليه الوسوسة[1]

وقد جاءت كلمة (الوسواس) بمعنى صوت الحلي، والهمس، والإلقاء الخفي على لسان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس، ت 7هـ)[2]:

---

(1) ينظر بالتفصيل:
تفسير مجاهد، 2/ 797، وديوان الأدب، 671، والصحاح (وسوس)، 3/ 988، وتلخيص البيان، 366 – 367، ولطائف الإشارات، 3/ 787، والمفردات، 522، والكشاف، 4/ 823، والجامع لأحكام القرآن، 30/233 –236، ولباب التأويل، 7/ 325، والبحر المحيط، 10/ 578 – 579، ومعالم التنزيل، 7/ 325، والتفسير القيم، 600– 601، والتفسير الكبير، 4/ 593، 32/197، والقاموس المحيط، (وسوس)، 748، ولسان العرب، (وسوس)، 15/ 293، والدر المنثور، 8/ 693، والميزان، 20/ 397، والمعجم الوسيط، (وسوس)، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم 2/ 1179، والمعجم الأساسي، (لا روس)، (وسوس)، 1309، ومعجم السمع والمسموعات، 102.. وفي (الجامع): نقل القرطبي قول الفراء (أبي زكريا يحي بن زياد الديلمي، ت 207ه): (وهو بفتح الواو (الوسواس) بمعنى الاسم؛ أي (الموسوس)، وبكسر الواو (الوسواس) بمعنى المصدر: (الوسوسة).. وفي (الكشاف) قال الزمخشري: (الوسواس: اسم بمعنى (الوسوسة)، وأما المصدر فوسواس، بالكسر كالزلزال، والمراد به الشيطان؛ سمي بالمصدر، كأنه وسوسة في نفسه؛ لأنها صنعته، وشغله، الذي هو عاكف عليه، أو أريد ذو الوسواس).. وفي (معالم التنزيل) قال البغوي: (الوسواس: الشيطان مصدراً واسماً.. وقال الزجاج (أبو إسحاق إبراهيم بن السري النحوي، ت 311ه): الشيطان ذو الوساوس).. وفي كتاب (الوسوسة الأسباب والآثار والعلاج، ص7–8، قال مؤلفه: (وسوس إذا تكلم بكلام لم يبينه، والوسوسة: حديث يلقيه الشيطان في قلب الإنسان، وقيل: هي القول الخفي لقصد الإضلال من (وسوس) إليه، و(وسوس) له؛ أي: فعل الوسوسة؛ لأجله، وقيل: (الوسوسة) من جنس (الوشوشة)، يقال: فلان يوشوش فلاناً، وقد (وشوشه): إذا حدثه سراً في أذنه، وكذلك (الوسوسة) التي يلقيها الشيطان في أذن من يوسوس له، وهي مبادئ الإرادة، وأصل كل معصية، وبلاء، إنما هو (الوسوسة)..)

(2) ديوان الأعشى، 91.. والعشرق: شجر كثير الثمر، ثمرة كحب الزبيب، طيب المذاق، والرائحة، كانت العرائس تستعملنه، إذا حركته الريح سمع له صوت.

تسمع للحلي وسواساً إذا انصرفت

كمـــا اســـتعان بريح عـــشرق زجل

كما ورد فعلها الماضي (وسوس) في القرآنً الكريم مرتين، إحداهما ترتبط بالشيطان الرجيم ذي الوساوس، وقد أضمر سوءاً لآدم وحواء..

والأخرى: ترتبط به (لعنة الله) أيضاً، ولكن مع تخصيص وسوسته لآدم فقط.

أما فعلها المضارع (يوسوس) فقد جاء، في الذكر الحكيم، مرتبطاً بحديث النفس، والهوى والأفكار والهواجس التي تراودها..

كمـــا جاء الفعـــل نفسه (يوسوســـ)؛ أي: يلقـــي كلاماً خفيـــاً عن طريق الشيطان الخناس[1]، أو الإنسان والجان الشبيهين به، في أقصى أذن السامع، فيلفتانـــه عن الرشاد، ويصرفانه إلى الضـــلال.. وذلك مما نلحظه عند قراءتنا آيات سورة (الناس).

وفي الوقت نفســـه يطالعنا جلال الدين السيوطي (ت911هـ) بدعاء ورد علـــى لسان المصطفـــى (صلى الله عليه وآله وسلم) يقـــول فيه: (اللهم اعمر قلبي من وسواس ذكرك، واطرد عني وسواس الشيطان..)[2]

والظاهر من فحوى هذا الدعاء أن الرسول الكريم (عليه الصلاة والسلام) قد قصد بوسواســـ الذكر مجيئه خفي الصوت، مهموساً، يصل مفهومه إلى القلب، من غـــير سماع صوت.. أما وسواس الشيطان فلعله حديثه بالشر، والإثم، وما لا نفع فيه، ولا خير..

---

(1) سورة الأعراف، الآية: (20).

(2) سورة (طه)، الآية: (120).

ويرتبط بالمعنى الذي قصده النبي الكريم في صدر دعائه ما أشار إليه رؤبة بن العجاج التميمي (ت145هـ)، بقوله، يصف جانباً من أحوال أحد الصائدين، في لجوئه إلى الله (تعالى) يدعوه؛ ضارعاً إليه بصوت خفي، يسر به، خشية افتضاح أمره، وضياع ما يؤمله من عمله[1]:

وسوس يدعو مخلصاً رب الفلق

سراً وقد أون تأوين العقق

واتجه بعض العرب إلى عقد شبه ملازمة معنوية بين كل من (الوسوسة)، وبين ما يلاحظ من اختلاط الكلام، والدهشة التي تنتاب بعضهم، في بعض المواقف الحرجة المفاجئة.. ومن ذلك ما نستنبطه من قول عثمان بن عفان (رضي الله عنه) (ت35هـ): (لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسوس ناس، وكنت فيمن وسوس)[2].

أما الفضل بن العباس اللهبي (أحد شعراء القرن الأول الهجري) فقد مال إلى تضمين (الوسواس) معنى الحيل الباطلة، والأكاذيب والضلالات المغوية، وذلك ما نلحظه في إنشادنا خطابه الشعري، الذي توجه به إلى أحد خصومه قائلاً[3]:

---

(1) سورة (ق)، الآية: (16).

(2) وقد نظم الشيخ عبدالعزيز الديريني (ت 694هـ) هذا المعنى، وما يتصل به، بقوله:

وصاحب الوسواس من يوسوس — من الشيطان وطوراً يخنس

خنوسه تأخر الوسواس — بالذكر وهو غالب للناس

ثم الشياطين من الجنسين — جن وإنس فاحذر الصنفين

(التيسير في علوم القرآن، 161)...

(3) الدر المنثور، 8/ 693 - 694.

يا عمرو حسبك من خدع ووسواس

فاذهب فليس لداء الجهل من آسي

وذهب غيره من اللاحقين إلى عقد مماثلة معنوية بين كل من (الوسوسة)، من جهة، وبين بعض العلل النفسية والأمراض العقلية، التي يختلط فيها الذهن، ويزول تركيز العقل، أو يضطرب، من جهة أخرى.. ومن هؤلاء ابن الرومي (علي بن العباس، ت 284هـ) الذي يطالعنا ببيتين هجا بهما عبدالله الناشئ الأكبر (ت 293هـ) يقول فيهما[1]:

يرجف القرد بأني

زائل العقل موسوس

إن أوسوس فحقيق

بسعد القرد وأنحس!!

أما محيي الدين ابن عربي (ت 638هـ) فقد راح يضيف (الوساويس) إلى (الظنون)، بكل ما تحمله هذه الإضافة من دلالات، قائلاً[2]:

دع الظن واعلم أن للظن آفة

وقوفك حيث الظن والظن متهم

فشرد وساويس الظنون بلمحة

من الكوكب العلمي إن كنت تحترم

وتقدم بركات بن زين الدين المكي خطوة أخرى في الوقوف على معاني

---

(1) ديوان رؤبه، 107.

(2) المعجم الوسيط، (وسوس).

(الوسوسة)؛ وذلك بتضمينها معنى ذهاب العقل واستلابه، وفقدان الذهن، بكل ما يصاحبه من شرود، وذهول، مخاطباً بعض أحبته، وخلانه بقوله[1]:

يـا مـن بذكراهم قد زاد وسـواسي
ومن شـغلت بهم عن سائر الناس

ومـن تقـرر في قلبـي محبتهـم
وجئتهـم طائعاً أسـعى على راسي

وفي الاتجـاه نفسه، تقريباً، راح برهان الديـن القيراطي يربط بين كل من (الوسوسـة)، وبين المبالغـة والإغراق في التشـكك، والاستسلام لسلطان الهواجس، عند النظر إلى الأمور، بقوله، يصف أحد الموسوسين، وقد غلبت عليـه الوسوسة؛ فنهض للوضوء، والطهارة وكلـه دأب على معاودة عمله، مستقلاً كميات المياه المتاحة له، ومستصغراً ما تكتنزه البحار من مياه[2]:

وموسـوس عنـد الطهـارة لم يزل
أبـداً عـلى المـاء الكثـير مواظبـا

يسـتصغر البحـر الكبـير لذقنـه
ويظـن دجلـة ليس تكفي شـاربا

ونلاحظ، في تأملنا بهذه النصوص الأربعة الأخيرة ونحوها ميل أصحابها إلى عـد (الوسوسـة) مرضـاً نفسياً، أو عقليـاً، يصيب المـرء، فيجعله فاقد التوازن، والإدراك، والوعي؛ بسبب ما ينتابه من هواجس، وظنون تأخذه،

---

(1) ديوان الفضل اللهبي، 29.

(2) ديوان ابن الرومي، 3/ 1196- 1197.

أخذاً فتلقي به إلى دركات التشكل، وانعدام الرؤية الصحيحة للأشياء.

أما أسباب الوسوسة، فإننا نقف على جوانب منها بمطالعة الحديث الشريف، الذي رواه عبدالله بن مغفل المزني (رضي الله عنه) (ت 60هـ) (عن النبي صلى الله عليـه وآله وسلم) محذراً بقوله: (لا يبولن أحدكم في مستحمه، ثم يغتسل فيه).. قال أحمد (ت 241هـ): (ثم يتوضأ فيه؛ فإن عامة الوسواس منه)[1].

وإضافة إلى هــذا العامل – يطالعنا الإمام موسى الكاظم (رضي الله عنه) (ت 183هــ) بتحديد أربعة أشياء تؤدي إلى الوسوسـة، أو تواكبها، وهي: أكل الطين، وفت الطين، وتقليم الأظفار، وأكل اللحية[2]..

أما الإمام عبدالوهاب الشعراني (ت 973هـ) فيرى أن أصل الوسوسة من ظلمة الباطن، وأصل ظلمة الباطن من عدم الورع في اللقمة؛ فمن تورع في اللقمة ضمنت زوال الوسواس[3].

وفي الوقــت نفسه قسم أبو حامد الغزالي (ت 505هـ) أصناف الوسوسة ثلاثــة أصناف، أولها مــا يكون من جهة التلبيس بالحــق، وثانيها ما يكون وسواسـه بتحريك الشهـوة، وهيجانها، والآخر ما يكـون وسوسة بمجرد الخواطر، وتذكر الأحوال الغالبة والتفكر في غير الصلاة مثلاً[4]..

وكشف موفـق الدين الجماعيلي (ت 620هـ) النقــاب عن بعض أحوال

---

(1) ديوان محي الدين ابن عربي، 442.

(2) نسمة السحر، 433/2.

(3) خزانة الأدب للحموي، 2/ 334، والكشكول، 474.

(4) المسند، 6/ 45، الحديث رقم (20046)، وسنن أبي داود، كتاب (الطهارة)، 7/1، الحديث رقم (27)، وسنن ابن ماجة، الحديث رقم (304)، وسنن النسائي، بشرح السيوطي، 34/1..

طوائف من الموسوسين، الذين (تحققت منهم طاعة الشيطان، حتى اتصفوا بوسوسته، ونسبوا إلى قبول قوله، وطاعته، وخاصة فيما لا غنى عنه في الوضوء، ومواكلة الصبيان، وأكل طعام عامة المسلمين، ونحو ذلك، متقبلين قول إبليس في تعذيب أنفسهم، مطيعين في الإضرار بأنفسهم، بأجسادهم، بالغوص في الماء البارد، تارة، وتارة أخرى بكثرة استعماله، وإطالة العرك، مبالغة، وربما فتح بعضهم أعينهم في الماء وغسلوا داخلها، حتى يضروا أبصارهم، وربما أفضى بعضهم إلى كشف عوراتهم للناس، وربما صار بعضهم إلى أحوال يسخر منهم الصبيان، ويستهزئ به من يراهم فيها.. ومنهم من يتوسوس في إخراج الحروف حتى يكرر الحرف الواحد مرتين، أو ثلاثاً[1]).

ومن جهة أخرى نلحظ -عند مطالعتنا جوانب من تناول بعض القدماء للوسوسة، والموسوسين- مدى حرصهم على الخلط بين كل من الجنون والوسوسة، وما يتعلق بهما، ومن أوائل الذين ربطوا بين أصحاب هذين الفريقين، من المرضى: أبو عثمان الجاحظ (ت255هـ)، الذي أفرد جانباً من أحد كتبه للحديث عن (المجانين، والموسوسين، والنوكي)[2]..

---

(1) بلاغة الإمام موسي الكاظم، 274، 287.

(2) لطائف المنن، 554.

وفي حديثه عن أبي حية النميري (ت 183هـ) قال إنه (كان أجن من جعيفران (الموسوس، ت230هـ)[1].

وواكبه أبو العباس المبرد (ت284هـ) الذي نقل عن الأصمعي (ت 216هـ) وصفه لقيس بن معاذ المعروف بالمجنون (ت68هـ) بقوله: «لم يكن مجنوناً، وإنما كانت به لوثة كلوثة أبي حية»[2].

وفي ترجمته لأبي حيان الموسوس ينقل ابن المعتز (ت296هـ) عن طاهر بن محمد الأهوازي قوله: «رأيت أبا حيان الموسوس.. وكان موسوساً، آخر عمره، وكان يخلط في الكلام..»[3].

وعقد أبو الطيب الوشاء (ت 325هـ) باباً في كتابه (الفاضل) جعل عنوانه: (باب البلاغة من المجانين ومأثور حكم الموسوسين)[4]، ونقل، في إحدى صفحاته، عن بعض الأدباء قوله لقديس الذي يصفه بقوله: «كان ذاهب العقل موسوساً»[5].. وفي وصفه لصباح الموسوس يطالعنا بسؤال يقول فيه: «من يجئ بقينة بين يدي مجنون موسوس»[6]؟!..

ومواكبة لهذا وذاك يطالعنا ابن عبد ربه (ت 328هـ) بحديث عن (شعر المجانين)[7] نتأمل في أسماء المشار إليهم فيه؛ فنلاحظ ميله إلى الجمع بين أصحاب هذين الفريقين من المرضى وهم المجانين والموسوسون..

---

(1) إحياء علوم الدين، 8/ 78 79.

(2) ذم الموسوسين، 3336.

(3) البيان والتبيين، 225/2، وما بعدها..

(4) البيان والتبيين، 2/ 229.. وينظر أيضاً: العقد الفريد، 7/ 157، والمذاكرة في ألقاب الشعراء، 252- 253.

(5) الكامل، 1/ 254، ومصارع العشاق، 13/2، والمذاكرة، 252 - 253..

(6) طبقات الشعراء، 384- 385 .

(7) الفاضل في صفة الأدب الكامل، 252- 259.

أما أبو القاسم ابن حبيب النيسابوري (ت 406هـ) فقد عقد كتاباً من كتبه، جعل عنوانه (عقلاء المجانين)، مستهلاً إياه بتعريف (المجنون) عند الناس، وعند أهل الحقائق، وعند أهل اللغة[1]، مضمناً إياه تراجم متواترة لكل من نسبوا إلى كل من الجنون، والوسوسة.. وفي مقدمتهم جعيفران وماني الموسوسان[2].. إضافة إلى كل من جساس وصباح، وعفان وقديس[3].. وغيرهم ممن شهروا بالوسوسة.. مسجلاً، في تراجمه لهم، ما يدل على وصف كل منهم بهذه الصفة.

ومثل ذلك ما سلكه كل من صلاح الدين الصفدي (ت764هـ)[4] وابن شاكر الكتبي (ت764هـ)[5]، في حديثهما عن بهلول بن عمرو (ت190هـ)؛ بقولهما: «.. ابن عمرو المجنون من أهل الكوفة، وكان من عقلاء المجانين، ووسوس..».

أما ابن تغري بردي (ت 874هـ)، فقد نقل مضمون هذه المقولة الأخيرة، بشأن بهلول نفسه قائلاً: «تشوش عقله، فكان يصحو في وقت، ويختلط في آخر، وهو معدود من عقلاء المجانين»[6]..

أما في الفكر العلمي الحديث والمعاصر[7] فإن علماء الطب النفسي يطلقون على هذا المرض (الوسوسة) اسم (العصاب الوسواسي القهري)،

---

(1) الفاضل، 253..

(2) الفاضل، 257.

(3) العقد الفريد، 157/7، وما بعدها..

(4) عقلاء المجانين، 18، 22، 30 – 31، 42 – 43.. وغيرها..

(5) عقلاء المجانين، 152 – 155، 121 – 125..

(6) عقلاء المجانين، 158، 144، 147، 118 – 119.. وغيرها..

(7) الوافي بالوفيات، 10/ 309– 313..

أو (عصاب الحصار)، قاصدين بهما تلك الفكرة، أو الأفكار، أو العواطف الشـاذة المتسلطة المفروضة، جبراً، على المريض، تلازمه، وتعاوده، دون أن يستطيـع طردها، أو التخلـص منها، على الرغم من شعـوره بها، وإدراكه مدى غرابتها، وعدم واقعيتها[1]..

وتسمـى الشخصيـة التي لديها هـذا الاستعـداد للمرضـ (الشخصية الوسواسيـة القهريـة)، ومـن أهـم سماتها: الشـك، والـتردد، والجمود، والتزمت، والاستحواذ، والبخل، وانعدام الثقة في الآخرين، والدقة والحذر في المناقشـات الموصوفـة بـ(السوفسطائية)، والموسوعيـة، والتمركز على الـذات، وصعوبة التكيف، أو التوافق مع من حولـه.. إضافة إلى التحلي، أحيانـاً، ببعض مظاهر الفضيلة، والتشكك بالطقوس، والتظاهر بالكمال، مع مزيد من القلق، والتوتر[2]..

وتقـوم الوساوس المرضـية بشل حـركات الفرد المصـاب بالوسوسة، مجـبرة إياه على الفعل، أي فعـل، بطريقة من شأنهـا أن تقلل من مفعولها، قدر الإمكان[3]

وتظهـر الوساوس، عادة، في صورة أفكار مشحونة بقوة انفعالات؛ لذا فإنـه يوجد ما يسمـى بالوساوس العقلية كالمشغوليـة الذهنية على الدوام،

---

(1) فوات الوفيات، 1/ 228- 231..

(2) النجوم الزاهرة، 2/ 141..

(3) ينظـر بالتفصيـل: ذخيرة علوم النفـس، 970- 971، وموسوعة علم النفـس والتحليل النفسـي: د. فـرج عبدالقادر طه وزمـلاءه، 845- 846، وموسوعة علم النفس والتحليل النفســي: د. عبدالمنعم حفني، 2/45.. والمعجم الموسوعي في علم النفس، 6/ 2745، 2746، والطب النفسـي المعاصر، 137140، والصحة النفسية والعلاج النفسـي، 433، ومبادئ الصحة النفسية، 432 – 436، ومصادرها..

بمسألة فيزيقية، إضافة إلى الوساوس الكافة، أو الكابحة، المركبة مثلاً من الشكوك والحيرة، أو الارتياب، والمخاوف، وتتبع ذلك الصنف من الوساوس المخاوف، والألم المستحدث، والتسمم..

أما الوساوس الاندفاعية، فتقترن لدى صاحبها، بترضية مرضانية أو وبيلة بالفعل، مركبة مما يسمى (التهوسات) مثل هوس العد، وهوس الشراب، وجنون السرقة، وهوس ترديد اسم معين.

وقد تظهر الوساوس بصورة مشاعر من غير أية أفكار قاطعة، كالقلق، ومشاعر عدم الكفاءة، وانعدام الشخصية[1].

ويؤدي العامل الوراثي دوراً هاماً في نشأة الوسواس القهري، متداخلاً مع العامل البيئي، الذي يحيط بالفرد، فيسبب له تلك المشاعر المرضية، والهواجس القهرية[2]..

وقد يحدث الوسواس القهري على حين غرة، ودون أن يكون للامتثال الذي يفرض نفسه على الفكر أية علاقة بالوضع، أو بشيء من الأشياء الحاضرة، هذا العنصر الطفيلي، الذي لا يقاوم، يمكنه أن يكون فكرة، عبثاً، أو شكاً، أو هاجساً (وساوس عقلية أو فكرية) أو رغبة في إنجاز فعل مضحك، عدواني، أو مدنس: (وساوس اندفاعية/ اندفاعات)، أو خوفا من عمل، أو وضع، أو شيء حاضرين بصورة غير مادية (وساوس كافة)[3]..

---

(1) مبادئ الصحة النفسية، 432433.

(2) الطب النفسي المعاصر، 139– 140.

(3) ذخيرة علوم النفس، 971.

وينتاب المريض الذي يعاني من الوسواس، عادة، عدد من أفكار الوسواس من الجراثيم، والقذارة، والعدوان، تجاه الآخرين.. وقد تأخذ هذه الأفكار صورة الأفكار المجردة التي تتضمن، غالباً، الموضوعات ذات البعد الفلسفي، أو الديني، وغالباً ما نلحظ أفكار وسواس من أفعال عنف نحو الآخرين، أو نحو الذات، حيث يعاني المريض بوسواس الخوف من أخطار يتهيأ له حدوثها بين لحظة، وأخرى[1]، إضافة إلى شعوره المتزايد بالألم، الذي ينهك قواه، ويستنفذ جوانب من طاقاته الإبداعية[2].

وقد أجمل الباحثون[3] أعراض العصاب القهري، أو الحصاري في اتسام شخصيته بالمبالغة في النظافة، والنظام، وحيوية الضمير، والحذلقة، وعدم التأكد، وعدم وجود رأي قاطع في الفكر، والعمل، والاهتمام بتجميع الأشياء، والتناقص الوجداني، والشك، والاعتماد الانفعالي الخفي على الغير، والشعور بعدم الكفاية، والأحكام الذاتية الفظة، والمثالية، والتصنع، والكف الانفعالي، من حيث الإدراك والاستجابة، والاهتمام التام بالجزئيات، وشدة الارتباب، والحيرة البالغة، والشح، والتشاؤم، والمماطلة، والشعور الذاتي الحساس، والخجل، والعناد، وعدم القدرة على اتخاذ قرار، والخوف من التغير، وتجنب المواقف الجديدة غير المألوفة.. ونحوها.

ونلاحظ -في تأملنا بدلالات الصفحات الأخيرة السابقة- مدى

---

(1) الطب النفسي المعاصر، 138.

(2) المعجم الموسوعي في علم النفس، 6/ 2745..

(3) الطب النفسي، 225 – 226.

انسجامهـا مع مثيلاتها، مما أوردناه، في صدر هذه الدراسة، بصدر تعريف (الوسوسـة) في الفكر العربي القديم، إضافة إلى ما تزعت إليه روح البحث العلمي الحديـث، والمعاصر من تفصيل، وربط الجانبين النظري بالتطبيقي؛ مما يعـد -في نظري- مكملاً لما أصله القدماء مـن غرس، وصالحا لدراسة صفحات من شعرنا العربي القديم في ضوء نتائجه..

الفصل الثاني

مع الشعراء الموسوسين في العصر العباسي

عرف العصر العباسي عدداً غير قليل من الشعراء الموصوفين، أو المنسوبين إلى (الوسوسـة)، مفردة، أو مجتمعة مع الجنون، وهم الشعراء الذين أشارت بعض المصادر والمراجع إلى جوانب شتى من أخبارهم، التي تؤكد جانباً ما، من إصابتهم بالوسوسة.. وممن تيسرت لي الإشارات إلى جوانب من سيرهم (حسب الترتيب الهجائي):

أحمد بن عبدالسلام:

وهو شاعر عباسي لم تتيسر لي ترجمته، غير ما رواه ابن المعتز، بسنده، عن محمد بن عبدالله الطرطوسي من أنه رأى أحمد بن عبدالسلام (هذا)، وماله ثان بمدينة السلام/ بغداد، في قول الشعر، ولم يكن له فيه أمل، وما زال فقيراً إلى أن مات، ووسوس في آخر عمره؛ فرآه والصبيان يصيحون به: يا كاتب الشريطي؛ فيخرق ثيابه، ويحلف ألا يخرج من داره[1]..

برذعة الموسوس:

شاعـر عباسي لم تتيسـر لي معرفة اسمـه ونسبه، ولا جوانـب من سيرته وشعره، عدا ما ذكـره أبو عبيد الله البكري (ت487هـ)، بسنده، عن محمد بن أحمد بن أبي الأزهر (ت 325هـ) قوله: مررت على (برذعة) الموسوس، وقد أدخل رأسه في جيبه، وهو يخضخض؛ فضربته برجلي، فانكشف[2]..

---

(1) المعجم الموسوعي، 6/ 2745..

(2) مبادئ الصحة النفسية، 435436..

بكار المجنون:

شاعـر لم تتيسـر لي سيرتـه، وسلكه ابن حبيـب النيسابـوري في (عقلاء المجانـين)[1] وروى، بسنده، عن أبي يعقوب السوسـي، قوله: رأيت ببلد مجنوناً، يقال له (بكار المجنون)، يضع على سوأته خرقة، وبيده قصبة، على رأسها كالعلم، وهو يعدو، ويقول: كفى حزناً..

أبو بكر الموسوس:

شاعـر عباسـي، لم تتيسـر لي ترجمته غير ما ذكـره أبو منصـور الثعالبي (ت429هـ) عنه، من كونه أحد شعـراء القرن الرابـع الهجري البصريين، يعـرف بسيبويه، ويشبـه بأبي العينـاء (محمد بن القاسـم، ت 282هـ)، في حضور جوابه، وبيان خطابه، وحسن عبادته، وكثرة درايته[2]..

بهلول بن عمرو:

أبـو وهيب الصيرفي الكوفي (ت نحو 190هـ): كان من عقلاء المجانين، وحدث عن عمرو بن دينار، وعاصم بن بهدلة، وابن أبي النجود، وأيمن بن نابـل، وعاصر هارون الرشيد (ت 193هـ)، ووعظه، وكان معروفاً بالتشيع لآل البيـت النبوي الشريـف، وكان في منشئه، من المتأدبـين، ثم وسوس؛

---

(1) طبقـات الشعـر، 406.. وينظر أيضاً: ديـوان المصابين، 5 – 6.. وقد أورد له ابن المعتز مقطوعـة شعرية من سبعة أبيات، أثبتها في (ديوان المصابين)..

(2) سـمـط الـلآلي، 2/ 671، وديوان المصابـين، 8 – 9.. وقد أثبت له البكري مقطوعة شعرية من ثلاثة أبيات، وضعتها في مكانها من (ديوان المصابين)..

فعرف بالمجنون[1] وقد سلكه الجاحظ ضمن مجانين الكوفة[2].

وروى عنه قوله: «رأيت بهلولاً المجنون بجامع الكوفة يبكي..»[3] وروى ابن عبد ربه، بسنده، عن إبراهيم الشيباني قوله: «مررت ببهلول المجنون، وهو يأكل خبيصاً، فقلت: أطعمني!!..

فقال: هو ليس لي، إنما هو لعاتكة بنت الخليفة، بعثته إلي؛ لآكله لها..»[4]

وفي حديثه عن بهلول - نقل النيسابوري أخباراً عدة، تكشف النقاب عن جوانب من إصابته بهذه العلة، وما يتصل بها، ومنها ما نقله عن علي بن ربيعة الكندي قوله: «خرج الرشيد إلى الحج، فلما كان بظاهر الكوفة، إذ مر بهلول المجنون على قصبة، وخلفه الصبيان، وهو يعدو، فقال -من هذا؟

قال: بهلول المجنون...».

ونقل عن الحسن بن سهل (ت 236هـ) قوله: «سمعت بهلولاً؛ وقد رماه الصبيان بالحصى، وقد أدمته حصاة» - وروى عن علي بن الحسين قوله: «لما مات أبو بهلول، خلف ستمائة درهم؛ فأخذها القاضي، وحجر عليها، فأتاه بهلول، فقال: أصلح الله القاضي، أو تزعم أني مصاب في عقلي؟!..»[5]..

---

(1) عقلاء المجانين، 146.. وينظر أيضاً: ديوان المصابين، 12-13. وقد أورد له النيسابوري نتفة شعرية من بيتين، وبيتاً يتيماً، أثبتهما في موضعهما من (ديوان المصابين).

(2) وينظر يتيمة الدهر، 1/ 522. وينظر أيضاً: العقد الفريد، 7/ 166، ومعجم الشعراء العباسيين، 544، وديوان المصابين، 14- 17.. وقد أورد له ابن عبد ربه، والثعالبي نتفتين شعريتين، كل منها من بيتين اثنين، إضافة إلى مقطوعة من ثلاثة أبيات أثبتها -جميعاً- في موضعها من (ديوان المصابين).

(3) البيان والتبيين، 2/ 230- 231، والعقد الفريد، 4/ 144، ومحاضرات الأبيات، 720/4، وعقلاء المجانين، 100 -104، وغرر الخصائص 127128، والتذكرة الحمدونية، 487/1، والمنتخب والمختار، 563، وأنس المسجون، 113-114، والوافي بالوفيات، 13/ 281، 283، وفوات الوفيات، 1/ 228- 231، ونزهة الجليس، 1/ 576- 579، ودائرة المعارف الإسلامية، (بهلول المجنون)، والأعلام 77/2، ومعجم الشعراء العباسيين، 83، وديوان المصابين 18/ 64.. ومصادرها.. وقد ورد له بالمصادر السابقة، وغيرها (28) نصاً شعرياً أثبتها له، ووثقتها، في موضعها من (ديوان المصابين).. كما عثرت له على نصين آخرين، مما أنشده بكتاب (أنس المسجون وراحة المحزون)..

(4) البيان والتبيين، 2/ 230 - 231 .

(5) أنس المسجون وراحة المحزون، 113-114.

جساس الأعرابي:

شاعر لم تتيسر لي ترجمته غير ما رواه عم الأصمعي، بقوله: «قلت لجساس الموسوس: مالك لا تنام دهرك؟!

فقال: النوم لا تبعة علي فيه، وفي مجالستك ومجالسة أضرابك تبعات!!

قلت: وأي تبعة عليك في مجالستي؟

فقال: أشتغل بك عمن أنشأني»[1]..

وروى الأصمعي، عن عمه، قال: «دخلت بعض أحياء العرب، فرأيت شيخاً موسوساً يهذي، وقد اجتمع إليه الناس، فقلت: من هذا؟!

قالوا: جساس الموسوس، لا يزال ينام ليله ونهاره، وربما ينتبه، فزعاً مرعوباً، فيجلس ساعة، ثم يصبح ويهيم على وجهه، ثم يعود إلى نومه..»[2].

جعيفران الموسوس (ت 230هـ):

أبو الفضل جعفر بن علي بن السري (وقيل: ابن أصغر بن السري) بن عبدالرحمن الأنباري السامرائي، ولد ببغداد، ونشأ بها، وكان أبوه من جند خراسان، معدوداً من أهل الفضل، والأدب، ثم انتقل إلى الكوفة، ظريفاً، حلو الشعر، يتشيع لأهل البيت النبوي الكريم، ويكثر من لقاء الإمام علي بن موسي بن جعفر،/ الرضا (رضي الله عنه) (ت203)، وهو الذي أشار عليه بوجوب مراعاة جانب الحزم والشدة مع ابنه جعفر/ جعيفران،

---

(1) العقد الفريد، 7/ 144.

(2) عقلاء المجانين، 100، 102، 103، 104.

الـذي نسب إليه أبـو ه اختلافه إلى إحـدى سراريه؛ فأوصـاه الإمام الرضا بطرده، عن داره، وإخراجه من ميراثه، بعد موته.

وحاول جعفر/ جعيفران، جاهـداً، تبرئة نفسه أمام أبي يوسف القاضي (يعقـوب بن إبراهيم، ت 182هـ)؛ فأحضـر الوصي، وسأل جعيفران البينة علـى نسبه وتركة أبيـه؛ فعجز جعيفران عـن تبرئة نفسـه، واسترداد حقه المسلوب عنه -في ظنه- مما دفعه إلى استشعار مدى الظلم والحنق على كل مخالطيه، وجعله يحس بنيران غربة شديدة، وسط أهله وعشيرته، جانحاً إلى العزلـة والانطواء الموحش، راغباً عن الـزواج، مضطرباً، إلى أبعد حد، في مواجهـة أعباء الحياة القاسية، من حوله، في كل مـكان يأوي إليه، ببغداد، والأنبار وسامراء/ مدينـة المعتصم، التي أسسها بين سنتي (221- 222هـ)، ممـا يقطع بتأخر سنـة وفاته إلى نحـو نهاية العقد الثالث مـن القرن الثالث الهجري، وليس سنة (208هـ)، كما نسب لابن شاكر الكتبي، وغيره، ممن ترجموا له[1].. ويـدل ما وصل إلينا من أخباره وشعره على وصفه من قبل بعض معاصريه، ولاحقيهم بالوسوسة.. وخاصة فيما نطالعه من قوله[2]:

رأيـت الـنـاس يدعوني
بـمـجـنـون عـلى عمد

---

(1) عقـلاء المجانـين، 158، وديـوان المصابين، 64. وقـد أورد له النيسـابوري تحفـة شعرية من بيتين، أثبتهـا في موضعها من (ديوان المصابين).

(2) عقلاء المجانين، 158.

.. وقوله[1]:

رأيت الناس يرمونـ
ـني أحياناً بوسواس

.. وقوله[2]:

طاف به طيف من الوسواس
نفر عنه لذة النعاس

.. وغيره[3]..

أبو حيان الموسوس:

شاعر لم تتيسر لي معرفة اسمه، ولا جوانب من سيرته وأخباره، عدا ما أشار له كل من ابن المعتز[4]، والمرزباني (ت 384هـ)[5] وغيرهما[6] من كونه بصرياً، قدم إلى بغداد، وقد روى أحد معاصريه، وهو طاهر بن محمد الأهوازي أنه

---

(1) ينظر بالتفصيل: البيان والتبيين، 2/ 227- 228، وطبقات الشعراء، 382، والعقد الفريد، 7/ 158- 163، والأغاني، 20/ 188 - 196، وتجريده، 2/3/ 2102 - 2106، وعقلاء المجانين، 121125، وتاريخ بغداد، 7/ 163-164، ونزهة الجليس، 1/ 574 - 576، ونسمة السحر، 1/ 486493، وفوات الوفيات، 1/ 297، 299، وتاريخ التراث العربي، 198/4/2، وشعراء بغداد، 2/ 339، 340، ومعجم الشعراء العباسيين، 544، والعلماء المنسوبون للأنبار، (م. آفاق الثقافة والتراث)، العدد (34)، ربيع الآخر 1422ه وديوان المصابين، 65- 144، وشعر جعفر بن على الأنباري، 360، ومصادرها.. وقد جمع له الدكتور إبراهيم النجار (26) نصاً شعرياً، ضمنها الجزء الرابع من كتابه (شعراء عباسيون منسيون) ص (35-372). وقد استفدت من هذه المحاولة الأولى في جمعي ما تيسر لي من شعره (46) نصاً، وضعتها في موضعها من (ديوان المصابين) ثم أتيح لي نص آخر، أضيف إليها، كان، وسابقيه مادة شعرية أعانتني على دراسة مضامينه وبنائه التشكيلي مما صدر لي عن (دار التيسير بالمنيا، سنة (2003 م).. وهي الدراسة التي سأرمز لها بكلمتي (شعر جعفر)..

(2) قارن ديوان المصابين، 71، وشعر جعفر. 98. وقارن الفاضل، 255.

(3) قارن ديوان المصابين، 77، وشعر جعفر. 104. وقارن الفاضل 256-257.

(4) ديوان المصابين، 78 - 79، وشعر جعفر، 106..

(5) ديوان المصابين، 86، 89، وشعر جعفر، 113، 16..

(6) طبقات الشعراء، 384385..

رآه، مولعاً بصب الماء، يحمله من محلة إلى أخرى، فيصبه، فيقال له في ذلك؛ فيقول: لو لم أفعل ذلك، في كل يوم لمت..

كما وصفه ابن المعتز بأنه كان موسوساً آخر عمره، وكان يخلط في الكلام، ولا يخلط في الشعر، أصلاً..

أبو حية النميري (الهيثم بن الربيع بن زرارة العامري. ت بعد (180هـ)[1]:

أحد مخضرمي الدولتين: الأموية والعباسية، وصفه الجاحظ، كما مر بنا، بأنه (كان أجن من جعيفران، وكان أشعر الناس)[2].

ومر بنا أيضا ما رواه المبرد، عن الأصمعي، عندما سئل عن المجنون المسمى قيس ابن معاذ؛ فقال: «لم يكن مجنوناً، وإنما كانت به لوثة كلوثة أبي حية..»[3]..

وقد ذكر النشابي (ت 657هـ) نص هذه الرواية، معقباً عليها بقوله: «اختلاط، وفساد، واسترخاء»[4]..

---

(1) معجم الشعراء، 509.

(2) ينظر: شعراء عباسيون منسيون، 2/ 339- 340، ومعجم الشعراء العباسيين، 544- 555، وديوان المصابين 115 - 116. وقد روي له ابن المعتز مقطوعة شعرية، من سبعة أبيات، أثبتها في موضعها من (ديوان المصابين).

(3) الشعر والشعراء، 486، وطبقات الشعراء، 143، والأغاني. 6164/15، وسمط اللآلي، 97 وحدائق الأزاهر، 260.. والأعلام، 103/8 - 104، ومعجم الشعراء العباسيين، 145، ومصادرهما.

وقد جمع الدكتور يحيي الجبوري شعره، وحققه، ونشرته وزارة الثقافة بدمشق، سنة (1975م)

كما جمعه وحققه/ رحيم ضحي التوبلي، ونشرته مجلة (المورد) في مجلدها الرابع، بالعدد الأول من السنة نفسها، وهو العمل الذي تيسر لي، وعليه تقوم دراستي لشعره، مشيراً له بكلمات (شعر أبي حية)، متبوعة برقم النص..

(4) ينظر البيان والتبيين، 2/ 229. وينظر أيضاً: العقد الفريد، 157/7، وفيه: (.. كان أبو حية أجن الناس..).

وذهب الدكتور أحمد عبدالستار الجواري[1] إلى أن أبا حية هذا قد عانى (من خفة الأحلام، ووهن الأعصاب تحدر إليه من أهله وعشيرته، واشتهاره بالحب المبرح، الذي يسلم إلى الجنون، واختلاط العقل، هذا جانب، والجانب الآخر يشبع فيه الشعور بالضعة، والإحساس بالنقص، وقد انضم إلى هذا كله رهافة في الشعور، ورقة في الإحساس؛ فأخرج هذه الشخصية العجيبة النادرة الطريفة.. ويبدو هذا وجهاً من وجوه التناقض في شخصية الرجل، هذا التخليط، وتلك الهلوسة، كيف اجتمعت مع شعر جيد، وتعبير جزل متين، وأسلوب جميل رائع)؟!

خالد بن يزيد (أبو الهيثم التميمي الكاتب البغدادي) (ت262هـ)[2]:

شاعر كان يكتب للجيش ببعض الثغور، وكانت له بعض المعارك الشعرية مع كل من أبي تمام (ت231هـ) والبحتري (284هـ) الطائيين، وتقدمت به السن..

ونقل الجهشياري (ت 319هـ) عن أبي الحسن ابن الفرات (ت 312هـ) وهو أحد معاصري خالد– قوله، في شأنه: «وجدناه متماسك العقل، بخلاف ما ظننا به، وسمعناه عنه»[3]..

ويشير ابن الفرات بهذه العبارة، فيما يبدو، إلى ما رواه ابن حجة الحموي (ت837هـ)، وغيره من أن خالداً –هذا– قد (كبر، حتى دق عظمه، ورق

---

(1) الكامل، 254/1..

(2) المذاكرة في ألقاب الشعراء، 252– 253..

(3) أبو حية النميري دون كشوت عربي قبل زميله الإسباني بقرون، مجلة (العربي)، الكويت، العدد (24)، أكتوبر/تشرين الأول، 1960م..

جلده، وقوي به الوسواس؛ ورئي ببغداد والصبيان يتبعونه، فأسند ظهره إلى قصر المعتصم، والصبيان يصيحون به: يا بارد..»[1]

وقد علق الدكتور إبراهيم النجار على هذه الرواية بقوله: «والظاهر أن مرض خالد لم يكن سوى نتيجة لجملة من الأعراض، تتخذ أشكالاً عدة، منها الفصام والاكتئاب، وتجمعها ما يحدده علم النفس التحليلي بظاهرة الوهن الوسواسي»[2].

أبو دانق الموسوس البغدادي:

شاعر عباسي لم تتيسر لي ترجمته، عدا ما ذكره الشريف الصنعاني (ت1121هـ) من كونه أحد معاصري يعقوب بن الدقاق المستملي بن أبي نصر - صاحب الأصمعي (ت 216هـ) يتناشد الأشعار مع بعض الشعراء في رحبة جامع المنصور[3]..

---

(1) طبقات الشعراء، 404، والديارات، 1114، وتاريخ بغداد، 8/308 - 314، وسمط اللآلي، 1/ 311، وفوات الوفيات، 1/ 296، 297، وتاريخ التراث العربي، 4/ 170-171، والأعلام، 2/ 301، ومعجم المؤلفين، 4/98، ومعجم الشعراء العباسيين، 149 - 150.. ومصادرها.

وقد حقق الدكتور يونس السامرائي ديوانه، ونشرته دار الرسالة، سنة 1981م.. كما حققه ألبرت أرازي ونشره في باريس، سنة 1990م.. وحققه الدكتور/ إبراهيم النجار، وضمنه الصفحات (109 - 228) من الجزء الثاني من كتابه (شعراء عباسيين منسيين)، في طبعته الثانية، وهي إصدارة (دار الغرب الإسلامي)، التي تيسرت لي مطالعتها، والاعتماد عليها في هذه الدراسة، رامزاً لها بكلمتي: (شعراء منسيون)..

(2) الوزراء والكتاب، 162- 163.

(3) ثمرات الأوراق، 94.

سعدون/ سعيد المجنون (ت بين 245 - 250هـ):

أبو عطاء البصري[1] شاعر عباسي، نزل الفسطاط، قائما على حلقة ذي النون المصري (ت 245هـ)، وعاصر الرشيد، والمأمون (ت218هـ) والمتوكل (ت247هـ) العباسيين، ووعظهم، وسلكه المؤرخون في عقلاء المجانين، وحكمائهم، سياحاً، مجنوناً..

وقد نقل النيسابوري[2] عن مالك بن دينار خطابه لهذا الشاعر: (إن الناس يزعمون أنك مجنون، فقال: وأنت قد اغتررت بما اغتر به بنو الدنيا زعم الناس أنني مجنون، وما بي جنة، ولكن حب مولاي قد خالط قلبي وأحشائي، وجرى بين لحمي ودمي وعظمي، فأنا من حبه هائم مشغوف..

كما نقل عن عيسى بن علي قوله: (رأيت سعدون ذات يوم، والصبيان يؤذونه؛ فطردت عنه الصبيان، فقال بعض الصبيان: هو يزعم أنه يرى ربه؛ فقلت له:

أما تسمع ما يقول الصبيان؟!).

فقال: وما هو؟!

قلت: يقولون: إنك ترى الله (عز وجل)!!..

فقال: يا أخي، مذ عرفت الله (تعالى) ما فقدته، ثم أنشأ يقول:

زعم الناس أنني مجنون

كيف أسلو ولي فؤاد مصون؟

---

(1) شعراء عباسيون منسيون، 2/ 60، حاشية رقم (3).

(2) نسمة السحر، 1/ 494، وديوان المصابين، 199-120. وقد روي له الصنعاني مقطوعة شعرية من (5) أبيات، إضافة إلى بيت يتيم، أوردتهما في موضعهما من (ديوان المصابين).

وفي موضـع آخر من شعره نراه يصرح بهجرانه بني جنسه، مؤثراً عليهم من تفرد بالكمال والجلال، فاستحق المحبة والإجلال، قائلاً[1]:

هجرت الورى في حب من جاد بالنعم

وعفت الكرى شـوقا إليه فلم أنـم

وموهت نهني بالجنون على الورى

لأكتـم مـا بـي في هواه فمـا انكتم

فإن قيل: مجنون فقد جننـي الهوى

وحرمة روح الأنس في حندس الظلم

سمنون بن حمزة الخواص (ت بين 290 ـ 298هـ):

شاعر ناسك بصـري، سكن بغداد، وزار بيت المقدس، وصحب السرى بـين مفلـس السقطي (ت 253هـ)، وغـيره[2].. واتفق المؤرخـون على أنه وسوس[3]، وأنه كان، في هيجانه ينشد قوله، ضارعاً لله (سبحانه)[4]:

ضـاعـف عـلي بجهـدك البلـوى

وابـلـغ بجهـدي غاية الشـكوى

---

(1) عقـلاء المجانين، 8993، وفوات الوفيات، 2/ 48، والـوافي بالوفيات، 191/15-193، وعيون التواريخ، أحداث سنة (245هـ)، صـ 358 - 359، وتاريخ العباسيين، 178 - 179، وديوان المصابين، 130 - 168.. وقد تيسر لي الوقوف على نحو (39) نصاً شعرياً، مما جرى على لسانه، أودعتها كتابي (ديوان المصابين)..

(2) عقلاء المجانين، 8990.

(3) ديوان المصابين، ص 160، 158..

(4) تاريـخ بغـداد، 9/ 234 - 235، والرسـالـة القشيريـة، 152/1 - 154، وطبقـات الصوفيـة، 195، وطبقـات الأولياء، 165-170، والطبقـات الكـبرى، 128-129، وحلية الأولياء، 309/10-312، والأعـلام، 3/ 240، وشعراء الصوفية المجهولون، 12، وما بعدها، وديوان المصابين، 170 - 199، ومصادرها.. وقد جمع له الدكتور يوسف زيدان نحو (17) نصـاً شعرياً أودعـه كتابه (شعراء الصوفية المجهولـون).. واستفدت من جهده، مضيفاً إليه (15) نصـاً شعرياً آخر، ضمنتها (ديوان المصابين)، ثم عثرت له على نتفة أخرى، من بيتين في كتاب (رائق الشهد من شعر الدعوة والرقائق والزهد)، ص42.

وروي أنه جلس يوماً، على شاطئ دجلة، وبيده قضيب، يضرب به رجله، وفخذه؛ حتى تبدد لحمه، وتناثر، وهو ينشد قوله[1]:

كان لي قلب أعيش به

ضاع مني في تقلبه

صباح الموسوس:

شاعر لم تتيسر لي ترجمته، وإن وقفنا على إشارتي الجاحظ[2] وابن عبد ربه[3] إلى نسبته إلى الوسوسة.. وروى النيسابوري، والوطواط (ت 718هـ) أنه وقف على قوم، فسألهم شيئاً، فردوه؛ فولى، وهو ينشد[4]:

أسأت إذا أحسنت ظني بهم

والحزم سوء الظن بالناس

عبدالله بن أبي الشيص الخزاعي:

شاعر ابن شاعر، تنقل بين (بغداد)، و(واسط)، و(سامراء)، وعاصر أبا تمام (ت 231هـ)، ورثاه بعد موته[5]..

وذكر أبو محمد القتبي (ت 276هـ)[6] أنه كانت بابن أبي الشيص لوثة؛ لأن السوداء غلبت عليه، فاختلط، واشتاط، وخرق ثيابه، ثم زج نفسه في (دجلة) في يوم شديد البرد، فمات..

---

(1) طبقات الصوفية، 195، وتاريخ بغداد، 9/ 234- 235، والمنتظم، 6/ 108..

(2) ديوان المصابين، ص 196.

(3) ديوان المصابين، 172.

(4) البيان والتبيين، 2/ 231.

(5) العقد الفريد، 7/ 143-144. وينظر أيضاً: غرر الخصائص، 144 - 145.

(6) ديوان المصابين، 200.

أبو فراس قديس البصري:

شاعر، وصفه النيسابوري بأنه كان موسوساً ذاهب العقل[1].

محمد بن القاسم:

أبو الحسن ماني المصري، (ت بعد 245هـ).. من أشهر الشعراء الموسوسين، في العصر العباسي[2].. وقد نقل ابن المعتز، بسنده، عن أحمد بن عاصم بن قدامه الضميري قوله: رأيت (ماني) المجنون يوماً بباب الكرخ ببغداد، وهو عريان، بيده قصبة، وكأنه ملهوف..)[3].. وقد روي عنه قوله، يخاطب محبوبته، مشيراً إلى بعض أعراض علته[4]

سلي عائداتي: كيف أبصرن كربتي
فإن قلت: قد حابينني فاسألي الناسا
فإن لم يقولوا: مات أو هو ميت
فزيدي -إذن- قلبي جنونا ووسواسا

---

(1) الشعر والشعراء، 2/ 852، وطبقات الشعراء، 364 – 365، وأخبار أبي تمام، 278 – 279، والأغاني، 20/ 173، وتاريخ بغداد، 64/10، والمذاكرة في ألقاب الشعراء، 103، ومعجم المؤلفين، 7/ 247، ومعجم التراث العربي، 2/ 4/ 161 – 163، والأعلام، 55/7، ومعجم الشعراء العباسيين، 277، وديوان المصابين، 207 – 228.. ومصادرها.. وقد تيسر لي الوقوف على نحو (14) نصاً شعرياً، مما جري على لسانه، ضمنتها كتابي (ديوان المصابين).

(2) الشعر والشعراء، 2/ 852.

(3) عقلاء المجانين، 118 – 119.. وينظر أيضاً: ديوان المصابين، 253–355.. وقد تيسر لي الوقوف على مقطوعة شعرية من (3) أبيات، إضافة إلى بيت يتيم، مما تتوزعت نسبته، بينه، وبين غيره من الشعراء..

(4) طبقات الشعراء، 382 – 383، والعقد، 165/7–166 والأغاني، 181/23–187.. والأعلام، 334/6، وتاريخ التراث العربي، 132/4/2، ومعجم الشعراء العباسيين، 395، وديوان المصابين و258– 310.. ومصادرها.. وقد جمع د. إبراهيم النجار، والأستاذ عادل العامل ما تيسر لهما من شعره.. مما أفادني في الوقوف على نحو (47) نصاً شعرياً، مما أنشده ماني، ووضعته في موضعه من (ديوان المصابين)، ثم تيسر لي الوقوف على أربعة نصوص أخرى له، أضفتها إلى سابقتها، وضمنتها محاولتي في جمع شعره ودراسته، مما ستأتي إشارتي لها بكلمتي (شعر محمد)..

مصعب بن الحسين الكاتب (ت نحو 250هـ):

شاعر بصري بغدادي ماجن موسوس، عرف بأنه كان من أكثر الناس تهتكاً، وأكثرهم خلاعة، واستهتاراً.. وقد جاء على لسانه، في إحدى صفحات شعره، قوله:

فقال لي: أنت مجنون؟ فقلت له:

لا تكثرن على القال والقيلا[1]

وغير خاف على المتفحص في دلالات هذه الأخبار والمرويات السابقة، المنسوبة لهؤلاء الشعراء الموسوسين، ونحوهم[2] ما نلحظه من واقعية هذه الأخبار، والمرويات، وصدقها، في تحديد بعض العوامل التي دفعت أصحابها، دفعاً، إلى التهاوي في دركات الوسوسة، والمعاناة من أعراضها التي تنوعت أشكالها، وكمياتها من شاعر إلى آخر، وسببت لهم -جميعاً- آلاماً مبرحة..

ويدفعنا الإنصاف إلى وجوب النظر إلى هذه المرويات المشار إليها، بهذا الصدد، بشيء كبير من الحذر، والتأني، أحياناً؛ بسبب ما نلحظ من تداخلها بعضها بالآخر، تارة، ونسبتها لأكثر من شاعر، من هؤلاء الشعراء، تارة، وارتباطها بمواقف، أو حالات مرضية عارضة، أو مؤقتة، طارئة، لبعض الوقت، تارات أخرى..

---

(1) طبقات الشعراء، 383، وشعر محمد، 182.

(2) شعر محمد، 175.

والسؤال الذي يطرح نفسه بقوة، هنا: هل أنشد الشعراء الموسوسون ما وصل إلينا من أشعار لهم وهم واقعون تحت تأثيرات وساوسهم التي انتابتهم، أو عرضت لهم في أجزاء من حيواتهم؟ وكيف يتسنى لنا التأكد من ذلك، أو عدمه؟!

والإجابة عن هذا السؤال - بشقيه - ليست - في رأيي - بالأمر الهين، أو السير؛ في ظل ما نفتقده من الأخبار، والمرويات الكافية، التي قد تساعدنا على الكشف عن المعالم الواضحة البينة، وغير الواضحة البينة من سير هؤلاء الشعراء، ونحوهم.. وفي ضوء إيماننا بأن عملية الإبداع الفني، بعامة، والشعري، بخاصة، ليست أحادية الجانب، وإنما هي دائرة متسعة عميقة، متعددة الجوانب والآفاق.. تتأثر، فيما تتأثر به، من شخصية مبدعها، وروح عصره، بكل مكوناتها الفطرية والمكتسبة، كل على السواء؛ وبالتالي فإن الربط الحتمي، أو شبه الحتمي بين إصابة هؤلاء الشعراء المشار إليهم، في صفحات هذا المبحث، بالوسوسة أو بعض أعراضها، من جهة، وبين نتاجهم الشعري الذي تيسرت لنا نصوصه، من جهة أخرى -يجب أن يكون محكوماً عليه بالتسرع، أو التعسف، وما يترتب عليهما من نتائج قد تكون مغلوطة..

وقد سبق عبدالله بن المعتز، ببصيرة الشاعر الناقد الفذ، إلى طرح أحد الفروض العلمية الصالحة للاستعانة بها هنا، وذلك بقوله، في شأن أحد هؤلاء المعنيين بالدراسة: «وكان أبو حيان موسوساً آخر عمره، وكان يخلط في الكلام، ولا يخلط في الشعر أصلاً، وهكذا هؤلاء الذين خولطوا -بعد قولهم الشعر- يوجد في كلامهم تفاوت كثير شديد، فإذا جاءوا إلى الشعر

مروا على رؤوسهم، ورسمهم المعهود، قبل أن يوسوسوا»[1]

ولنتأمل إشارته الدقيقة إلى توقيت إصابة المترجم له بالوسوسة، وتحديدها بآخر عمره، وملاحظته الشديدة تخليطه في الكلام، وعدم تخليطه في الشعر، أصلاً، وانتقاله من الحكم النقدي الخاص، المنبثق من ملاحظة أحد الشعراء، إلى الحكم النقدي العام، الذي يشمل، في إطاره، عامة الشعراء -موضوع الدراسة- مدركاً عدم تأثرهم بآفتهم، إبان إنشادهم الشعر..

ويبقى الحكم بمصداقية هذه الملاحظة النقدية الأخيرة، أو الحاجة إلى تعديلها، أو نفيها، مرهوناً بالوقوف على مضامين أشعار هؤلاء الموسوسين، وأدواتهم التشكيلية، وهو الأمر الذي تتناوله الدراسة في المبحثين التاليين إن شاء الله (تعالى)..

(1) طبقات الشعراء، 386، والديارات، 193، والأعلام، 7/ 247، وشعراء عباسيون منسيون، 5/ 131 - 134، ومعجم الشعراء العباسيين 518، وديوان المصابين، 312- 338، ومصادرها.. وقد جمع له الدكتور إبراهيم النجار نحو (10) نصوص شعرية، وضمنها كتابه (شعراء عباسين منسيين)، وأفدت من عمله في هذا المجال، مما ضمنته كتابي (ديوان المصابين).

الفصل الثالث

مضامين شعر الموسوسين

علــي الرغم من إيماني بأن مضامين العمل الأدبــي كل لا يتجزأ، وخاصة إذا كان الأمر يتعلق بالنصوص التي وصلت إلينا مستقلة بعضها عن بعض- فــإني، في هذا المبحــث، سأحاول النظــر إلى هذه المضامين بصــورة أجزاء يكمل بعضها الآخر، يتأثر به، ويؤثر فيه؛ لذلك فقد وضعت نصب عيني ما تيســر لي من أشعار الموسوسين العباسيين، التي تزيد عن (460) نصاً شعرياً، يتقدمهــا الغــزل، بنوعيه: المعنوي/ المثــالي/ العذري/ العفيــف، والحسي/ المــادي، بمجيئه في نحــو (230) نصاً، بنسبــة (49,6%)، منها (184) نصاً شعريــاً مما جــرى على لسان خالد الكاتــب، و(18) نصاً، ممــا أنشده ماني الموسوس، و(17) نصاً مما أنشده أبو حية النميري، و(5) نصوص مما أنشده كل من جعيفران، وعبدالله بن أبي الشيص الخزاعي، إضافة إلى نص شعري واحد مما تيسر لنا من شعر بكار..

ويلي الغــزل شعرهم الحكمي والوعظي الإرشــادي، الذي يقع في نحو (47) نصــاً شعرياً (10%)، مما أنشده بعض هــؤلاء الشعراء، وفي مقدمتهم سعــدون، الذي أنشــد (23) نصاً في النصح والإرشــاد، ويليه بهلول، وله (18) نصــاً، من نصوص هذا البــاب، فجعيفــران (4) نصوص، فسمنون وصباح، ولكل منهما نص شعري واحد..

ويلي هذيــن الفنين ما يعرف بالحــب الصوفي/ الإلهي، ومــا يواكبه من مناجــاة وابتهال، وقد جــاءت (38) نصاً شعريــاً: (8,2%) مما تيسر لنا من

أشعار هؤلاء الشعراء، وفي طليعتهم سمنون المحب، وله (26) نصاً شعرياً: ويليـه سعدون، وله (8) نصوص، فبهلـول الصيرفي (4) نصوص، مختتمين بكل من بكار وماني، ولكل منهما نص شعري يتيم..

أمـا الهجاء فيقع في المرتبـة الرابعة، ضمن فنون الشعـر في ديوان هؤلاء الموسوسـين، بإنشـاده في (26) نصـاً شعرياً: (5,6%) منهـا (15) نصاً مما جرى على لسان جعيفران، و(5) نصوص مما أنشده ابن أبي الشيص، و(3) نصوصـ مما أنشـده أبو حية النميري، ونصان اثنـان لخالد الكاتب، ونص واحد لأبي دانق..

ويجـيء وصـف الذات: فخـراً، واعتـداداً، ورثاءً، ومـا يتصل بها، في المنزلـة الخامسة، مـن مضامين هذا الديـوان، موضوعـاً في أكثر من (25) نصـاً شعرياً: (5,3%)، منها (12) نصاً لأبـي حية، و(4) نصوص لمصعب الكاتب، ونصان اثنان لسمنون، ونص واحد لكل من بلهول، وجعيفران، وسعدون، وأبي فراس وماني..

ويأتي بعد هذا الوصف بجوانبه المتعددة في المرتبة شعرهم الذي أنشدوه في تعشق الغلمان، وهو الشعر الذي يضم (21) نصاً: (4,55%)، منها (9) نصوص لمصعب الكاتب، و(8) نصوص لماني، ونص واحد لكل من أحمد بن عبدالسلام، وأبي بكر وجعيفران، وأبي دانق..

وانفردت الطبيعة بعشرين نصـاً: (4,3%)، يحتل وصفها المنزلة السابعة من مضامين الشعر في ديوان الموسوسين، ويكاد أبو حية يستقطب أغلبها..

أمـا المدح فيأتي في (14) نصا شعريـاً: (3%) انفرد جعيفران بإنشاد ستة

نصوص منهـا، وتلاه كل من خالد الكاتب وماني بإنشادهما (4) نصوص على لسان كل منهما..

وفي الشكـوى من الفقر ونحوه (12) نصـاً وشعرياً: (2,6 %) ورد (5) نصوصـ منها على لسان أبي حيـة، و(4) على لسان ماني، ونصفهما على لسان جعيفران، ونص واحد على لسان ابن أبي الشيص..

وفي المرتبـة الحاديـة عشرة يأتـي كل من وصفهم بعضـ مجالس الشراب واللهو والمجـون (9) نصوصـ: (1,9%)، إضافة إلى كشـف النقاب عن معاناتهم من الوسوسة، وأعراضها(9) نصوص.

وأنشـد سمنون المحـب (4) نصوص شعرية في وصـف الجنة، ونعيمها المقيـم، الذي ينتظر عبـاد الله المخلصين، مما نستطيع ضمهـا إلى ما سبقت الإشارة إليه من مناجاتهم وابتهالاتهم إلى الله ذي الجلال والإكرام..

كمـا أنشد ابن أبي الشيصـ نصين اثنين في الرثـاء ومثلهما مما ورد على لسان كل من بلهول وأبي حية، في الوقت الذي انفرد فيه أبو بكر الموسوس بنص شعري واحد في الاعتذار..

وعلي الرغـم من تعدد أجزاء هذه المضامـين، واتساعها النسبي، وتنوع بعضها، وتداخله في بعض – فإني أجملها في ثلاثة أجزاء/ فنون، متكاملة، يتقدمهـا (الشعر الذاتي)، الذي يضم، فيما يضم، من حب صوفي، وغزل إنسـاني في المـرأة، أو الغلمـان، إضافة إلى وصف الـذات، وما يختلج بها مـن مشاعـر وأحاسيسـ، وهواجسـ، وأفـكار تظهر مـن خلالها بعض مظاهر ثقتهم، واعتدادهـم، أو قلقهم، وتوجسهم أو تبرمهم، أو أحزانهم

وشجونهـم التي ما فتئت تراودهم، وخاصة قبيـل سني غروب شمسهم؛ بكاءً لشبابهم؛ واجتراراً لهموم مشيبهم..

والجـزء الثاني من هذه الأجزاء ما أسميـه (الشعر الاجتماعي) الذي نرى أصحابـه ينزعون به وجهـة اجتماعية متعـددة المسالـك، كاشفين به عن جوانـب مختلفة من حصـاد علاقاتهم بغيرهـم من أبنـاء مجتمعاتهم.. إضافة إلى مـا نلحظه مـن كشف بعضهم النقـاب عن معالم من لهـو معاصريهم، وتماجنهم، وتفحشهم، وبذائهم..

ويخصص الجزء الثالث من أجزاء هذه المضامين لدراسة (شعر الطبيعة)..

وقبـل الولـوج في رحاب هذه الأجزاء – المتراكبـة في حقيقتها – يجدر بـي تنبيـه قارئي العزيز إلى أنني – ولعلي على حـق في هذا أقرأ هذا الشعر، الـذي بين يـدي، مما ورد على ألسنـة الموسوسين، بوصفـه (ديواناً شعرياً) واحـداً، أو شبه واحد، تعددت أصوات أصحاب منشديه، وتكاملت، في الوقت نفسه..

وبنـاءً على هـذه القـراءة الشعرية/ النقديـة المقترحة –يـرى كاتب هذه السطـور ولعله عن حق أيضـا– أن إصابة منشدي هذا الديوان بالوسوسة، أو بعضـ أعراضها، مدة طويلة، أو قصـيرة، وفي وقت باكر، أو غير باكر، من أعمارهم –إن صح أنهم أصيبوا بذلك بالفعل– تكاد هذه الإصابة، في رأيي المتواضع، لأن تكون مدخلاً فنياً، لتذوقه، وتحليله، من خلال الاستعانة (بمفتاح مجازي)، يتضمن ما تشي به معظم نصوص الديوان الفياض بالقلق، والتوتر المتزايد..

وإن جازت لي الاستعانة بهـذا (المفتاح المقترح) للدخول إلى العالم الفني الخاص، والعام، لهذا الديوان - وجب علينا استهلال دراستنا لمضامين شعره بسؤال عن مدى (تصريح) منشديه، أو بعضهم، بالوسوسة (سبباً، أو مسبباً، على ألسنتهم شعراً، دون مواربة، أو إخفاء، أو تستر، أو تمويه..

والجواب عن هذا السؤال يعيدنا إلى ما أسلفنا الإشارة إليه، في صدر هذا المبحث، من وقوفنا على (9) نصوص شعرية فقط، مما وصل إلينا من نصوص ديوانهم الشعري، الذي يضم (463) نصاً، وهو عدد قليل للغاية لا يكاد يصل إلى نسبة (2%)، موازنة بغيرها من الموضوعات، أو المضامين الشعرية الأخرى، التي أفسحوا لها مساحات أكبر من نتاجهم الشعري.. وإن كانت هذه النسبة القليلة المشار إليها بهذا الصدد لتدفعنا، في الوقت نفسه، إلى تجاوز هذه النصوص التسعة إلى غيرها، من نصوص الديوان؛ استكناها لمعالم هذا (القلق الفياض)، وذلك (التوتر المتزايد) اللذين أرى أنهما (المفتاح) الذي يساعدنا على تعمق بعض أسرارها المطوية..

1 - البوح الذاتي

وأقصد به صدى أحاديث الشعراء عن أنفسهم، وكشفهم النقاب عما قد يعتلج بأعماقهم من أحاسيس ومشاعر، وأفكار وهواجس متباينة، بلغة مشحونة بالتوتر الهادر، والقلق الفوار، أو الأمن والسكينة، أو غيرها مما يعبر عن مواقفهم الإنسانية، والأدبية المتنوعة، ولسان حالهم يجنح، جنوحاً واضحاً إلى إيثار (الضمير المفرد) المتكلم، عن غيره من الضمائر..

ونستهل استماعنا لبعض أصوات هذا البوح الذاتي لدي هؤلاء الشعراء بما وصفوا به من وسوسة ابتلوا بها، أو طوردوا بالنسبة إليها من قبل بعض معاصريهم.. ومن هذه الأصوات ما تعالى به محمد ابن القاسم/ ماني، وهو يجلو، في موقف إنساني وأدبي، شديدي الإيحاء باللوعة، والأسى، والقلق، والتوتر، جانباً غائراً من ذاته، وقد سكنها شيء عميق من الهوى الجارف، مقرراً في خطابه من ولهت قلبه، وأسرت لبه، وقد دأبت على صدورها عنه، ومفارقتها إياه، دون وازع من رحمة أو شفقة، أو عطف؛ مما دفعه، دفعاً، إلى معاناة الكربات المتلاحقة الهوج، المؤذنة بهلاكه، والقضاء على حياته، قانعاً، كدأب عامة المجبين، وخاصتهم، بما يحظى به من جفائها، وخيلائها، وتمنعها، موقناً أنها بهذا، وذاك، تزيد من ضراوة جنون قلبه، وهيام نفسه، ووسوسته، قائلاً[1]:

سلي عائداتي: كيف أبصرن كربتي

فإن قلت: (قد حابينني) فاسألي الناس

فإن لم يقولوا: (مات أو هو ميت)

فزيدي -إذن- قلبي جنوناً ووسواسا

وإضافة إلى هذه النتفة السينية التي أنشدها ماني -يلاحظ قارئ ديوان الموسوسين سبعة نصوص شعرية أخرى، تنوزعت نسبة خمسة منها بين

---

(1) ينظر في أخبار بعض المصابين بالوسوسة، ممن ضاعت أسماؤهم من ذاكرة التاريخ: عقلاء المجانين، 109- 110، 133، 138، 139، 144، 149، 194.. والعقد الفريد، 7/ 163 - 164، وشرح مقامات الحريري، 2/ 358-359، ومحاضرات الأدباء، 392/4، وأخبار النساء، 300، ومصارع العشاق، 55/1، وغرر الخصائص، 130، 131، وديوان المصابين، 342 - 386، وغيرها..

كل من جعيفران[1]، وصباح[2] الموسوسين.. وقد علق قائل هذه النصوص، أو قائلاهـا، على وصف جانب من الفجيعة الـكأداء، وقد طاف به طيف لعـين من طيوف علته، وإحساسه الممض بالوسوسة، التي ما فتئت تعاوده، بـين فينة وأخرى، مشعـرة إياه بأهـوال الغربة القتالـة التي أخذت تشمله، مـن كل صوب، وحدب، منفرة عنه لـذة النعاس، والائتناس بمن حوله من النـاس، الذين افتقد نعمتي التآلـف، والتوافق النفسي والاجتماعي معهم، بسبب مـا دأبوا عليه، جاهلـين، وجاهدين من تنقصه، والحـط من شأنه، قائلاً (خماسية):

طاف به طيف من الوسواس

نفر عنه لـذة النعـاس

فما يرى يأنس بالأناس

ولا يلذ عـشرة الجلاس

فهـو غريب بين هـذي النـاس وانتقل، في موضـع ثان، من شعـره، أو أشعارهـم، إلى تصوير بعض مواقفه اليومية، مع بعض مخالطيه، من الندمان، الذيـن دأبوا على اغتيابـه، أو اغتياله حياً، في عدم حضـوره، واصفين إياه بالجنـون، بسبب ما رأوه من أحواله يوماً، وقد تعرى جسـده من الملابس، فبـدا في صـورة لا تليق بإنسان عاقل، سوى سديـد الإدراك، مقرراً أنه قد جنـح جنوحاً إلى هذا المسـلك المعيب، في نظرهم، بسبب ما انتابه من فقر

---

(1) طبقات الشعراء، 384 – 385..

(2) شعر محمد، 175..

مدقع، وحاجة ماسة شديدة، متعرضا؛ بذلك، لكرم الناس الذين لا يبخلون عليه بما قد يسد رمقه، ويروي غلته، ويداري سوأته، حتى يتمكن من قضاء ليلة عامرة بالأنس، والطرب، والنشوة الغامرة، على وقع أوتار العازفين، وأصوات المغنين، بقوله:

ونــــدامـــى أكــــلـــونـــي..

إذ تــغــيــبــت قليلا

إن أكــن سؤ تكم اليـو

م فــخــلــوا لي ســبــيلا

وابــتــغــوا غــيري نديماً

لـــكــم مـــنـــي بـــديــلا

ثـــم حـــيـــوا غـــنـــاء..

يـــترك المـــولى ذلـــيـــلا

ثم نراه يكشف النقاب عن جانب آخر من جوانب ذاته المهزومة، ونفسه المحبطـة، المتوترة القلقة، بتصويره جانباً، من إحساسه الموتور الحانق، على بعض أبناء مجتمعه المحيطين به، بسبب ما دأبوا عليه، من حين لآخر، من إيذائه، ورميه، كذباً، وبهتاناً، بالجنون، وفقدان نعمتي العقل والإدراك السليم، رائياً أن هذا العقل المشين الصادر من هؤلاء الأشرار السفهاء، إنما هو من أقبح الأفعال، وأدرذلها، ومؤكداً أنه لن يتغاضى عن هذه السفاسف، والترهات، في الوقت الذي يعلن فيه انسحابه من مواجهتهم، بما يبطل

سهامهــم عجزاً ومــرارة، مشيراً إلى أنه سيلتزم – تعقــلاً – جادة الصواب معهم، بالصفح عنهم، تكرماً، عسى أن يجني منهم، ومن أمثالهم ما يشرح صــدره، ويثلج فـؤاده، ويخفف عنه شعوره بالوحــدة المهيمنة على نفسه المتضعضعة ولو بعد حين، قائـلاً:

استوجب العالم مني القتلا
لما شعرت فرأوني فحلا
قالــوا علي كذباً وبطلا
إني مجنون فقدت العقلا
قالوا المحال كذباً وجهلا
أقبح بهذا الفعل منهم فعلا!!
لست براض من جهول جهلا
ولا مجازيه بفعل فعلا
لكن أرى الصفح لنفسي فضلا
من يرد الخير يجده سهلا

ومن تصويــر هذا الجانب الموتور من ذاته، إلى الشكوى المرة في أكثر من موضع من شعره، أو أشعارهم، من سوء أحوالهم، وخيبة آمالهم، ومعاناتهم القاسية من أعراضــ محنتهم في مرآة معاصريهم، وســوء معاملاتهم إياهم، ووصفهم بالجنون تارة، والحمق تارة، والوسوسة تارات، مستدركاً عليهم بأن لجوءهم إلى هذه المسالك المهينة في حقه، هو وأترابه من هؤلاء المصابين،

إنما هو مدفوع بما آل إليه أمرهم، من فقر، وعوز، وإفلاس، وإقلال، وليس بسبب ما يخيل لهم من تعاميهم، وتغافلهم من إصابتهم، وتبدل هيآتهم، مستدلاً على ما يراه من هذا التعامي، وذلك التغافل، اللذين باتا يحجبان عنهم حقائق الأمور، وجواهرها، بما ضربه من أمثال، وما انتقل إليه من توبيخ، حينا، ونصح حيناً آخر، بقوله:

رأيت الناس يدعوني

بمجنون على عمد

وما بي اليوم من جهل

ولا لبس ولاً عقد

ولكن قولهم ذاكا

لإوقافي من الوجد

ولو كنت كقارون

ووالي رحبة الجند

رأوني راجح العقل

جميلاً حسن القد

.. وقوله:

رأيت الناس يرمونـ

ـي أحياناً بوسواس

.. وقوله:

رأيت الناس يدعوني
بمجنون على حال
وما بي اليوم من جن
ولا وسواس بلبال
ولكن قولهم هذا
لإفلاسي وإقلالي

.. وقوله:

رأيت الناس يرموني
بوسواس وإلمام
وما كنت أخا موق
قديماً قبل تهيامي
ولكني أرى ذاكا
لإدقاعي وإعدامي

وقريب من دلالات هذه النصوص الطافحة بالمرارة، وإن أخذ وجهة أخرى، ما نطالعه من قول سعدون، الذي راح يبث فيه تباريح شكواه المرة مما دأب عليه بعض معاصريه من ملاحقته بتهمة الجنون، بسبب ما لاحظوه عليه من شرود متزايد، وميل واضح إلى العزلة والانطواء.. معللا ذلك ونحوه، بمداومة الخلوة مع الله (سبحانه)، والفوز بوصاله المحمود،

ذكراً، وتسبيحاً، قائلاً[1]:

زعـم النـاس أنــي مجنـون

كيـف أسـلو ولـي فـؤاد مصون؟!

علق القلب بالبكا في الدياجي

وهـو باللـه مغـرم محــزون

وإذا تجاوزنا هذه الصفحة، أو الصفحات التي تنطق سطورها بمدى اعتلاج صدور أصحابها بلواعج التوتر، والحسرة، والمرارة، والغربة، والمعاناة، إلى غيرها من أشعار، انتقل بها منشدوها من بلاغة (التصريح) إلى آفاق التلميح).

– لاحظنا مدى إحساسهم بالقلق، الذي تمور به جوانحهم، موراً، يدفعهم إلى الأرق والسهـد الدائمين، يتقلبون فيه من الشرود، والأوجاع المتلاحقة التـي تعاودهـم؛ فتنهش ضلوعهـم، في ضراوة، وتدفعهـم، مضطرين إلى الإفضاء بما يستكن بداخلهم من أسرار الهوى، وهواجسه.. ونحو ذلك مما يتضح لنا عند إنشادنا قول أبي فراس قديس البصري[2]:

إذا الليل ألبـسني ثـوبـه

تقلب فيه فتى موجـع

رأيت التصبر ستر الهوى

إذا اشتملت قوة الأضلع

وكيف يطبق فتـى كتمـه

وأجفانـه أبـداً تـدمع؟!

---

(1) شعر جعفر، 98، 104، 106، 113، 116– 119. وينظر أيضاً للكاتب هذه السطور: شعر جعفر بن على الأنباري مضامينه وبناؤه التشكيلي، ضمن كتاب (إلى روح الأستاذ الدكتور/ مصطفي مندور في ذكرى رحيله)، إشراف قسم اللغة العربية بآداب المنيا، 109، 110..

(2) الفاضل في صفة الأدب الكامل، 255– 257..

ويكابد سمنون المحب آلام غربته الصارمة المفروضة عليه من أعماقه المضطرمة، أو أوضاع عصره المضطربة؛ فتدفعه إلى ارتداء ما تهالك من ثياب، يستر بها جسده، غير مكترث بهيئتها الرثة البالية، بقدر ما تتجه أنظاره، ومدركاته إلى محراب التأمل في عواقب أمره، ولسان حاله يقول[1]:

لئن أمسيت في ثوبي عديم
لقد بليا على حر كريم
فلا يحزنك أن أبصرت حالاً
مغيرة عن الحال القديم
فلي نفس ستذهب أو سترقى
لعمرك بي في أمر جسيم

وكشف بهلول عن صفحة من صفحات ذاته، عندما تأخذه غمرات الإحساس المفهم بالواقع المرير، بداخله، أو من حوله فيضطر إلى مواجهتها، بعزم، وثبات، لا يفتران، دون عدول عن سبيله، الذي اطمأنت إليه نفسه، وقاده إليه فكره، دون تردد، تاركاً أمر غد، وما قد يخفيه من عواقب لوقتها قائلاً[2]:

إذا هم ألقى بين عينيه عزمه
ونكب عن ذكر العواقب جانبا

---

(1) ديوان المصابين، 160..
(2) ديوان المصابين، 253.

ويغالب الجوع بهلولاً، ولا يجد ما يسد به رمقه، فينخرط في البكاء؛ لعله يجد فيه سلواه، وبعض دوائه، مما يضطرم بداخله من جوي، وتباريح؛ فيشفق عليه أحد مخالطيه، داعياً إياه إلى التذرع بالصبر، عسى أن يكون فيه شفاؤه، وتخفيف لوعته، غير أنه يرفض هذا الدواء الذي يعز عليه مناله، ويصعب عليه إدراكه، حالتئذ، رائياً فيه مرارة لا يقدر على تحملها، وعجزاً عن الفوز به، بقوله[1]:

يقولون لي: في الصبر روح وراحة

ولا عهد لي بالصبر مذ خلق الصبر

ولا شك أن الصبر كالصبر طعمه

وإني رأيت الصبر ممتنع وعر

وتزداد أحوال جعيفران سوءاً بعد سوء؛ بسبب ما بات بشعر به من حرمان، يباعد بينه، وبين مظاهر العيش الكريم، الذي يقتات به زاد يومه، في غير عجز، ولا هوان، أخذ يتساقط في دركاتها بائساً مهموماً، ولسان حاله يبوح بما آل إليه أمره، قائلاً:

لا والذي أنزل نعمه علي

وهو المفضل المنعم

مالي دينار ولا درهم

أشرب منه لا ولا أطعم

ولا يساوي درهماً واحداً

من ليس في منزله درهم

---

(1) ديوان المصابين، 191.

ثم نراه، في صفحة أخرى من شعره، يهب إلى الدفاع عن بعض ما يراه من مقومات عيشه، آنئذ، راداً على وصف أحد شعره بالرداءة، مقرراً أن دوران هذا الشعر على الألسنة، وفي المنتديات لكفيل أن يعد لنفسه الثقة المفتقدة مهما لاقى من صعوبات الحياة وأهوالها من حوله، بقوله[1]:

سوف أهجوك إن بقيت بشعر
ليس إن قوموه فلسين يسوى
ويقولون: ذا رديء وحسبي
أن يقولوا له: (رديء) ويروى

.. ونتقدم خطوة أخرى، في استماعنا لأصوات بوحهم الذاتي؛ فنطالع قول ماني، الذي راح يتأمل في أعماق ذاته، ويطيل التأمل، والتحديق، بنظرات لا ينقصها الوعي بما يدور بها أحياناً من أحزان وشجون، رائياً في شخصه مثالاً يحتذى للإنسان الصالح، الذي يقتدي به أبناء عصره، غير مطيل زيارة إخوانه؛ لكيلا يشعروا بالسأم منه، أو الإملال من صحبته، إضافة إلى إيثاره الوحدة، والعزلة، يأنس بهما قلبه، وتهدأ لهما نفسه، دون اضطرار إلى مغالبة الهواجس، والأباطيل الناجمة، عن صحبة بعض الناس، الذين لا يضعون الناس في منازلهم الجديرة لهم، بقوله[2]:

مدمن التخفيف موصول
ومطيل اللبث مملول
ليس لي إلف فيعطفني
فارقت نفسي الأباطيل

---

(1) ديوان المصابين، 22.
(2) شعر جعفر، 121، 131.

ويتقـدم العمر بأبي حية النميري؛ فـنراه يستشعر إعصـاراً جارفاً من الحزن العميـق، يزلزل ذاته الواهنة، ويدفعهـا إلى التشكي مما آل إليـه أمره من عجز، وضعف، يواكبـان هرمه وشيخوخته اللذين أقبل ركبهمـا المشئوم إلى رحابه؛ فصيره إنساناً آخر هامداً موجوعاً، أصيب بالعلل، والأسقام المتوالية، في ظهره، وأعصابه؛ مما دفعه إلى الاستعانة بعصا، أو أكثر، لمواجهة أعباء الحياة، بقوله[1]:

كفي حزنـاً أني أرى المـاء معرضا

لعينـي ولكـن لا سـبيل إلى الـورد

وما كنـت أخشى أن تكـون منيتي

بكـف أعــز النـاس كلهـم عندي

وقـوله:

وقــد جعلت إذا ما قمت يـوجعنــي

ظهري فقمت قيـام الشارب السكـر

وكنـت أمشي عــلى رجلـين معتدلاً

فصرت أمشي على أخرى من الشجر

ويعزف ماني على وتر هامس شجي من أوتار هذه المعزوفة الحانية، متأملاً جانباً مـن أحواله، وقد شـارف النهاية من عمره محتضـراً، يتمنى لو تنطق أحشـاؤه الهامدة بما بدا له من صفحات ذاته المشحونة بالخوف والترقب، والحـذر، وأنفاسـه تتضاءل، في خفـوت متوال، ونظراتـه ينتابها الذبول، والسقم ينهض؛ مسرعـاً في كل أنحاء بدنه، ودموعه تساقط غزيرة؛ جزعاً

(1) ديوان المصابين، 312، 326، 327..

من الموت وسكراته قائلاً[1]:

لـم يبق إلا نفس خافت

ومقلة إنسانها باهـت

بلى وما في جسمه مفصل

إلا وفيه سقـم ثابـت

فدمعه يجـري وأحشـاؤه

توقـد إلا أنـه ساكت

ويعيش سعدون لحظات الاحتضار؛ فيود لو أتيح لعينيه الواهنتين المقرحتين أن تجودا بالدموع الغزيرة؛ بكاء على نفسه، التي كم عاشت بين جنبيه، وتخفيفاً من الآلام المبرحة التي طغت عليه جاثمة.. منتقلاً إلى التنويه بما يتراءى لذاته، في أجزاء هذا الموقف الإنساني، والأدبي الفريد، إذ فرقت ريح الموت شمل أحبته، ونغضت لذاتهم، وقضت على طياتهم، وأجبرتهم على رفع رايات الذل، والانكسار، والخشوع لإرادته، بقوله[2]:

عيـن فابكي على قبل انطلاقي

بدمـوع تمل منها المآقي

وانظـري مصرعي فقد قضى الأمـ

ـر ونوحي على قبل الفراق

---

(1) شعر محمد، 185.

(2) شعر أبي حية، النصان: (13، 22).

وقوله:

نغص الموت ريحه كل طيب
ودهاني بفقد كل حبيب
ولكم إذ رأيت من حدث السـ
ن غريراً كغصن بان رطيب
أحس بالموت فانثني بانكسا
ر واضعاً خده بذل عجيب
قائلاً: إخوتي سلام عليكم
آذنت شمس مدتي بالمغيب

.. وثمة صفحات شعرية أخرى كثيرة تعالى فيها بوح الموسوسين الذاتي، وتولت أناتهم الحائرة وصيحاتهم المتقطعة.. ألا وهي التي أنشدوها فيما عرف، قديماً وحديثاً، بالغزل، أو العشق والمحبة.. وما نصطلح عليه باسم البوح العاطفي..

وقد تعددت مظاهر (البوح العاطفي) في ديوان هؤلاء الشعراء متجهة اتجاهات فنية عدة، متكاملة الدلالة على مدى اضطرام خواطرهم، واضطراب مواقفهم الأدبية، وتناقضها النسبي، مواكبة لاختلاف مواقفهم الإنسانية، عشاقاً متيمين غلبت على معظمهم دلائل التوله، والتشوق، والهيام الجارف؛ فاندفعوا يتمنون لحظة قرب يفوزون فيها بحب من وقعوا في إسار هواهن، وشغفوا بهن، رائين فيهن (المثل الأعلى) للجمال الإنساني، الذي لا يضارعه جمال.. ومن ذلك ما نطالعه بإنشادنا قول ماني[1]:

---

(1) شعر محمد، 202.

أتمنـي الذي أذا أنا أومأ

ت إليه بطرف عيني تجني

ثم نـراه يتقدم بمستمعه خطوة، أو خطـوات، في سبيل الوصول بمحبوبته إلى غايـة مثلي، من الجمال الذي يجمع بـين حسنيي الدنيا والآخرة؛ وذلك بوصفها بكل من الغادة، والطاووسة والجوهرة البحرية، والبانة المغروسة في جنة الفردوس، مما يجعلها تجل عن وصف الواصفين، وأفكار المتأملين، قائلاً:

وكيـف صـبر النفـس عـن غـادة

تظلمهـا إن قلـت: طاووسـه

وجـرت إن شـبهتها بانـة

في جنـة الفـردوس مغروسـه

وغـير عـدل إن عدلنـا بهـا

جوهـرة في البحـر مغموسـه

جلـت عـن الوصـف فمـا فكـرة

تلحقهـا بالنعـت محسوسـه

ويلاحظ قـارئ ديوان هـؤلاء الشعراء مدى إلحـاح أصحابه على فكرة (المثل الأعلى الجمالي) الذي حاولوا التسامي بمحبوباتهم إلى آفاقه السامقة، من خلاله، قاصدين به، فيما أرى، إلى ترجمة جانب من نزوعهم الفكري، والوجداني إلى عالم الفضيلة المفقودة في أنحاء متعددة من مجتمعهم العباسي، الـذي عاشوا في رحابه، متظاهرين، بهذا النـزوع الفني بمدى تطلعهم إلى الكمـال المنشود، يعرضون به شيئاً من أمانهم الداخلي السليب؛ بسبب ما

وقعوا في دركاته من مهاوي القلق، والتوتر، بأعراضهما الضاغطة عليهم.. أقول ذلك ولعلي على حق، مدفوعاً بوقوفي على أكثر من (15) نصاً شعرياً لأحد هؤلاء الشعراء، وهو خالد الكاتب الذي يبدو أنه واكب إشارتي ماني السابقتين، مضيفاً إليهما ما يؤكد ولعه، وشدة إدراكه، بهذا الجانب الواضح، فيما وصل إلينا من شعره.. فمرة نلحظ أنه يخاطب محبوبته، واصفاً إياها بأن محاسنها تدق عن الصفات، وتجلها الأبصار[1]:

يا من تدق عن الصفات محاسنه

وتجله الأبصار حين تعاينه

دان الجمال له فأيقن أنها

لا شيء أصبح مثله فيقارنه

ومرة أخرى يرى أنه بديعة، لا تحتويها النعوت:

يا بديعاً لا تحتويه النعوت

لك وجه تحيي به وتميت

وثالثة يستنكر أن تكون مخلوقة من طينة البشر:

لو كان من بشر لم يفتن البشرا

ولم يفق في الضياء الشمس والقمرا

ورابعة رأي أنها (مثل) إليه ينتهي المثل الأعلى:

مثل إليه ينتهي المثل

نصفان مرتج ومعتدل

غضن كأن الحسن يخنقه

بالنور ملتثم ومشتمل

---

(1) ديوان المصابين، 149، 132.

وخامسة حدد فيها بأنها عزيزة المثل من كل الورى:

عزيـز المثـل من كل الـ

ورى في الحســن منقطع

وسادسة يقرر أنها نور تولد بين الشمس والقمر:

نــور تولــد بــين الشــمس والقمــر

يجل حســناً عن الأشــباه والصور

وسابعة ينصح غيره إلى وجــوب قصر الحسن عليها، معللاً ذلك بأنها قد شارفت الغاية والمعدن في هذا الشأن:

لا تنسب الحسن إلى غيره

فعنــده الغــاية والمعــدن

وثامنة يخاطبها– مثبتاً لها صفة (التكامل) في جميع الخصال، التي تدفع الشمس والبدر يقبسان نوريهما من نورها:

الشــمس تقبــس نورها مــن نوره

والبــدر يحكيــه لعــز نظيــره

يــا من تكامــل في جميــع خصــاله

صــل مــن وصــلــت أنينــه بزفيره

.. ومرة نــراه يتوجه لها بالخطاب؛ ضارعاً بحسن وجهها، واصفاً إياها بروحه وريحانه، وسؤل نفسه، بقوله[1]:

---

(1) شعر محمد، 192، 173.

بحســن وجهك يا روحي وريحاني

وسـؤل نفـسي في سري وإعلانـي

ويا ضياءين من شمس ومن قمـر

يحويها قــده غصن مــن البــان

وأخرى يذهب إلى نفي الإحاطة بدلائل حسنها:

ما تصل الألسن في الـ

ـوصـف إلى أكـثـره

كيف بمن تنتسب الـش

شـمـس إلى جوهره؟!

وثالثـة يسلط أضـواءه الكاشفة تجاه ما يبهره من كمـال صورته، وزهرة وجهها، وضياء وجنتيها، وحمرة خديها، وفتور مقلتها، وعطفة ناظريها.. وما يتألف منها -جميعاً- من معالم الحسن والجمال قائلاً[1]:

بكمـال صورتـه وزهـرة وجهــه

وضيـاء وجنتـه وحمـرة خــده

وفتـور مقلتـه وعطفــة ناظــر

يزهـو بمـا فــي قـده مـن قـده

مـا قلـت أهـوى قبلـه أو بعــده

حاشـاه أن يبقـي هوى مـن بعده

---

(1) شعراء منسيون، ص 180، 116، 138، 148، 168، 153، 147.

ومن التغني بهذه الدلائل الواضحة للمثل الأعلى في المحبوبة؛ إلى إظهار مدى التشوق، والحزن العميق، اللذين بات يستشعرهما بكار، وهو يضطر اضطراراً إلى تقليب طرفه يمنة ويسرة، فيمن حوله؛ عسى أن تقر عينه برؤيتها، بقوله[1]:

كفى حزناً إني مقيم ببلدة
أحباي عنها نازحون بعيد
أقلب طرفي في البلاد ولا أرى
وجوه أحبائي الذين أريد

ومن تقليب الطرف، بكل ما يوحي به من حيرة واضطراب، إلى الإحساس المفعم بعدم الإدراك، والتمييز لمدى مرور الزمن؛ بسبب ما وقع فيه المحب الهيمان من التقلي بنيران محبوبته، والتخشع لسلطان هواها عليه، معبراً عن هذا، ونحوه، بقوله[2]:

لست أدري أطال ليلي أم لا
كيف يدري بذاك من يتقلى
لو تفرغت لاستطالة ليلي
ولرعي النجوم كنت مخلا
يا غزالاً من القصور تجلى
صام طرف لناظريك وصلى
كن عزيزاً أكن ذليلاً فإني
كلما زدت عزة زدت ذلا

(1) شعراء منسيون، 130.

(2) شعراء منسيون، 134.

وقد أدى هذا الإحساس بانعدام قدرته على التمييز بطول الوقت، أو قصره، إلى إحساســه بالرغبة الجامحة في التسليم طوعاً، لأمــر محبوبته، رائيا فيه دلالة قــوة على إخلاصــه لحبها، والتشوق لوصالها، مضيفاً إلى ذلك، ما نطالعه في موضع آخر من شعره، من إشارته البليغة إلى بعض مظاهر هذه الرغبة، قائلا[1]:

تعبدني أحور الناظر

فويلاه من طرفه الســاحر!!

وأورثني فترة في العظام

مــن طــرفه الفاتــر

ويعاني ماني من ويلات الصبابة، وتباريح الهوى القتال، ما يعانيه العاشق الولهــان، مما يجعله فريسة للاكتئاب الممص، الذي يترك آثاره الخطيره على بدنه المنهك المضرج بالدمــوع، والآلام، والأسقام، توقداً لكبده، وإضعافاً لنفســه، وفقداناً لإدراكه، وسداد عقله، بقوله[2]:

مكتئب ذو كبــد حرى

تبكي عليه مقلة عبــرى

يرفــع يمــناه إلــى ربــه

يدعــو وفوق الكبد اليسرى

يبقى إذا كلمته -باهتــاً

ونفســه مما به ســكرى

تحســبه مستمعاً منصــتاً

وقلبــه في أمــة أخــرى!!

---

(1) ديوان المصابين، 12.

(2) شعراء منسيون، 171.

ويكرر خالـد الكاتب عزفه على أوتار جانب من هـذه المعاناة القاسية، وهي تقرح كبده التي فتتها الوجد، الذي ألم بصاحبها، يقول[1]:

سـيدي أنت لم أقل سيدي أنـ
ـت لخلق سواك والصب عبـد
خـذ فـؤادي فقد أتـاك بـود
وهو بكر ما افتضه قط وجـد
كبـد رطبة يفتتهـا الوجـ
ـد وخـد فيه مـن الدمـع خد

وفي موضعـين آخرين[2] من شعره، يشير هذا الشـاعر إلى ما أصاب كبده العليلة من الأسقـام، والأوجـاع، والجراح المتواليـة، مما يجعلها في ذوبان تقاسي ما تقاسيه من ألم الوجد، وعناء الصدود، والتسخط، بقوله:

كبـد شـفها غليـل التصـابـي
بـين عتـب وسـخطة وعـذاب
كل يـوم تدمـي بجـرح مـن
الشـوق ونـوع مجدد مـن عذاب

وقولـه:

كبد المسـتهام كيف تذوب
ما تقاسي من العيـون القلوب
بـدن المستهام كيف تراه
شجـن ماله سـواه طبيب

---

(1) شعراء منسيون، 143.

(2) شعر محمد، 207 – 208.

ومـن الإشارة إلى الأكباد العليلة إلى الايمان الناطق بلغة القلق، والتوتر إلى القلـوب القلقة، التي لم تعد تقر في مكانها المعهـود من أجسـام أصحابها؛ بسبـب ما أصابها من إعصار الوجـد، وتياراته المرجفة، التي تكاد تعصف بالأحشـاء عصفاً يشعرها بفقدان القدرة على التوازن، وذلك ما نلحظه في إنشادنا قول الشـاعر نفسـه[1]:

فما أيســت عيني بشيء من البكا

ومـــا كان مــن فقد الرقــاد لها بد

ولا قــر قلبـــي ســاكناً في مكانــه

ولا كان منســوباً إلى غــيره الوجــد

وقولـه:

تقول: سلا فمن المدنف

ومن عينه أبـداً تذرف؟

ومــن قلبه قلــق خافق

إليك وأحشاؤه ترجف؟!

وفي مواضع أخرى من نفثات تجسيده مظاهر من هذه الشكوى، يطالعنا بالإشارات الموحية بما يمور بداخله من أنات قلبه، وتباريحه المتوالية، إضافة إلى أحاديث نفســه إلى نفسه، وقد انشقت نصفين، يتضور أحدهما بنيران اللوعة، وأحاسيسهــا المترعة بالغصص والآلام الشديـدة، حيناً، وشكوى الضمير إلى مثله، والقلب إلى صنوه، وقد طرأ عليها ريح التشتت، والتمزق؛

---

(1) شعراء منسيون، 125.

بسبب ما يلاقيه من أسر الصبابة، وقيودها الصارمة، حيناً آخر، بقوله[1]:

أإن بان من تهوى ركنت إلى الأسى
ونادى منادى الشوق قلبك بالذكر؟!
فما قر مذ فارقته في مكانه
ولا كان إلا طائراً ضل عن فكري
أحادث نفساً ترتقي كل ساعة
فأحبسها بين الترائب والنحر
ويبلغنيها غضتي وكأنها
ملذعة بين الجوانح بالجمر

وقوله:

يشكو الضمير إلى الضمير كما
يشكو الفؤاد عداوة البصر

وقوله:

وقائل لي: أين الصبر قلت له
كل الفؤاد من الأحزان فاحترقا

ومثله قول عبدالله بن أبي الشيص[2]:

إن لم أرَ بفناء بيتك واقفاً
فالقلب محتبس عليه وواقف!

---

(1) شعراء منسيون، 112، و110.
(2) شعراء منسيون، 154.

وبمداومـة البعاد والهجران، وما يواكبهما من صدود -يستشعر الشـاعر الهيمان لهيب الحرمـان، يصعب به، ويجعله يرى نفسه، بحالته الشعورية الماثلة أمام ناظريه أشبه بذبالة تنضب، فتضيء لمحبوبته، ولغيرها من الناس، وهي تحترق[1]:

أحـرم منكـم بمـا أقـول وقـد

نال بـه العاشـقون من عشـقوا

صـرت كأنـي ذبالـة نصبـت

تـضيء للنـاس وهـي تحتـرق

وتغالـب الأشواق المحب، فتجعله سقيمـاً نحيفاً هزيلاً، معذب القلب، يكاد يلفظ أنفاسـه الأخيرة، وتبلغ نفسه التراقي؛ بسبب أشواقه الجارفة إلى الفوز بملاقاة محبوبته التي ذاب فيها صبابة وهياماً[2]:

معذب القلب بالفـراق

قد بلغت نفسـه التراقي

وذاب شـوقـاً إلى غزال

أوضـع للبيـن بانطلاق

لـم يبق منه السقـام إلا

جـلداً على أعظـم رقاق

لـولا تسليـه بالتبكـي

آذنـت النفـس بالفراق

---

(1) شعراء منسيون، 144، 144، و159.

(2) ديوان المصابين، 219.

ويقع خالد الكاتب تحت سيطـرة الهوى القتال، مكابداً نيران الصدود، وآلامه، متقلباً بين زفرة حارة، وأنة واشتياق، وسقام، تتكاتف عليه، فتجعله محزوناً، يتلدد، واهن القوى، سكران، بغير سكر، غير مـدرك تمام الإدراك معـالم ما حوله، ومن حوله من عالمين، والعجز يضرب بجناحيه في أعماقه، ضرباً مبرحاً، يدفعه إلى التوهم، وعدم القدرة على الحركة المعتادة، ذاهباً إلى أن أيدي المحن، والشدائد قد تمكنت منه، وتلاعبت به، واغتالت أحلامه، ولبه الشارد المذهول، فأخذت به إلى دركات مفجعة من التقسم، والتنازع، بين أجزاء جسمه، وروحه، وفكره التي أخذ بعضها يعاتب بعضاً، ويلومه، ويوبخه، بقوله[1]:

منعته مـن طاعة العاذلينا
زفـرة تتبـع الأنيـن الأنينا
واشتياق نما السـقام عليه
مجمعاً أن يذيب قلباً حزينا

وقوله:

لما عرفت سريرتي أقصيتني
وتركتني متلـدداً محـزونا
ثقة بأني لا أفيـق ولا أرى
ديناً لقلبي غير حبك دينا

---

(1) شعراء منسيون، 158.

وقوله:

يا مـن تجاهـل عمـا كان يعلمـه

عمـداً وبـاح بســر كان يكتمـه

هـذا خليلـك نضـواً لا حـراك بـه

لـم يبق مـن جسـمهً إلا تـوهمـه

وقوله:

لعبت بنا أيـدي الخطـو

ب وغالنا ريب الـزمان

وقوله:

أراني ذليـل النفس مـذ أنت غائب

وأية نفـس لا تذل علـــى الهجر؟!

يعاتـب بعـضي فيك بعـضي وكله

إليك وحب العفو يســمح بالعـذر

وتخفيفـاً مـن حـدة الآلام، وشدة لذعها قلـوب المحبـين، وأرواحهم الهائمـة، نراهـم يسكبون الدموع الغزيرة، في القرب، وفي البعد، كل على السواء؛ مما يصيبهـم بالأذى المتلاحق، ويدفع أعينهـم إلى الشعور بالسخونة، والتحـرق والإعياء.. وهو شيء وصفه ماني، ولسـان حاله يترجم جانباً من واقعه الإنساني الذي اكتوى بنيرانه، قائلاً[1]:

---

(1) ديوان المصابين، 284 - 285.

ومـا في الأرض أشـقى مـن محـب

وإن وجـد الهـوى عـذب المـذاق

تـراه باكيـاً في كل حـين

مخافـة فـرقـة، أو لاشـتيـاق

فيبكـي إن نـأوا شـوقـاً إليهـم

ويبكـي إن دنـوا خـوف الفـراق

فتسـخـن عينـه عنـد التلاقـي

وتسـخن عينـه عـنـد الفـراق

ومثله، في هذا الشأن، ونحوه، أبو حية النميري، الذي لاحظ أن دموعه باتـت تنزل من عينيـه المقرحتين متلاحقـة، تواكب ما يمر بـه من مواقف معاناته مـع محبوبته، فأخذ يكفكف من دموعه؛ مشفقـاً على نفسـه، التي راح يراودهـا، ويحاول الحيلولة بينها، وبين مواقـف الحزن والبكاء، التي أوشكت أن تودي بحياته، وتوصله إلى دركات سحيقة خطيرة من عجزة، وشقائه، بقوله[1]:

اسـتبق دمعـك لا يـود البكـاء به

وأكفف بـوادر من عينيك تسـتبق

ومـا الدمـوع وإن جـادت بباقية

ولا الجفـون على هـذا ولا الحدق

---

(1) شعراء منسيون، 180، 181، 175، 186، و139.

وانتقل، في موضع آخر من شعره، يكشف عن معالم صفحة جلية من ذاته، وقد مر، مرتحلاً ببعض معالم محبوبته، فهاجت خواطره، وثارت مشاعره جياشة، مما اضطره إلى التذرع بالبكاء الغزير، غير أنه قد عمد جاهداً إلى كتمانه، والسيطرة عليه، متماثلاً، بعض الوقت، ثم بدا له أن انسكاب الدموع، في هذا الموقف الجلل، هو أقل خطراً، وأهون ضرراً عليه من احتباسه، الذي يؤدي إلى جعل ضلوعه تتقضقض، وجسمه يرتجف، بقوة، لوعةً، وأسىً وزفرة حنين، وضراعة، ولهفة، قائلاً[1]:

ولما رأى أجيال سنجار أعرضت
يميناً وأجيالاً بهن سروج

ذرى عبرة لو لم تفض لتقضقضت
حيازيم محزون لهن نشيج

أما عبدالله بن أبي الشيص فقد اتجه إلى الطرف الآخر/ محبوبته؛ ليصور جانباً من أحوالها، وقد أنهكها الشوق، وأذابها الوجد، مثله، فجعلت تواصل بالدموع دموعاً، بسبب ما آل إليه أمرها من ضعف وجزع، مستدركاً بمستمعه بأن ما تراءى لناظريه من دموعها إنما هي دموع أنثوية معصفرة بدماء، تختلط فيها الحمرة، بالبياض والسواد، وتنتظم كخرزات عقد عقيقي مفصل بالدرر، بقوله[2]:

(1) شعر محمد، 214.
(2) شعر أبي حية، النص رقم (30).

جعلـت تواصـل بالدمـوع دموعـا

جزعـاً ولـم تـك قبـل ذاك جزوعـا

وجـرى لها دمـــع يعصفـــره دم

في صحـن وجنتهـا فعـــاد نجيعـا

فكأنــه خـــرز العقيـــق مفصـلاً

بالدر يحســب ســلكــه مقطـوعا

وراح خالــد الكاتب يصور جانباً من غمـرة إحساسه المفعم بالتأسـف، والتكسـر، والوهـن، والضعف، والتقسـم والدعاء الضارع لله (سبحانه)، عسى أن يمـن عليه بنعمة الشفاء مما ألم به من أسـقام وعلل، قائـلاً[1]:

هـــذا محبـك مطـوي عـلى كمده

عـبرى مدامعه يبكي على جسـده

لــه يـد تســـأل الـرحمـــن راحته

ممـا بـه ويـد أخـرى عـلى كبـده

يا طول زفرته مـن طـول حسرته

ومـا أعـد لــه في يـومـــه وغـــده

يا مـن رأى أسـفـاً مستبعداً دنفاً

كانـت منيتـه في عينـه ويـــده؟!

(1) شعر أبي حية، النص رقم (9).

وانتقـل، في موقف إنساني وأدبـي آخر، يدعو على نفسه راضياً بتنغيص العيش، ومرارتـه، إن خطر عليها (الوسوسة) بنسيـان محبوبته، أو الهمس بالتسلي عن حبه لها، والإخلاص لودها، متسائلاً، في استنكار بالغ: كيف يقـدم، كارهاً، أو مختاراً، على هذا التسلي، وذاك النسيان المستحيلين، وقد استكن هوى محبوبته بـين جوانحه، ناطقاً بما يتراءى للأعين من بكاء حار، بين فينة وأخرى، تخفيفاً من لوعته، وتلظي جوارحه المشتاقة إليها[1]:

لا صفا لى العيش إن لم
أك مـشـتـاقـاً إليكـا
كيـف أنسـاك وما بالـ
جسـم يحكـي مقلتيكا
ودمـاً أصبـح دمـعـي
ظاهراً في وجنتيـكا..؟!
أنـا منـسوب إلـى حـب
بـك مـوقـوف عليـكا..

ومن الدعاء على نفســه، والتساؤل الغاضب عن شأن جانب حيوي من واقعـه ومآله، علـى لسان خالد، إلى اللجوء إلى مناجـاة الفكر، على لسان ماني، الذي يصف كيف تحير الدمع بمقلتيه، تحيراً يترجم جانباً ملموساً بارزاً مـن تحير أمره، وتشتت فكره، وشعور بالقلق المتزايد، موقوفاً على مكابدة الأشواق، وما يترتب عليها من آلام، وأوجاع[2]:

(1) ديوان المصابين، 217.
(2) شعراء منسيون، 131.

وقمت أناجي الفكـر والدمع حائر

بمقلة موقوف عـلى الضر والجهد

وفي وقوفنـا عند صفحات أخرى من ديوانهم الشعري -نلاحظ إلى أى مدى سجلت بصائرهم الفنية، بوعي، وإدراك فائقين وقوعهم تحت دائرة التجني، والجبروت المسلطة عليهم، من قبل محبوباتهم، اللائي يأتين (رمزاً فنياً)، متجدداً الدلالة، فيما يبدو، لجانب اجتماعي، أو اقتصادي، تسلطي قاهر، عانى هـؤلاء الشعراء من ويلاته، وطغيانـه؛ ولذلك راحوا يدبجون الأشعار؛ تعبيراً عن إحساسهـم الممض.بمدى التضارب الملحوظ في سلوك كل منهـم، على حدة، في تعامله مع الآخـر، وأعني به المحبوبة، وقد خيل لهـا، أو لهن، أن إظهار وسائل التودد إليهن صار ذنباً كبيراً يستحق المحب المشـوق عليه عقوبة صارمة، كما أنشد أبو حية[1]:

ليالـي أهلانا جميعاً وحولنا

سوائم منها رائح وغريـب

وإذ يتجنبن الذنوب ومالنا

إليهـن إلا ودهن ذنـوب

أمـا عبدالله بن أبـي الشيص فقد وصف جانباً من صـورة محبوبته المتأبية الطاغيـة الظالمة، وقد بدت معرضة عنه، مجافية لـه، ظانة أن الهجر فرض، تقتضـي به مـن جراء ذنـب لم يرتكبه، وتلاحقـه بالتمـادي في الإعراض

---

(1) شعراء منسيون، 161.

والصدود والهجران[1]:

ومعرضة تظن الهجر قرضاً

تخال لحاظها للضعف مرضى

كأني قد قتلت لها قتيلاً

فما مني بغير الهجر ترضى!!

وغدا جعيفران إلى تصوير مشهد وداعي حزين جمع بينه وبين محبوبته، يوماً، وقد ظهر منها على تباعدها عنه، من أطراف مخضبة بالحناء، أو غيرها، وتجافت عنه مولية، تستشعر حرقة البين، ولوعة الفراق المضنية، مودعة دون هم، أو نطق بلسانها المبين شيئاً، مكتفية بتحيته الجميلة، والإيناس بما أوحت به عيناها الساحرتان من كلام، يعجز غيرهما عن ترجمته، وفك أسراره، والوشاية به، والإيقاع بينهما؛ بسببه قائلاً:[2]

أبدت على البين أطرافاً مخضبة

لما تولت وخافت حرقة البين

وودعتني وما همت وما نطقت

وإنما نطقت وحياً بعينين

بلى فلو أومأت نحوي بإصبعها

إيماءة ختلت عنها الرقيبين

---

(1) ديوان المصابين، 268.

(2) شعر أبي حية، النص رقم (3).

ويقـدم خالـد الكاتب على مشهـد وداعي مماثل؛ فـنراه يتوقف مع قلبه الحائر المضني، وقفة تأمل، وتدبـر، وتساؤل، وتحسر وإشفاق، مسائلاً إياه عما هو صانع في غـده الآتي بحتفه، ومجدداً السـؤال والرجاء الموصولين لمحبوبتـه القاسية؛ عسـى أن تشفق عليه، وترحم ضعفـه وشكايته، مختتماً بإبداء آيات ضراعته لله ذي الحول والطول؛ عسى أن يهبه من نعمته وفضله صبراً وسلوانا[1]:

غداً أيها القلب ما تصنـع
أتصبر للبيـن أم تـجزع؟!
كأني بصبرك في أمرهـم
مـودع غير الـذي ودعـوا
أما راقب الله يوم الفرا
ق فيمن هو المدنف الموجع؟
أيـا رب لا عـبرة تنفـع
ولا دعـوة فيهم تسمع؟!

وانتقـل، في موضع آخر من شعره، يصور بإيجـاز وإيحاء بالغين، كيف وقـف هو ومحبوبته، في مشهـد وداعي آخر يتبادلان الآهـات والزفرات، والدموع والشكاية، قائلاً[2]:

وقفنـا وثالثنـا عـبرة
ويشكـو إلى وأشكو إليه

(1) ديوان المصابين، 216.
(2) شعر جعفر، 122.

وفي الوقت نفسه نلاحظ، في تأملنا ببعض معالم ديوانهم الشعري، مدى مواكبتهم معاصريهم وسابقيهم من الشعراء المتيمين والعشاق الملتاعين؛ بلجوئهم إلى تبادل الرسل والهدايا الرمزية، وممارسة بعض طقوس العشق والصبابة المتوارثة.. وإن جنحوا بها وجهة أخرى؛ يترجمون بها جانباً، أو أكثر من جوانب محنتهم الكؤود، مصابين يتجرعون كؤوس العلل والأسقام، تتعالى زفراتهم الصادرة من أعماقهم المكلومة، مجسدة مظهراً ملموساً من مظاهر معاناتهم، وضعفهم، وتقطع أنفاسهم.. ومن ذلك ما يطالعنا به خالد الكاتب بإشارته إلى الاستعانة بزفرة حارة، ونفس خافت مصدور رسولاً صادقاً أميناً؛ يؤدي رسالته المحملة بتباريح صدره، ولواعج وجدانه إلى حبيبته، بقوله[1]:

إنـي إذا لـم أجد شـخصاً لأرسـله

وضاق بـي منتهى أمري وملتمسي

لمرسـل زفـرة مـن بعدهـا نفـس

يا ليت شـعري هل يأتيكم نفسي؟!

وانتقل، في صورة شعرية غزلية أخرى، إلى الاستعانة بدمع عينه المتواصل رسولاً؛ ينطق بحرارة مشاعره، وصدق أحاسيسه، وحسن مؤمله من محبوبته[2]:

---

(1) شعراء منسيون، 152.

(2) شعراء منسيون، 190.

دمـــع عينـــي كان مشتا

قـــا إلى قـــــرة عـــيني

إنــــه كـــــــان رســـــــولاً

بينـــه الدهـــر وبينـــي

أما أبو حية فقد اتخذ الرياح العليلة، بعبقها الطيب الفواح رسولاً، شاهداً عليه، يبلغ محبوبته ما يمور بداخله من محبة شديدة، وأشواق غامرة نحوها[1]:

إذا ريدة من حيث ما نفحت له

أتاه بـــريـــاها خليل يوصله

ويشير خالـد الكاتب إلى تفاحة (مجرحة) بعثت بهـا محبوبته إليه، منوها بوقعها الطيب، وفعلها الحسن على قلبه وروحه[2]:

تفاحـــة جرحـــت بالدر مـــن فيـــها

أشـــهى إلي مـــن الدنيـــا ومـــا فيهـــا

كما يلفتنـــا إلى بعض مواقفه الغرامية الحانية النـــادرة، التي شهدت تبادل التحيات القلبية العامرة بالبهجة، والإيناس المفقودين، في كثير من الأحيان، مستعيناً بالورود المتألقة المنداة بقطرات الندى لسان محبة وأشواق، غامرة، وضمير ذوق رفيع[3]:

عشـــية حيـــاني بـــورد كأنـــه

خـــدود أضيفت بعضهـــن إلى بعض

---

(1) شعراء منسيون، 148.

(2) شعراء منسيون، 185.

(3) شعر أبي حية، النص رقم (50).

ومواكبــة لهذا، ونحوه - نراه يوجه خطابه الشعري المشحون بالشجن، والحنين إلى من يراهما أهلاً لتلبية ندائه من محبيه، وخاصته؛ عسى أن يريا فيه (هدياً) صالحاً للفداء، والتضحية، والإيثار، يستعينان به على الوفاء بالحقوق المفروضــة عليهما؛ تقرباً إلى محبوبته، وتزلفاً، بعد مماتها، وفوزاً بما حرم منه في سنــي حياته الدنيا مــن وصال عزيز، وأمن منشــود، يعيدان له بعض ما افتقده، أو يصبو إليه في غده[1]:

احملاني إن لم يكن لكما عقر
إلى جنب قبــره فاعقرانـــي
وانضحا من دمي عليه فقد كا
ن دمي من نداه لو تعلماني!!

ومــن هذه الرغبــة الجامحة في التواصل المنشود مع حبيبتــه حياً وميتاً، إلى الكشــف، بجلاء، عــن بعض مواقفهم الأخرى التــي نراهم فيها، كغيرهم مــن المولهين العشاق، مدفوعين إلى الفــوز -واقعاً، أو فناً- بريا محبوباتهم، وشهد رضابهن، وريقهن العذب، يترشفون برحيقه الطيب جزءاً، يداوون بــه علتهم، ويــروون به ظمأهم، ويشفــون به غلتهم الصاديــة التي حالت ظروفهم الخاصة دون تحقيقه.. ومن ذلك ما يطالعنا به ماني، الذي وصف جانبــاً من سعادته، ونهمه البالغين في تقبيــل مبسم محبوبته، والتلذذ بنكهة فمها العذبة، مهما كلفه ذلك من وزر، في الدنيا والآخرة[2]:

---

(1) شعراء منسيون، 187.
(2) شعراء منسيون، 150.

ولقـد قلـت حيـن قبلت منه

مبسماً مثـل نكهة النمـام

رب إن كـان ذا حرامـاً فإني

أشتهي أن تخصني بالحرام!!

أمـا خالد الكاتـب فقد أشـار إلى أن فـوزه بتقبيل فم محبوبتـه، والتغني بذكـره قد انقلب عليه وبالاً؛ ما بعده وبال، بات يتجرع فيه كئوس الضنى والعذاب[1]:

عذابـي بعـذب الذكر عـذب المقبل

ومن سـهمه الريان مـن دم مقتل

.. وتعويضـاً عن بعض أسباب هـذا الوئام الإنسـاني المفتقد بينهم وبين نسـاء عصرهم، وبناته، وتعبيراً عما يمور بداخلهم من مشاعر فوارة، كانت تنطـق بالقلق المتزايد، والتوتر المتصاعد -لجأ بعض هؤلاء الشعراء إلى بث خواطرهم، ومداد مشاعرهم وجهة أخرى، تتجاوز الخلق الموصوفين على ألسنة هؤلاء الشعراء، وغيرهم، بالظلم، والتجاهل- إلى الخالق (عز شأنه)، الـذي لا يخيب قاصده، ولا يتعثر محبـه، ولا تضل خطواته، وهي الوجهة التي جسدتهـا بعض أشعارهم التي تنتظم فيما عـرف بالحب الصوفي، أو الحـب الإلهي، الذي أراه -ولعلي على حق في هذا- لبنة فنية أخرى تؤكد إحساس هؤلاء الشعراء بالغربـة بمظاهرها، وأسبابها المختلفة، وما يواكبها مـن قلق متزايد، وشك مرضـي متصاعد تجاه أبناء عصرهـم، الذين أساءوا

---

(1) شعراء منسيون، 184.

معاملاتهم، وساعدوا في مضاعفة شعورهم بالبأساء، والضراء، والكرب المتلاحق، الذي يواكب معاناتهم من علة الوسوسة؛ مما دفعهم إلى محاولة التسامي، بقصد، وبصيرة نافذة، ونفس راضية مطمئنة، بعد طول التياع، وتوجس، وتشك إلى رحاب قدسية جليلة هي رحاب (الذات العلية)، تبادلها حباً بحب، وقرباً بقرب، ونجوى بنجوى.. فها هو ذا سمنون المحب ينفض يديه من التعامل مع بني جنسه، من الآدميين؛ بعد طول معاناة معهم، ويأس، وإحباط، ويشعر، ببصيرته النافذة، أن المستحق الأوحد للإجلال، والتقديس، والمحبة الخالصة هو الله الفرد الصمد (جل جلاله)؛ لذلك فهو يحث عينيه اللتين طالما بكتا؛ تسلية له في مواقف مختلفة سابقة- على سح الدموع غزيرة، ويحض نفسه على التفاني ذوباناً ووجداً، بمحبته (سبحانه)، قائلاً[1]:

يا عين سحي أبدا
يا نفس موتي كمدا
ولا تحبي أحدا
إلا الجليل الصمدا

أما سعدون فقد أشار إلى أن أنسه بالله (تعالى) قد أغناه عن مخلوقاته؛ لذا فإنه يداوم على التمسك بحبال محبته له (سبحانه)، ويحرص على وصاله، ومداومته على الفوز بقربه، وحرصه على الاهتداء إلى سبيله[2]:

---

(1) شعر محمد، ص 188.
(2) شعراء منسيون، 174.

أنســت به فلا أبغي سواه

مخافة أن أضـل فـلا أراه

وفي موقف شعري آخر، أكثر تفصيلاً، يصرح بمدى (ملالته) من الإيناس بحـب البشر؛ مما دفعـه إلى هجرهـم، في سبيل الفوز بمحبـة الله الوهاب، والتشـوق إليه (سبحانه)، متحملاً في ذلك مـا لا يتحمله غيره من مفارقة النـوم، ومصاحبة السهد، والأرق، والضني والسقام، وما يؤاكبه من شرود الذهـن، واختلاله، ممـا عرضه لسخريـة الساخرين، ووشايـات الواشين، ولســان حاله ينطق، بوحـي وإيماء، وإشارة بليغة لا يفطـن لدلالاتها المبينة سـوى أمثاله من المتيمين الخلصاء، إخفاء لمـا يستكن بين الضلوع من حب مقدس سام، وغرام مبرح متنام، ترك آثاره البارزة في جسده النحيلَ[1]:

هـجـرت الورى في حب مـن جادَ بالنعم

وعفـــت الكـرى شـوقاً إليــه فلم أنم

وموهــت ذهنــي بالجنون على الــورى

لأكتـــم ما بي فــي هـــواه فما انكـتم

فلمـا رأيـت الشـــوق بالحـــب بائحاً

كشـفت قناعـي ثـم قلـت: نعـم نعم

فإن قيل: مجنون فقـد جنني الهـوى

وحرمـة روح الأنس في حنـدس الظلم

(1) رائق الشهد، 42.

لقـد لامنـي الواشـون فيـك جهالـــة

فقلت لطرفي: أفصح العذر فاحتشـــم

فعاتبهـــم طـرفي بغـير تكلـــم

وأخبـرهـم أن الهوى يـورث السـقـم

ومواكبـة لذلك راح سمنون لاهجـاً بلغة الدموع والأشـواق، يستعين بمفرداتهـا الفريدة علـى تخفيف بعض لواعجه، وأحزانـه التي خلفتها فيه أحاسيس العشق، ومواجده، واصفاً نفسه بالمعذب بنيران الهوى المسعورة، التـي طالمـا ابتلي بلهيبها من جزاء مخالصته الحب لمـن يعجز عن معاتبته، أو مجرد التفكير في صده وهجراته[1]:

بكيت ودمع الشـوق للنفس راحة

ولكن دمـع العين ينكي بـه القلب

وذكـرى لمـا ألقـاه ليـس بنافـــع

ولكنـه شيء يهيـج بـه الكـــرب

ولـو قيل لي: ما أنـت؟ قلت: معذب

بنـار مواجيـد يضـرمهـا الغيـب

بليـت بمـــن لا أسـتطيع عتابـــه

ويعتبنـي حتـى يقـال: لـه الذنب

---

(1) ديوان المصابين، 161.

ونـراه، في موقف شعـري مماثل، يعـاود الإشارة البليغـة إلى لغة العتاب المتبادلـة -في ضميره- بينه، وبين محبه الأعظـم، منوهاً بأن هذا العتاب إنما يزيـد من انشراح صدره، وقرة عينه، وهدوء نفسه، ويجعله مبتهجاً بلذات الصبابة، مسروراً بنشوة الإيناس، وعبق الوداد[1]:

يعاتبنـي فينبســط انقبـاضي

وتسـكـن روعتـــي عنـد العتـاب

جـرى في الهـوى مـذ كنـت طفلاً

فمـا لي قد كـبرت عـن التصابي؟!

ونلاحظ، في تأملنا بمواضع متعددة من ديوانهم الشعري، مدى مواكبتهم بـين أجواء هذا العشق النوراني بمفرداتـه، ومعالمه المشار إليها، في الفقرات السابقة، وبين تلك (المناجاة) الفريدة التي درجوا على إجرائها، بين الحين، والآخـر، كاشفين بها عـن بعض صفحات ذواتهم المشرقـة، حالتئذ، وقد تيمها العشق الإلهي، وسمـا بها إلى رحابه المقدسة؛ فأحسنت التقرب إليه (سبحانه)، مدفوعة بما يراه أصحابها، أو بما نراه من أحاديثهم الهامسة، التي تميط اللثـام عما يستشعرونه من مراقبة إلهية دائمـة شاملة لكل حركاتهم، وسكناتهم، وظواهرهم، وبواطنهم، آخـذة إياهم إلى آفاق متسامية عزيزة مـن الورع، والحياء، وإخلاص العبادة، والمودة، والرغبة في مواجهة المحن والشدائد، التي تورث أصحابها قوة بعد قوة، ويقيناً ما بعده يقين، ولسان

---

(1) ديوان المصابين، 158، 159.

أحوالهـم الأنس به (تعالى) والتلبية بذكره، والفـوز بنعمة رؤيته بذواتهم، وفي كل مـن حولهم، وما حولهـم من مخلوقات، تسبـح بحمده، وتنطق بجلالـه، وعظمتـه، والرضا بطول المجاهـدة في سبيل محبتـه والانقلاب الحسـن بنعمته، ورضوانه، ومداومة وصاله المحمود.. ومن ذلك ما نطالع أصداءه في قوله:[1]

كأن رقيبـاً منـك يرعـى خواطري

وآخـر يرعـى ناظـري ولسـانيـا

فما خطرت مـن ذكر غيرك خطرة

عـلى القلـب إلا عرجـا بعنانيـا

وقوله:

ضاعف على بجهدك البلـوى

وابلغ بجهدي غاية الشكوى

واجهد وبالغ فـي مهاجرتي

واجهر بها في السر والنجوى

فإذا بلغـت الجهد في فلـم

تترك لنفسك غاية قصوى

فـانظر فهل حـال بي انتقلت

عما تحـب بحالة أخـرى؟!

(1) ديوان المصابين، 173174.

وقوله:

لا لأنـي أنسـاك أكثـر ذكـرا

ك ولكـن بـذاك يجـري لسـانـي

أنت في النفـس والجـوارح والفكـ

ـر وأنـت المنـي وفـوق الأمانـي

فـإذا أنـت غبـت عنـي عيانـاً

أبصرتـك المنـى بـكل مـكان

ومثلـه كثير[1].. مما لم يتفـرد به سمنون المحب، وحـده، وإنما شاركه فيه صنـوه سعدون، الذي يطالعنـا في أكثر من موضع من شعره بندائه الشجي الـذي يرسله حانياً؛ (مناجاة) لربه، (سبحانه) واصفـاً إياه بما يليق بفضله، وإحسانـه، وجلاله، وكماله، وقدرتـه المتفردة على رؤيـة باطن اعتقاده، ومنتهـى أمر فؤاده، وشآبيب رحمته، مبتهلاً إليه، وكله ضراعة، وخشوع، وإخلاص، عسى أن يصلح فساد ما اعوج مـن أموره ويمن عليه بما يحفظ عزته، ويصون بهاء وجهه في الدنيا والآخرة بقوله[2]:

يا من يرى باطن اعتقادي

ومنتهى الأمـر في فؤادي

أصلح فساد الأمـور منـي

ولا تـدع موضع الفساد

---

(1) ديوان المصابين، 170.

(2) ديوان المصابين، 197، 196، 136، 193.

وقوله:

يا من كلما نودي أجـابا

ومن بجلاله ينشـي السحابا

ويا من كلم الصديق موسى

كلاماً ثـم ألهمه الصوابا

ويا من رد يوسف بعد ضر

على من كان ينتحب انتحابا

ويا من خص أحمد باصطفاء

وأعطـاه الرسالة والكتابا

وقوله:

أتتركني وقـد آليت حلفـاً

بأنك لا تضيع من خلقتا

وأنك ضامن في الرزق حتى

تؤدي ما ضمنت وما قسمتا؟!

وإنـي واثـق بك يا إلهـي

ولكن القلوب كما علمتا..!!

وقد تفرعت من دوحة هذا العشق الصوفي المتسامي شجرة ظليلة حانية، جنـح فيها هـذا الشاعر / سعـدون، إلى رحاب سامقة، غـير متناهية، تبعد عـن مـدارك الكثيرين من الخلـق، في كل زمان ومـكان، ألا وهي جنة الله

(سبحانــه) التي أعدها لعبــاده المخلصين، ثواباً لهــم، وتسلية عن بعض ما لاقوه من مواقف الحرمان، التي طالما عانوا منها في حياتهم الدنيا..

وكأني بهــذا الشاعر، ونحوه، في مسلكه الفنــي الذي خصص له بعض نصوصه الشعرية يسلي نفســه، وأترابه من المبتلين، والمصابين، والمنسوبين إلى كل مــن الجنــون والوسوســة، وما واكــب ذلك، وغيره مــن افتراءات المفترين، وادعــاءات المدعين، وبذاءاتهم المترامية عليهم، بوسائل، ومظاهر مختلفة.. كأني به يعزي نفسه، ويروض قلبه، بما أعده الله (تعالى) لمن صبروا، واحتسبــوا، وجاهــدوا في سبيلــه، وأحبــوه، وتعلقــوا بمودتــه، في سرهم ونجواهم، وأفعالهم الصالحة، ودعــوه مخلصين، رغبة، ورهبة، وزهدوا في متع الحيــاة الدنيا الزائلة، وعاشوا بنفس راضيــة مطمئنة، أو لائمة تحررت مــن هواجسها، ووساوسها، وقلب سليــم خلا من الغل والحسد، واطمأن بذكر الله (جــل شأنه)، وذكر أنعمه، والإقرار بوحدانيته، وكماله، وجلال وجهه، وعظمة سلطانه؛ ولذا فقد سلط نواظر بصيرته، لتكشف له، ولقراء شعــره، عما لاح له في (أفق ذاته) المستنيرة من معالم جنة الخلد، وخاصة ما افتقد نظائرها في حياته الدنيا من أولئك الجواري، من الحور العين الفائقات حسنــاً، وجمالاً، وقــد بدت كل واحدة منهن في غاية مــا يتمني من فتنة، وزينة، وتألق، تداعب من أعدت، وهيئت له من أهل الجنة، ولسان حالها: طبت، فحسن ثوابك.. ونحو ذلك مما نطالعه بقوله[1]:

---

(1) ديوان المصابين، 176، 184، 187 – 190.

إن فــي الخلــد جــاريــه

هــي حـســن كمــا هيــه

لــو تراهــا عــلى النــمــا

رق بالغنــج مــاشــيــه

لـتـمـنـيـت أنــهــا

لــك مـــا عشـــت بــاقيــه

كتبــت فـــي شــقــائــق الــ

ـخلــد ســـطراً بغــاليــه

أنــا لــلــزاهــد الــذي

عينــه - الــدهــر باكيــه

وقوله:

تفهــم يــا أخــي وصــف المــلاح

وقــد ركبــوا النجائــب في الوشــاح

مــن الحــور الحســان منعمــات

تفــوق وجوههــا ضـــوء الصباح

براهــن المهمــين مــن عبيــر

وشرفــهــن حقــاً بالفــلاح

وقوله:

قبـــة مـــن جواهـــر الخلـ

ـــد بـــالـــدر رصـــعـــت

حجبـــت كـــاعب مـــن الـ

ـحـــور فيـــهـــا فـــأبـــدعـــت

عـــجـــب الحســـن والجمـــا

ل إذا مـــا تـــطـــلـــعـــت

متـــع الحـــب بـــالحـــبـــيـ

ـــب كـــمـــا تمتـــعـــت

وقد نجح هذان الشاعران في تشكيل هذه اللوحات الفنية الأخيرة؛ إبرازاً لموقـف، أو أكثر، من مواقفهم الإنسانية، والأدبية، وقد تحررت ذاتهما من قيودها الصارمـة المفروضة عليها، من داخلهمـا، أو خارجهما، وانبعثت مولوداً جديداً من رحم (التجربة التأملية) الرحبة، التي عايشاهما، ولتصل، متأخرة، أو غير متأخرة إلى درجة ثابتة، مطمئنة من اليقين الإنساني المأمول، الـذي يخفف عـن أصحابه جـزءاً من غلـواء إحساسهم المتجـدد بالغربة الـكأداء، والقلق، والتوتـر، والتساؤل الحائر المستمـر، عن مصائرهم، في غمرة معاناتهم من الوساوس، وترهات الجنون، واختلاط المدارك..

غير أن هذا النجاح النسبي المؤقت -في نظري لا يجب أن يبعدنا، كثيراً، عن الإطار العام الذي دارت حوله مضامين صورهم الشعرية التي عرضنا

لها، في دراستنا لجوانب من (بوحهم الذاتي)، الذي فاض بشكواهم المرة، من ويلات معاناتهم الظاهرة، وشبه الظاهرة، مما رموا به، ونسبوا له من جنون ووسوسة، فعبروا عنه، في مواقفهم الشعرية السابقة، بما يجسد توترهم، وقلقهم ويؤكد صحة جانب مما رأيناه، في ختام المبحث السابق، من اقتراح (مفتاح شعري) يسهل لنا آفاق تذوق شعرهم، وتحليله، ويدفعنا هذا التأكيد إلى حاجتنا إلى إعادة طرح هذا السؤال، الذي استهللنا به مبحثنا هذا، من جديد، وهو:

إلى أي مدى تأثر هؤلاء الشعراء بعلتهم، عند إنشادهم نصوصهم الشعرية، التي واكبوا بها انخراطهم في روح عصرهم، وبنائه الاجتماعي، والفكري.. والقيمي..؟!

وهو السؤال الحيوي الذي نخصص لإجابته صفحات المبحث التالي، إن شاء الله..

2 ـ شعرهم الاجتماعي

واكب الشعراء الموسوسون العباسيون اتجاهات معاصريهم، وبعض سابقيهم في إسباغ مظاهر الثناء على ممدوحيهم، رائين فيهم مظهراً، أو آخر، من دلائل (المثل) الاجتماعي، أو السياسي، أو الديني الأعلى المنشود..

غير أن قارئ ديوان هؤلاء الموسوسين -يدرك إلى أي مدى ارتبطت مدائحهم، بقصد، أو بغير قصد، بخيوط قوية، نبعت من ذواتهم المكلومة والمتضررة من أعباء ما وصفوا به، أو نسبوا إليه من علل وأسقام؛ مما دفعهم

إلى التأثر، في طيات هذه المدائح ببعض ما انتابهم، حيناً من قروح خلفت في داخلهم، وعلى مرأى من أجسامهم، حريصين على تقسيم أكثر ما وصل إلينا من لوحاتهم الشعرية المدحية قسمين متكاملين، أولهما: يتصل بذواتهم، وما أصابهم من العدوى، أو الفقر، والحرمان، والسأم، ونفاد الصبر ومرارة السؤال، والقيود الاجتماعية الصارمة..

والآخر: يقصد ممدوحيهم، وقد رأوا فيهم معقل آمالهم، وطوق نجاتهم مما تهاووا فيه من دركات المرض، والعوز المهلكة.. ومن ذلك ما نلحظه بإنشادنا لامية جعيفران، التي مدح بها أبا دلف العجلي، مصوراً إياه كريم النفس واليدين، جواداً، سخياً، متناهي العطاء، صانه من الوقوع، متهالكاً ذليلاً، يتكفف الناس، قائلاً[1]:

يا معدي الجود على الأموال

ويا كريم النفس في الفعال

قد صنتني عن ذلة السؤال

بجودك الموفي على الآمال

وفي دالية موجزة أشار إلى ممدوحه وما وصف به من غاية الكرم، ومنتهى الفضل، مجسداً في مدحه إياه صفة من صفات بعض الموسوسين، وهي الجنوح للمبالغة، أحيانا وذلك برفع ممدوحه عن درجة الإنسانية، أو البشرية المعهودة، إلى أفق أسنى من (الألوهية)، معرجاً في صدر مدحته على صفحة

---

(1) ديوان المصابين، 143، 133، 135.

من صفحات ذاته المفجوعة، بقوله[1]:

يــا أكرم الأمة مــوجــودا

وأفجع الأمـــة مفــقودا

لما ســألت الناس عن واحد

أصبــح في العــالم محمودا

قــالــوا جميـعاً: إنه قــاسم

أشبه آبـــاءً له صيــدا

وانتقل في (مقصورة) إلى وصف ممدوحه نفسه بالسيادة، والمجد، وسعة البذل، والجـود، وما يتصل بذلك من كثرة استقبال الأضياف، وإكرامهم، مصـدراً مدحته بصفحة ذاتية، تتعلق بنفســه العفيفة التي تعاني من ويلات الفقـر، والملال، والصـدود من قبل من يعاشرهم، الذيـن يسيئون معاملته، قائلاً[2]:

أبــا حســـن بلغــن قــاسماً

بــأنــي لــم أجفــه عــن قلي

ولا عـــن مـــلال لإتبانـــه

ولا عن صــدود ولا عن عني

ولكـــن تعـففت عن مالـه

وأصــفيتــه مدحتــي والثنا

---

(1) ديوان المصابين، 164، 139، 140، 136.

(2) شعر جعفر، 114.

أبــو دلـف سـيـد مـاجـد

سنــي العطية رحــب الفنــا

.. واستهل ماني مدحه لمحمد بن عبدالله بن طاهر (ت253هـ) بمطلع حكمي، مما يجري مجرى الأمثال، ذاهباً، من خلاله، إلى النصح والتوجيه لمستمعيه بوجوب تخفيف زياراتهم للأصحاب، جانحا صوب الاستعانة ببعض المفردات ذات الارتباط الوثيق بمجريات حياته ولاسيما فيما نلحظه من إشارته إلى (الإدمان)، و(الإملال) مثنياً على ذلك ببوح (ذاتي)، وصف فيه جانباً من وحدته التي يعيش فيها حبيس الآمال، ينتظر نعمة ممدوحه الأمير الذي يصله برفده، فيخفف عنه بعض شجونه وأحزانه، ويعيد له أنسه السليب، بقوله[1]:

مدمـن التخفيـف موصول

ومطيــل اللبــث مملـول

ليـس لي إلـف فيعطفنـي

فارقـت نفـسي الأباطيـل

أنا موصــول بنعمـة مـن

حبلــه بالمجــد مـوصول

أنــا مغبـوط بنعمـة مــن

طبعــه بالخـير مأمـول

وانتقل، في (فائية) موجزة، إلى مدح إبراهيم من المدبر (ت275هـ) واصفاً إياه بما هو أهله من كرم، وسخاء، معرجاً، في الوقت نفسه، على صفتين

---

(1) شعر جعفر، 102.

اثنتيـن لصيقتيـن ببعض الموسوسين، ألا وهما كثرة النظر في الأشياء، بتأمل، والشعور بالحرمان[1]:

ليـت شـعري أي قـوم أجدبـوا

فأغيثـوا بـك مـن طـول العجف!!

نظـر اللـه إليهـم دوننـا

وحرمنـاك لذنـب قـد سـلف

أمـا خالد الكاتب فقـد أشار، في معرض مديحـه الحسن بن وهب (ت 250هـ)، بما صـار يستشعره، لسبـب، أو آخر، من نفـاد الصبر، والتبرم، وضيق الحيلة، قائلاً[2]:

مـا إن دعوتـك إلا حـين أسـلمني

صـبري ولـم أبـك إلا حـين لـم أنم

وفي مديحـه محمـد بن موسى بن حفص –نراه ينيـف على ما يراوده من بسـط الأمـل، وسعة العطاء، والبر الذي، هو في أمسـس الحاجة إليه، بعد أن طالت معاناته من جحود معاصريه، وأهل وده[3]:

(1) شعر جعفر، 154.
(2) شعر محمد، 185.
(3) شعر محمد، 211 – 212.

أكرمتني وبسطت لي أملاً

لم ينأ عنه نوالك الجزل

وبرزتني عن غير معرفة

سلفت ومثلك للندى أهل

وفي موضع آخر من (شعره المدحي) يطالعنا بإشارته إلى بعض ما يعترضه من (اتهام)، وود مشوب بالجفاء، إضافة إلى ما يحيط بحياته من قيود (تطوق) رقبته، وتسلبها نعمة الحياة الحرة الكريمة[1]:

أغيب عنك بغيب غير متهم

وصفو ود وشكر غير منصرم

أبا على لقد طوقتني مننا

طوق الحمامة لا يبلى على القدم

.. وواضح من معاودة النظر في هذه النصوص المدحية، ونحوها، أن منشديها لم ينأوا في صورهم المدحية، عن إطارهم الفني السابق، وهو (البوح الذاتي) المفعم بالتوتر، والقلق..

والحال نفسه – تقريباً في (أهجياتهم)، التي داروا فيها من فلك معاصريهم، وسابقيهم من شعراء الهجاء، محاولين جهدهم التنقص من خصومهم، الذين نابذوهم مشاعر الكراهية، والبغضاء، لسبب، أو آخر، منطلقين من (البؤرة الذاتية) نفسها، وما تنضح به من مرارة، كانوا يستشعرونها بقوة،

---

(1) شعراء منسيون، 197.

بسبب إصابتهم بعلتهم؛ فجعلت بعضهم يشعر بالضياع والغربة، حتى من في داخل بيته، موجهاً سهام السخرية، والتقريع، والتهكم لنفسه، فيما يشبه (رجم الذات)، متنقصاً من أحوالها، ومتخذاً من ضعة النسب، أو اختلاطه، سبيلاً لهذا التنقص.. كما فعل جعيفران، الذي أخذ يشكك في إحدى أهجياته، بنسبه لأبيه، ويطعن في عفة أمه، بقوله[1]:

ما جعفر لأبيه
ولا له بشبيه
أضحى لقوم كثير
فكلهم يدعيه
فذا يقول: بنيي
وذا يخاصم فيه
والأم تضحك
لعلمها بأبيه!!

وتابعه، في التنقص بضعف النسب واختلاطه عبدالله بن أبي الشيص، متجهاً لأخرى، وهي التعريض بمن عرف بأبي سعد المخزومي، مستعيناً بأسلوب الاستفهام التهكمي، والمحاورة، في خطابه إياه، وسؤاله عما إذا كان صحيح النسب نقيه، أم مدنساً دعياً، قائلاً[2]:

(1) شعراء منسيون، 196.
(2) شعراء منسيون، 196.

أبـــا ســعــد بحـــق الخمـــ

س والمفــروض مــن صــومــك

أقـلـت الــحــق في النــســ

بـة أم تحـلـم فــي نــومــك؟!

أبــن لـــي أيـهـا المعــرو

ر ممن أنـــت فـــي قـــومــك؟

فــولي قـــائـــلاً: لـــو شئــ

ت قــد أقـــصــرت مــن لومــك

ودعـــنــــي أك مـــن شئت

إذا لـــم أك مـــن قـــومك

ويصـــدر جعيفران، في معظـــم أهاجيه عن نفس عليلـــة، تراودها الآلام، ويسيطر عليها اليأس، والقنوط وإحساس ممض بالجوع، مع عدم القدرة على توفـير طعام يسير، يسد به رمقه، إضافة إلى شعوره الحاد المتوالي بالصداع، متعرضاً؛ بسبب ذلك، أو مواكبة له، بكل وسائل السخرية، والتقريع، يصم بها خصومه، ويسلبهم مظاهر الكمال الاجتماعي، بقوله[1]:

يــاصــاحــبي مـن ثـقـيـف

يــا مــؤنسي وحــلــيـفــي

يــئــســت مــن كـل خــيــر

عنــد ابــن سعــد الــوصــيـفي

(1) ديوان المصابين، 223.

فـرحـت لا بـطـفـيف

ولا بـغـيـر طفـيف

سوي طـعام يـسـيـر

خـلـفـتـه في الـكـنـيـف

وقوله:

بـت ضـيـفـاً لـهـشام

فـي شـرابـي وطـعـامـي

وسـراجي الكوكب الدر

ي في كــل ظــلام

لا حراماً أجـد الـخبـ

ـز ولا غــير حــرام

تـسـتـبـيـن الجوع منـي

في حـديـثـي وكلامي

وقوله:

يا قصر شـانك بخل صاحبك الذي

ما فيه -مع إمسـاكـه- مستمتع

أنت العـروس لهـا جمـال فـائـق

لـكنـهـا فـي كـل يـوم تصـدع

وفي مواضع أخرى من شعره الهجائي نراه، حيناً، يصم بعض مهجويه بالكبر والتيه، رائياً في هاتين الخلتين الخبيثتين مادة ملوثة، تنضح بأجواء المرض، والعلل، والآفات، قائلاً[1]:

أم سعيد لم ولدتيه

ملوثاً بالكبر والتيه؟!

أما خالد الكاتب فقد صدر، في بعض أهجياته عما غلب عليه، في بعض أيامه من (تخليط)، متأثراً بأعراضه التي قد تحجب الرؤية الصحيحة عن مداركه، فتريه الأشياء بضدها، وتعرضه إلى بعض الإهانات والسخافات المؤذية من بعض معاصريه، فيطرحه بعضهم، ويقذفه آخرون.. إضافة إلى إحساسه الممض بالجزع، وأنين الزفرات الحادة، والكمد المتتابع.. متوجهاً بسهام هجائه اللاذعة إلى خصومه، رامياً إياهم بالكبر، حيناً، وسوء الطوية، ونكران الفضل، وسوء الهيئة، ونحو ذلك مما تعارف عليه مجتمعه من الأخلاق القبيحة، بقوله[2]:

تاه على ربه فأفقره

حتى رأه الغني فأنكره

فصار من طول حرفة علماً

يقذفه الرزق حيث أبصره

---

(1) شعر جعفر، 109، 120، 108..

(2) شعر جعفر، 130.

يا حلبياً قضى الإله له

بالتيه والفقر حين صوره

لو خلطوه بالمسك وسخه

أو طرحوه في البحر كدره

وقوله:

ياتيك في جبة مرقعة

أطول أعمار مثلها يوم

من حلب في صميم سفلتها

عناه فقر وعزه ضيم

وقوله:

جزعت حليلته عليه فما

تخلو من الزفرات والكمد

نزل الزمان بها فأهلكها

منه وأهدى اليتم للولد

ويتصل بهذه الأهجيات المتأثرة بعلل أصحابها ما أنشده ابن أبي الشيص، هجاءً لمدينة (سامراء)، التي اضطر إلى الإقامة فيها، فترة من حياته؛ فلم يحمد معيشته بها؛ بسبب بعض ما لاقاه فيها من تضييق في الرزق، وسيطرة الأمراض، وغير ذلك، مما أشعره بمزيد من الحزن، والكرب العظيم، ودفعه متسخطاً إلى الدعاء عليها، متمنياً لها، حلول القحط، والهلاك، بقوله[1]:

(1) شعراء منسيون، 198، 199، 197.

لعمرك ما سررت بسر من را

ولكني عدمت بها السرورا

وقوله:

لعــن الله (ســـر مـــن را) بــلاداً

ورماها بالقحــط والطــاعــون..!!

بعت في الصيــف عندهم قبة الخيـ

ـــش وبعــت الكانــون في كانــون!!

وفي هجائه لرجل فقد ناظريه، عرض أبو دانق البغدادي لجانب من أعراض إصابتـه بالوسوسة، وهو شعوره المتزايد بالحذر والخوف، إضافة إلى نضنضة اللسان، وهي خفته، وتوجسه، ونحو ذلك مما رمى به مهجوه، قائلاً[1]:

أشــبــه رأســـه لـــولا وجـــار

بعينيــه ونضــنضـــة اللســـان

فــلا ســلمت مــن خــذري وخــوفي

متــى ســلمت صفاتك من لســاني

فإذا تقدمنا خطوة، في قراءاتنا نصوص (شعرهم الماجن)، بوصفه صفحة من صفحات روح عصرهـــم – لاحظنا مدى ارتباطه الوثيق بما ألمحنا إليه، في أكــثر من موضع، مــن دراستنا، وهو (بوحهم الذاتــي) المنبعث من بين حنايــا أنفسهم، يترجم عن جانــب أو آخر من هموم دفينة، باتت تصطرع

(1) ديوان المصابين، 212 – 213، 224.

بداخلهـــم، وتعتلج اعتلاجاً.. ولذلك يطالعنا جعيفران بجيمية، من بيتين، يصـــف فيهما كيف عاودته همومه، بقوة، واعتلجت في صدره، بسبب أو آخر، مما دفعه، بين تارة وأخرى، إلى الإقبال على الشراب، بنهم، وضراوة؛ تسلية لذاته عن همومها، وأتراحها، بقوله[1]:

عادني الهم فــاعتلج
كـــل هـــم إلـــى فـرج
ســل عنـك الهموم بالـ
كـــأس تـــنـــفـــرج

وإذا تجاوزنا الصفحات الشعرية الناطقة بلسان ضعفهم، الذي دفعهم إلى نيران التهتك، والفحش، والبذاء.. وأضفنا لها صفحات شعرهم الأخرى، التي ضمنوها بعض (مفاخراتهم الجماعيـة)، وبعض زفراتهم الاعتذارية، والرثائية؛ بسبب ما نلحظه من افتقارها إلى ما وجدناه، في خطوات رحلتنا السابقة مع ديوانهم الشعري، من ارتباط وشيج بينها وبين (بوحهم الذاتي) المشحـون بالشجن- وطالعنا بعضـ نصوصهم الشعريـة، التي خصصها أصحابها لوصــف جانب من (إخوانياتهم) أدركنـا إلى أي مدى عاد هذا الخيــط المفقود، بينها وبين لواعــج ذواتهم، في الأشعار المشار لها، ممثلاً في إشــارة سمنون المحب إلى كل من همه، وحزنه المصاحبين له، على الدوام؛ من جراء مفارقة أحد إخوانه إياه بقوله[2]:

---

(1) ديوان المصابين، 119.
(2) ديوان المصابين، 33.

أرسلت تسأل عني: كيف كنت وما

لاقيت بعدك من هم ومن حزن؟!

إضافة إلى إشارة سعدون ذات المعاني المتداخلة والمتراكبة، التي تشي بقدرته على إسقاط بعض مشاعره، وأحاسيسه، وأفكاره على مخاطيه الذي بدت عليه مظاهر التلون، والتقلب، والتأرجح، وسيطر عليه إحساس مرير بالفقد، والتحسر، والندم، والعنت والمشقة، بسبب إصابته بداء الهواجس، وعلة الخواطر، فبات الكذب دليله، والزعم قائده، فمال إلى الخلوة، وحيداً، يعاني من أهوال التردد، والتوجس، قائلاً[1]:

تحب الصالحين بزعم قلبك

وتخلو إن فقدتهم بذنبك؟!

فمن حب الخليل تفر منه

وهذا كله من كذب حبك!!

ستندم حين لا ندم بمجد

وتعلم ما يحل غداً بجنبك!!

.. وقريب من شأن هذا الخيط الشعوري المبين، الواضح، في هذين النصين -ما نلاحظه، في مطالعتنا صفحات من (شعرهم الحكمي والوعظي)، الذي نهج به منشدوه وجهة تعليمية تثقيفية، تساير روح عصرهم، متخذين من خلاصة تجاربهم في الحياة اليومية المتطاحنة بداخلهم، ومن حولهم،

(1) ديوان المصابين، 193.

مـــدداً لا ينفد ومصداقية، تنبع من واقعيتهـــم، في نصائحهم، ودعوتهم إلى التـــزام جادة الصـــواب، فيما يرونه صالحاً من الأمـــور، ولسان حالهم، في هذا وذاك، ينطق بمعاناتهم القاسية الواضحة، وشبه الواضحة، التي خلفت في أعماقهم أفكاراً مشحونة بالشكوى الحارة، والتزهيد في العيش، ومتعه الفانيـــة، والاندمـــاج في الحياة الاجتماعية؛ بسبب مـــا أصابها، في رؤيتهم الفنية، من اختلال، وعطب، وفساد كبير..

ومن هذه الصفحات ما أنشده جعيفران، وقد عجز عن توفير قوت يومه، ناصحاً مستمعه عن الزواج؛ تخلصاً مـــن أعبائه، ومسئولياته، ناصحاً إياه بعـــدم الافتتان ببعض ما يراه من مزايا الزواج، الطارئة، وخاصة فيما يتعلق بالاستقرار، والأمن النفسيين والاجتماعيين المنشودين، معللاً له صحة رأيه هذا، بأن هذه المزايا المشار إليها.. ونحوها، إنما هي، في حقيقتها الملموسة، عيـــوب، يحق للمتأمل في شانهـــا، تجنبها، وعدم الركـــون إليها، بسبب ما تتسم به مـــن عدم استمرارية، وما قد يواكبها، أو يعقبها من قيود اجتماعية واقتصادية تلزم المتزوجين من غير المؤهلين لها، بقوله[1]:

لا تـــــزوج فتهلكا

.. حـــذرك اليوم حذركا

أن لـــلعـــرس مرجعاً

.. بينها يـــورث البكا

(1) ديوان المصابين، 133.

لا يـغـرنـك سـقـف بيـ

.. ت ومـــتـــكـــا

عـــن قليل يشكي إليـ

.. ك فترثي لمن بكا..!!

وانتقــل، في موضع آخر، من شعره، يركــن إلى التصبر، وعدم اليأس من تبــدل أحوالــه، التي أخــذت تزداد ســوءاً، يوماً، بعد يــوم يتكفف الناس، بخلقانه البالية على الطرقات، داعيــاً مخاطبه إلى الاعتصام بحبل الله المتين، الذي بيــده تغيير الأمور، وتبديــل الأحوال؛ فيجعل الغنــي فقيراً، والفقير موسراً وجيهاً وأميراً، قائلاً[1]:

لا تيأسن إن كنت ذا فاقة

تتعب في نزر من الرزق

بينا الفتى في شر أحواله

صاحب خلقانٌ على الطرق

صــار أمــيراً إن ذا عبرة

وقـــدرة الله في الخلق!!

أما بهلول فقد آلمه الجوع؛ فقراً؛ فأخذه إلى رحاب آمنة، مطمئنة من اليقين الإنساني الفريد بأن هذا الإحساس المفعم بالألم في هذه الدنيا -إنما هو سمة بــارزة من سمات المتقين، الذيــن أعد الله (تعالى) لهم مــن نعيم جناته، في

---

(1) شعر جعفر، 112.

الآخـرة ما يشبعهم، ويروي ظمأهم، بعد طول معاناة.. مقرراً، في الوقت نفســه، أن الفقـر الاجتماعي، في عصـره، الموبوء باختــلال القيم، وفساد الأخلاق، إنما صار علامة للماجدين الأحرار، الذين يكسبون قوت يومهم بعرقهــم، وكدهم، دون تــواكل، أو غش منبوذين؛ ولــذا يجب الرضا به، وعــدم ملاحقة الأغنياء، الذين ساءت طويتهــم، وفسدت أحوالهم، مؤمناً بأن الرزق بيد الله (جل شأنه) المنعم الوهاب، لا بيد أحد من عبيده، ولذلك يجــب طلبه بتــؤدة، وحكمة وبصــيرة، وعفة نفس، دون تهالــك عليه أو تطاحن في سبيله، ضارباً المثل الأعلى، في هذا الشأن، وما يتصل به، بنفسه، وقــد توكل على الله حق توكله، موقناً بــأن نواصي الخلق بيديه (سبحانه)، يتحكــم فيها كيفمــا يشاء، توسعة، وتضييقاً، متحمــلاً، في سبيل ذلك من الأذى، وصنوف الابتلاء، ما يجعله قربة يتقرب بها إلى بارئه، بقوله[1]:

تجـوع فإن الجوع مـن علم التقى

وإن طويـل الجوع يوماً سيشـبع

وقوله:

الفــقــر في - زمــن اللئــا

م - لــكــل مــكــرمــة عــلامــة

رغــب الــكــرام إلى اللئــا

م وذاك أشراط القيــامــه!!

(1) شعر جعفر، 111.

وقوله:

يا طالب الرزق في الآفاق مجتهداً

أتعبت نفسك حتى شفك الطلب

تسعى لرزق كفاك الله بغيته

اقعد فرزقك قد يأتي به السبب

كم من دنيء ضعيف العقل تعرفه

له الولاية والأرزاق والذهب

ومن حسيب له عقل يزينه

بادي الخصاصة لا يدرى له سبب

فاسترزق الله مما في خزائنه

فالله يرزق لا عقل ولا حسب

وقوله:

حسبي الله توكلت عليه

من نواصي الخلق طراً بيديه

ليس للهارب في مهربه

أبداً من روحة إلا إليه

رب رام لي بأحجار الأذى

لم أجد بداً من العطف عليه!!

وواكب سعدون في شعره الوعظي الحكمي ما سلكه سابقه، صادراً – مثله – عن إحساسه بمحنته، وما فرضته عليه من غربة وعزلة كئود، ولذلك نراه يتوجه إلى مستمعه، يحضه على تجنب معاملة الناس، والعيش في وحدة آمنة؛ تلافياً لأذاهم المستطير، ويحثه، في الآن نفسه، على عدم إبداء مظاهر الفخر، والعجب، والخيلاء، والصلف، وغيره من صفات شرار الناس، والاكتفاء بمصاحبة ذوي المحبة، وأهل التقي، والمروءة والفضل، من أمثاله، بقوله[1]:

خذ عن الناس جانبا

كي يظنوك راهبا

وقوله:

أعرض عن الفخر والتمادي

وارحل إلى سيد جواد

ما العيش إلا جوار قوم

قد شربوا صافي الوداد

ونهل صباح الموسوس وسمنون المحب من المعين نفسه، تقريباً، وهو قرحة ذاتيهما المكلومتين، في سبيلهما، إلى وعظ غيرهم، وتوجيههم إلى غاية السداد – إذ نلحظ نزوع أحدهما، وهو صباح، إلى لوم نفسه، وتقريعها؛ بسبب ما ركنت إليه، وادعة، من ظن حسن بالناس، الذين فتكوا

---

(1) ديوان المصابين، 32، 22، 21، 25، 36.

به، ونغصوا عيشه؛ فراح ينصح، بمرورة، بوجوب اختيار سوء الظن بالناس قواماً للفلاح، في التعامل مع الآخرين، بقوله[1]:

أسأت إذا أحسنت ظني بهم

والحزم سوء الظن بالناس

أما سمنون فقد طالت معاناته وشكواه، مستغيثاً مما ألم به، إلى من استقبلوا نـداءات هـذه الاستغاثات المتوالية بـآذان السخرية، والتهكـم، والتقريع، وألسنة البـذاءة والفحس، والإيذاء؛ مما دفعه إلى التذرع بالصبر، والنسيان؛ وسيلتين، يخفف بهما من ويلات محنته، وجبروتها، قائلاً[2]:

ولا خير في شـكوى إلى غير مشـتك

ولا بـد من سـلوى إذا لم يكن صبر

ويدل مضمون هذا المبحث على أن هؤلاء الشعراء قد تأثروا في أشعارهم المدحيـة، والهجائية، واللاهية، والإخوانية، والحكمية الوعظية، ونحوها، بما ابتلوا به من أعراض محنتهم ومعاناتهم من جرائها - تأثراً ظهرت دلائله بطـرق مباشرة واضحـة حيناً، وغير مباشـرة، أحيانـاً، ومتداخلة متراكبة، إسقاطية، تتغلغل بـين طيات مضامينهم الشعرية المشـار إليها، هنا، أحياناً أخرى، متصلة بخيوط منسربة مـن ذواتهم المكلومة، ونزوعهم التواق إلى التوافق، والتكيف الاجتماعي المنشوديـن، مع أبناء عصرهم، الذين عاشوا بين ظهرانيهم، غرباء، أو أشبه بالغرباء..

---

(1) ديوان المصابين، 134، 142.

(2) ديوان المصابين، 200.

ويـدل مغزى هذه الملاحظـة الجديرة بالتأمـل على اتجاه إجابـة السؤال المطـروح، عـن مـدى تأثـر الشعـراء الموسوسـين بعلتهـم في (أشعارهم الاجتماعيـة) نحو الإيجاب، والإثبات.. إذ سـار هؤلاء الشعراء؛ مواكبة، أو امتـداداً فنياً لبوحهم الشعري الذاتـي، حريصين على ملاصقة أغلب ما وصـل إلينا من هذا الرافد الشعري، من روافد ديوانهم لجوانح صدورهم، ولواعج قلوبهم..

وتغرينـا هذه الإجابـة على هذا السـؤال بمعاودة طرحه، للمـرة الثالثة، ولسان حالنا يقول:

هـل تأثر هؤلاء الشعـراء، بأحوالهم الخاصة المشار إليهـا، عند إنشادهم أشعارهم التي تتخذ من (الطبيعة) مضموناً شعريا؟!

ولمعرفة إجابة هذا السؤال نخصص المبحث التالي من دراستنا..

3 ـ الطبيعة في شعر الموسوسين

يحتـل شعـر الطبيعة مساحـة ضئيلة في ديـوان الموسوسـين، ومرت بنا الإشـارة إلى احتلاله المرتبة السابعـة، موازنة بمضامين الشعر الأخرى، التي أنشدوا فيها ما تيسر لنا من نتاجهم الشعري..

وعلى الرغم من قلة النصوص الشعرية التي أفردها أصحابها لوصف معالم من الطبيعة المحيطة بهم – نلحظ عدم انفصالهم، في أغلب هذه النصوص، عن (ذواتهم) التي رأيناها تمدهم، في فنونهم الشعرية السابقة، بمدد متصاعد من حرارة التجربة، وواقعيتها، وبؤسها..

وإضافة إلى هذا الاتصال بين عناصر الطبيعة، التي امتدت لها مخيلاتهم الفنية، وبين بوحهم الذاتي - نلحظ أنهم قد استعانوا بالطبيعة، وعناصرها النباتية، والجمادية، والحيوانية، وغيرها؛ بوصفها لبنات جزئية مكملة لجوانب فنية كبرى، نزعوا إلى تشكيلها، وليس بوصفها كائنات مستقلة، كاملة الأبعاد، والزوايا، والدلالات.

ومن أمثلة ذلك ما نطالعه في إنشادنا (بائية) سعدون التي أشار فيها، بحدس فني بليغ، إلى كل من (ريح الموت)، وغصن البان الرطيب المتكسر، وشمس العمر، التي آذنت بالمغيب، طاوية، بارتحالها، صفحة حياته، كغيره من المخلوقات، وهو يتحسس ببصيرته النافذة، معالم دنو أجله، ويتجرع كأساً، يودع بها مرارة العيش، وضراوة الانكسار، أمام قوى الشر المحيطة به، من كل اتجاه.. بقوله[1]:

نفص الموت ريحه كل طيب

ودهاني بفقد كل حبيب

ويتواصل أبو حية بمعالم (الأطلال) الجاثمة من حوله، وقد أصابتها عوامل التعرية المتوالية، بمرور السنين والأحقاب، بما غير من هيئتها القديمة، التي كانت أشبه بسني شبابه الوارف، في خفض لذيذ من العيش، ورغد الربيع، وبهجته، مأنوسة بأهليه وخلانه، الذين كانوا منبع صفائه، وهنائه، ووده بقوله[2]:

---

(1) ديوان المصابين، 182.

(2) ديوان المصابين، 132.

يا دار غيرها التقـادم والبلى

بين السليل ومأزمي أكباد

لازلت في خفض عليك تهافتت

ديم عليك طويلة الإرعـاد

وأنار واديك الربيع فـربمـا

تغني به ونـراه أبهج وادي

وأرى به الإنس الذين تحبهم

عيني ويألف من تحب فؤادي

ومن تواصلـه مع هذه الديار، وبثها روح الحياة نداء واستماعاً، وجواباً، وتحية قلبية عامرة بالحب والمودة.. إلى مواكبة جانب مما تعارف عليه بعض معاصريـه، وسابقيهم من إزجاء النصح لخليليه، اللذيـن يرافقانه، واقعا، أو فناً، عبر رحلة الحياة الممتدة المتطاولة، مطالباً إياهما سرعة التوقف عند معالم أنسـه الخالية، غـير مكترثين مما قد يشهدانه من هطـول دموعه غزيرة على وجنتيـه، تحية هامسة حانية لرسوم هذه الديـار، التي صارت مأوى ثلاث حمامـات وادعات، جئن هلعـات، يبحثن عن أمن، طالمـا افتقدنه كثيراً؛ بسبب تلاحـق الصراعات، وتراكم المحن، عليهن، رامزاً بهذه الحمامات، فيمـا يبدو، لجانب وثير من مكنون ذاتـه، المشحونة بالخوف، والتوجس، والأسـى، وقـد أجبرته الظـروف القهرية علـى الترحل، صبـاً يبحث عن خلانه، الذين اضطر إلى مفارقتهم، والعيش طريد ذكرياته الحانية، متمنياً لو أتيح لنفسه الموزعة التـي تعاني من ويلات الفرقة، والشتات أن تقر، وتهدأ

على وعد صادق متجدد منه ألا تحرمه هواجسه القديمة التي ربما كانت سبباً من أسباب لوعته، مرة أخرى، قائلاً[1]:

قفا عــنــد مما تعرفــان ربوعــي
وإن ســبقت فرط العــزاء دموعي
نحيي عــلى طول البلى رســم دمنة
كأن لــم تكــن مــن آلفــين جميــع
كأن حمامـــات ثــلاث بــربعهــا
وقعــن فمــا يســأمن طــول وقوع
وإنــي لصـــب مــا علمــت وإننــي
لبعــض هوى نفــسي لغيــر مطيع

ويتخيل الشاعر قلبه، وقد اشتدت به البلايا طائراً سجيناً، لفت حول عنقه الحبال المتينة، باكياً، يجتر مرارة التشفي من أولئك المحيطين به، والمحيطين إيــاه، الذين دأبــوا على تنقصه، وعذلــه، ولومه، وتوبيخــه، على سلوكه، الــذي ربما لم يلق قبولهم. لسبب أو آخر، مطيفــاً بالمنازل العافية من حوله، يهديها أرق تحياته وأسناها، وأنضرها، ويستهديها ذكر أيام صبوته وشبابه، المرتحلين، وإجابتها عما توقف بحلقومه، على أصداء بحة صوته المتقطع من تساؤلات حارة، تتلظي أمام عينيــه، وفكره، وتحرك بلابل صدره، وتهيج خواطره، بقوله[2]:

---

(1) شعر أبي حية، النص رقم (12).
(2) شعر أبي حية، النص رقم (25).

لعل الهوى إن أنت حييت منزلاً

بأكباد مرتد عليك عقابله

وفي موضع آخر -من شعره- نراه يسقط ما يتراءى له من بعض أحواله، وقد جرت في أوصاله الرغبة الأكيدة في النوم، مما طال شوقه إليه، ليستريح به من عناء ما يلاقيه، طوال يومه من كد، ومشقة -على جمله، الذي يستعين به، على القيام برحلته عبر الفجاج، مضطراً حتى تداعب ريح الصبا جوارحه؛ فينهض، منتبهاً، ينفض آثار الغفلة والنوم، مقروراً بما شهدته مخيلته من أحلام الكرى، وأبعدته، ولو بعض الوقت، عن مكابدة الآلام[1]:

وأغيد من طول السرى برحت به

أفانين نهاض على الأين مرجم

سريت به حتى إذا ما تمزقت

توالى الدجى عن واضح اللون معلم

أنخنا فلما أن جرت في دماغه

وعينيه كأس النوم قلت له: قم

أما (الناقة) فقد صورها ماني في حالة شعورية تترجم جانباً مما يخامره من قلق، وتوتر، وتوجس، واضطراب، وعنت ومشقة، ونفور، وقد دأبت على الخروج متسارعة -مثله من زقاق إلى آخر، دون داع، وكأنها عروس أكرهت على مواجهة كل مظاهر المقت والكراهية، والبغضاء، والفراق

---

(1) شعر أبي حية، النص رقم (46).

وهـي تتشبث، ضعيفة، يائسة، محبطة، واهنة القوي، بأمل الهروب، الذي قد ينجيها من بعض ما حل بها، ومزق شملها من ذل الاغتراب، وهوانه[1]:

تـخـرج مـن زقـاق

لـهـا إلـى زقـاق

كـأنـهـا عـروس

فـرت مـن الـطـلاق

وفي الوقـت نفسـه يطالعنا أبو حية باتخـاذه الغراب الأسـود رمزاً لميعة صبـاه، وخضرة شبابه، وتألقه، موازنة بالعقعق الأبلق، الذي عمه البياض، ذلك اللون الكئيب في ناظريه، وفي أعماق ذاته السوداوية الحزينة؛ بسبب ارتباطه لديه بمشيب رأسه، وضعف قوته[2]:

زمـان على غـراب غـداف

فطيره القدر السابـق

وصـار على وكـره عقعق

من البلق ذو شيبة ناعق!!

وتنسجم هذه الرؤية الإنسانية والأدبية مع سابقاتها من رؤاهم الفنية، التي وقفنـا على بعض معالمها في دراستنا كلاً مـن (بوحهم الذاتي)، و(شعرهم الاجتماعـي)؛ مما يشي بالتوافـق الفكري، والمعنـوي والنفسي السائد في صفحـات ديوانهم الشعري، ويجيب عن السـؤال المطروح بهذا الصدد،

---

(1) شعر أبي حية، النص رقم (43).

(2) شعر محمد، ص 182.

عن مدى تأثرهم، في هذا الرافد من شعرهم، هو الآخر بما ابتلوا به، أو عانوا مــن أعراضه، من محنــة الوسوسة - إجابة بالإثبــات والإيجاب؛ لنصل إلى رؤية نقدية إجمالية تلخص لنا السمة الأساسية الغالبة على مضامين شعرهم، وهــي ما جعلناه مفتاحاً فنياً، يسهل لنا الولوج في رحابهم الفنية، ويدعونا إلى معــاودة السؤال نفســه، للمرة الرابعة، ونحن نستعــد لدراسة أدواتهم التشكيلية، التي بنوا على أسسهــا معالم حسهم الشعري، والجمالي.. وهو السؤال الذي نحاول الإجابة عنه في القسم التالي من هذه الدراسة..

الفصل الرابع

التشكيل الجمالي في شعر الموسوسين

تأسس التشكيل الجمالي في شعر الموسوسين -كغيره من أشعار معاصريهم- علـى عدة لبنات، أو أعمدة فنية تقليدية موروثـة، متكاملة التأثير، والتأثر، هي: البناء الفكري/ المضمون، والإيقاعية، واللغة، والصورة..

وقد وقفنا، في القسم السابق، عند معالم اللبنة الأولى/ المضمون، الذي لا يمكن أن يعيش، في رأيي، داخل العمل الأدبي، بمعزل عن غيره من اللبنات/ الأعمـدة الأخرى، ولذلك نتوقـف، هنا، عند بقية المكونـات، ندرسها، ونبحـث في خصائصها الفنية، في إطار كلـي، ينظر إليها مستقلة متراكبة، في الوقـت نفسه.. وإن كانت الحاجة تفرض علينا أن نستهل دراستنا إياها بإلقاء بعض الضوء على وحدة النص الشعري في ديوانهم..

1 ـ وحدات النصوص الشعرية

تتوزع وحدات النصوص الشعرية في ديوان الموسوسين على فصائل فنية عدة متكاملة هي: الأبيات المتناثرة اليتيمة، من جهة، والنتف الشعرية، التي يتكون كل منها من بيتين اثنين، من جهة ثانية، والمقطوعات الشعرية، التي لا يزيد عـدد أبيات كل منها على سبعة الأبيات، مـن جهة ثالثة والقصائد القصيرة، والمتوسطـة، والمطولة، من جهة أخرى.. وهي الوحدات النصية التي نفصل القول فيها، بعض التفصيل، في السطور التالية:

- وحدة الأبيات اليتيمة

ويصل عددها (53) نصــاً (12%)، منها (17) نصاً، مما جرى على لسان أبي حية النميري، و(6) نصوص، مما أنشده كل من بهلول، وخالد الكاتب، وجعيفران، و(5) نصوص، مما ورد على لساني كل من سعدون، وسمنون، و(4) نصوصــ، مما تيسر لنا من شعر ماني، و(نص واحد) مما أنشده كل من بكار، وأبي دانق، وصباح، ومصعب الكاتب..

- النتف الشعرية

وعددهــا (86) نتفة (19,4%)، منها (21) نتفة أنشدها ماني، و(16) نتفة مما جاء على لسان كل من أبي حية وسمنون، و(15) نتفة مما ورد على لساني خالد وسعدون، و(14) نتفة علــى لسان جعيفران، و(13) نتفة على لسان بهلــول، و(3) نتف على لسان ابن أبي الشيصــ، إضافة إلى نتفة واحدة مما أنشده كل من بكار، وأبي بكر، ومصعب الكاتب..

- المقطوعات الشعرية

وعددها (273) مقطوعة (61,7%) منها (167) مقطوعة، أنشدها خالد الكاتــب، و(23) مقطوعة أنشدهــا جعيفــران، و(17) مقطوعة مما جري على لسان أبي حيــة، و(15) مقطوعة مما ورد على لساني سعدون، وماني، و(11) مقطوعــة ممــا أنشــده سمنون، و(7) مقطوعــات مما جاء على لسان كل مــن بهلول وابــن أبي الشيصــ، و(5) مقطوعات ممــا أنشــده مصعب الكاتب، ومقطوعة واحدة، ممــا أنشده كل من بزدعة، وأبي بكر، وأحمد بن عبدالسلام، وأبي حيــان، وأبي دانــق، وقديــس..

- القصائد القصيرة والمتوسطة والمطولة

وعددها (30) قصيدة (6,8 %)، منها (27) قصيدة قصيرة (8–15) بيتاً، أنشد مصعب سبع قصائد منها، وأنشد أبو حية (5) منها وجاءت (4) قصائد على لسان خالد، و(3) على لسان كل من جعيفران، وابن أبي الشيص، وقصيدتان اثنتان على لسان سعدون، وواحدة على لسان بهلول.. وانفرد أبو حية بقصيدتين متوسطتين (16–30) بيتاً، كما انفرد خالد الكاتب بقصيدة واحدة، أنشدها في (43) بيتاً..

وواضح، من معاودة النظر في دلالات الأرقام السابقة، أن أكثرية النصوص التي تيسرت لنا من شعر الموسوسين إنما تقع ضمن الوحدات النصية الثلاث الأولى: (الأبيات، والنتف، والمقطوعات) محتلة أكثر من (93%) من نسبة عدد النصوص الشعرية التي صحت نسبتها لهم، في الوقت الذي جاءت المقطوعات الشعرية، وحدها، بنسبة تتجاوز (61%).

وانحسر عدد القصائد المتوسطة والمطولة انحساراً ملحوظاً، لم تجاوز (3) قصائد فقط، بنسبة (0,6%)، مما يدفعنا إلى طرح عدة أسئلة، ملخصها:

– هل تأثرت قرائح هؤلاء الشعراء، واستعداداتهم الفنية بعلتهم التي أصيبوا بها، أو نسبوا إليها تأثراً سلبياً أدى إلى عدم تمكنهم من الإطالة النسبية في عدد أبيات نصوصهم الشعرية، مجاراة لغيرهم من كبار شعراء عصرهم، ومشهوريهم؟!

– هــل كان هؤلاء الشعراء يقرضون الشعر عفو الخاطر من باب الهواية، والارتجال، وبمنــأى عن دوائر الاحتراف، والتخصـص في الشاعرية، وما يفرضهما، هذا وذاك، على أصحابهما من تجويد، وتنقيح، وإطالة؟!

– هــل أنشد هــؤلاء الشعراء أشعارهــم التي تيسر لنــا الوقوف عليها في مظانهــا، بصورتها الحالية، التي وصلت بها إلينا؟!.. أم طرأت عليها بعض مظاهر التغيير والحذف، والضياع، لأسباب أو أخرى، حالت دون وقوفنا على صورتها الحقيقية المثلى؟!

والحقيقة أننى أشعر بعجزى –وليلتمس لى القـارئ الكريـم العـذر على ذلـك– عن عدم القدرة علـى الإجـابات المنطقية الشـافية عن هذه الأسئلة ونحوها..

كمـا أننى لا أستبعد أن تكون الإجابة عن كل سؤال على حدة، من هذه الأسئلة، بكل من الإثبات، والنفي معاً.. في ظل ما نفتقر إليه من علم ودراية كافيين، بكل أحوال هـؤلاء الشـعراء، ومواقفهم الأدبيـة والإنسـانية، على الســـواء، بسـبــب سـكـوت المصادر عــن كشـف النقـاب عــن كثير من جوانــب شـخصياتهم النفسـية، والفـكرية، والأدبيـة، في محيط عصـرهم، وتغييبهــا –بالتالي– عناصـر أساسية كانت جديـرة بالمساعدة في حل هذه المعضلات، ونحوها، مما يعترض طريق الباحث في أشعارهم..

ولـذا فإننى أراني مدفوعاً، حيناً إلى التسليم المشوب بالحذر، بأثر الإصابة الحقيقة، أو المزعومة بالوسوسة، وما يتصل بها من أعراض نفسية، وعقلية، وبدنية، في التقليـل النسبي من طاقات أصحابهــا، وتبديدها، دون تحقيق

أكبر قدر من النتاج الأدبي بصورته المألوفة في دواوين معاصريهم، وأراني، أيضاً، أميل، في الحين نفسه إلى حاجتنا إلى التقليل من شأن هذه الإصابة، في التأثير السلبي على بعض الشعراء، وخاصة أولئك الذين أشارت المصادر إلى إصابتهم بعلتهم في مراحل متأخرة من حيواتهم، وبالتالي يكون ما وصل إلينا من نتاجهم الشعري، أو معظمه، على الأقل، قد أنشد، حالتئذ، قبل أن تراودهم الوسوسة، وتخامر عقولهم، وأرواحهم، فتحجبهم عن السير في مسيرتهم الأدبية، بخطواتها المعهودة.

وفي الوقت نفسه أراني أميل إلى كلا الاحتمالين معاً بصدد تمتع هؤلاء الشعراء معظمهم بطاقات الشاعرية وتمكنهم منها، وميل بعضهم إلى الاكتفاء، مختاراً، أو مضطراً بتسلية نفسه، أو المحيطين به، وتعزيتهم عن بعض ما يعانون به من فقد، وفجيعة، بسبب اضطراب أحوالهم، واختلال البناء القيمي السائد في عصرهم.

أما وصول ما أنشده هؤلاء الشعراء إلينا بصورته الصحيحة الكاملة، أو تعرضه لعوامل التغيير المقصودة، أو غير المقصودة، فأمر يحدده مزيد من مطالعة بطون الكتب، واستقصاء ما حوته من نصوص أشعارهم؛ للوقوف على الإجابة السديدة عن هذا السؤال..

وفي نظري أن أشعار هؤلاء لم تكن بمعزل عن مثيلاتها من النصوص الشعرية التي أنشدها معاصروهم، وسابقوهم، بصورة، أو بأخرى، ثم وصلت إلينا بهيئة مختلفة؛ لأسباب قد يرجع بعضها إلى هؤلاء الشعراء أنفسهم، وعدم اكتراثهم بإيصال ثمرات قرائحهم إلى ألسنة الرواة،

ومدارك العلماء، والنقاد؛ بسبب انشغالهم الاضطراري بأنفسهم، وما أصابهم من علل وأسقام، من جهة، وقد يرجع بعضها الآخر إلى روح عصرهم، الذي يبدو أنه قد تجافى، في نظراته لهم، عن إبداعهم الشعري، أو جزء منه، ووضعهم، كما وضعها، في ركن قصي من الإهمال، والتناسي، إيماناً من أصحابه بأن هؤلاء الممحونين المختلين، الذين يعيشون، معظمهم، على هامش الحياة، وحافة الهاوية، ما كان لهم أن يحتلوا مكاناً أدبياً طليعياً تكالبت عليه المطالع، والمصالح الانتهازية المتبادلة بين أطرافها الفاسدة، في كثير من الأحيان..

ومع ذلك نستطيع، فيما تيسر لنا من بعض الإشارات، الميل وجهة اليمين، أو وجهة اليسار في تأكيد جانب، أو آخر، من هذين الجانبين المشار إليهما بهذا الصدد، مكتفين بأربعة شعراء من مشاهيرهم، وهم جعيفران، وأبو حية، وخالد الكاتب، وماني..

فبمطالعتنا النصوص التي يشتمل كل منها على بيت واحد، أو بيتين في أشعار هؤلاء وغيرهم نلحظ أن المعاني فيها جاءت مقتضبة دون تحليل، أو تفصيل، أشبه بشذرة خاطفة، أو إيماضة سريعة، دون تمهيد، أو تعقيب، مما يعني أن إنشادها من قبل أصحابها، بهيئتها التي وصلت بها إلينا أبياتاً يتيمة دون تعرضها للحذف من قبل بعض الرواة والنقاد.. عدا ما يدركه قارئ قول جعيفران[1]:

---

(1) شعر أبي حية، النص رقم (29).

كأنهم و.......... عــامدة

صيــاقــل في جلاية النــصل

مــن عدم الوقوف على تحديد المقصودين بالمشبــه، لولا إشارة الجاحظ، وهــو راوي النص، إلى المعنيين به، مما يرجح تعرضــه لحذف بيت أو أكثر، كانا قبله..

ومثل هــذا النص، في تعرضه للحذف، والنقصــان، مثل قوله الذي رواه ابن أبي عون في (تشبيهاته) في وصف مؤاجرين[1]:

كأنهم والعيس تعلوهــم

وقد علت للقــوم أنفــاس

بيــادر للخــرج مــوقوفة

لما أتاهم إذنهم داســوا

فالمشبه في هذين البيتين محذوف، مما يشي بتعرضهما لما تعرض له سابقهما من حذف..

أما أبــو حية فيلاحظ قارئ شعره مدى تعرضــ بعض نصوصه للحذف والنقصان، وخاصــة بائيته التي أفردها رثاءً لأحد مشاهير عصره، مستهلاً بقوله[2]:

كأن أبا حفص فتى البأس لم يجب

به الليــل والبيض القلاص النجائب

---

(1) شعر جعفر، 115.

(2) شعر جعفر، 106.

دون سابق إرهاص، أو تمهيد، على عادة شعر عصره، وسابقيهم، في هذا الشأن، ونحوه..

وإضافة إلى ذلك يطالعنا، في أكثر من موضع من شعره، بنصوص تحتوي على ضمائر، لا نجد إشارة إلى أصحابها.. ومن أمثلة ذلك قوله[1]:

وهم جمـرة لا يصطلي الناس نارهم

توقـد لا تطفـا لريـب النـوائـب

وقـوله:

فبيتن مـاءً صافياً ذا شريعة

لـه غلل بين الإجـام عذوب

وقـوله:

غضاب يثـيرون التحول عيونهم

كجمـر الغضـا ذكيتـه فتوقـدا

وقـوله:

وغاداه من حـلان ذئـب مجـاعة

شـقى بـه ضـارورة وفقـور

وقـوله:

وقربوا كل قنعاس قراسية

أبد ليس به غب ولا سرر

---

(1) شعر أبي حية، النص رقم (2).

.. وغيره[1] مما يشي بتعرضها لحذف بيت، أو أبيات من كل منها..

وبانتقالنا إلى شعر خالد -يطالعنا الدكتور إبراهيم النجار بقوله[2]: «ما خرج عن الغزل من شعر خالد ضاع معظمه، كما ضاع معظم ما خرج عن الزهد من شعر أبي العتاهية، وما أصبناه إنما هي مطولات ومقطعات نزيرة، لا يتجاوز عددها (22)، احتفظت بها الرواية مبددة، ونحن نورد نماذج منها، في هذا الموضع، حتى نقوم ما ذكره الشابشتي (ت 388هـ)[3] وأقرته الرواية، فيما بعد، من أن خالداً كان لا يقول إلا في الغزل، ولا يتجاوز الأربعة الأبيات، ولا يزيد عليها..»..

ونلاحظ، في قراءتنا لصفحات من شعره، مدى تعرضها -هي الأخرى لمثل ما تعرض له سابقها من الحذف؛ بدليل وقوفنا على نص، يبدأ بجملة فعلية فاعلها ضمير متصل بمحذوف، وهو قوله[4]:

زموا المطي غداة البين وارتحلوا

وخلفوني على الأطلال أبكيها

إضافة إلى نصوص تبدأ بحروف عطف، دون ذكر المعطوف عليه، بقوله[5]:

فلو أن خداً كان من فيض عبرة

يرى معشباً لاخضر خدي فأعشبا

---

(1) شعر أبي حية، النصوص: (8، 15، 17، 19).

(2) شعر أبي حية، النصوص: (20، 23، 26، 32، 38، 50).. وغيرها..

(3) شعراء منسيون، 192 - 193.

(4) الديارات، 10.

(5) شعراء منسيون، 191.

وقـوله:

وقــالــوا: هــويــت غــزالاً ربيبــاً

وبــــدر تمــــام وغصنــاً رطيبــاً

وقـوله:

ولــم أدر ما جــهد الهـــوى وبلاؤه

وشــدته حتــى وجدتــك في قلبــي

وقـوله:

ولما نظرت الدمع غاض إلى الحشــا

وأن فــؤادي مــن دموعــي في بحــر

.. وفي شعر ماني شطر بيت يصف فيه السحب، وما تحمله من مياه، وهو قوله[1]:

المــزن يمحــو بكــف مالــه قــدم

....

إضافة إلى إنشاده نصوصــاً عدة أخرى، تستهل بجمل اسمية، أو فعلية، تشتمــل على ضمائر لا يوجد أصحابهــا فيما وصل إلينا منها، وخاصة في قوله[2]:

لــه وجنــات في بيــاض وحمــرة

فحافاتها بيض وأوســاطها حمــر

---

(1) شعراء منسيون، ص 110، 111، 113، 142..

(2) شعر محمد، 189.

وقـوله:

تــخــرج مــن زقــاق

لــهــا إلى زقــاق

وقـوله:

كأنهـا وريـاح الجيـش خافقـة

طير علـت فوق بحر وهـو ملتطم

.. ممـا يقطـع باندراجهـا في سلـك تلـك النصوص المشـار إليهـا، بهذا السبيل..

2 ـ الإيقاعية

وأقصـد بها ائتـلاف عناصر الموسيقـي الداخلية، والخارجيـة المتعارف عليها، من وزن، وقافية، ومماثلة صوتية وحسن تقسيم، ورد الأعجاز على الصـدور.. ونحو ذلك مما درج عليه معاصروهم، وسابقوهم، في تذوقهم للعملية الشعرية، ودراسة مكوناتها، ونقدها..

وعلى الرغم مـن إيماني بتداخل عناصر هذه (الإيقاعيـة)، وتبادلها التأثر والتأثير، في بعضها البعض – أراني مضطراً إلى تقسيمها أركان عدة أساسية، متكاملـة، تسهل دراستهـا، وفي مقدمتها: الأوزان، والقـوافي، وما ينتج عن تمازجهما، وتفاعل آثارهما مـن موسيقي داخلية.. وهي الأركان التي تخصص لها الصفحات التالية:

أ. الأوزان

سألـت عقلي، قبل إعدادي هذا المبحـث، سؤالاً راود فكري، كثيراً، ألا وهو: –هل للموسوسين، أو المنسوبين للوسوسة، أوزان شعرية خاصة بهم، دون غيرهـم من شعراء عصرهـم، وسابقيهم؟

وبصيغة أخرى: هل انفرد هؤلاء الشعراء بإنشاد ما تيسر لنا من أشعارهـم على أوتـار تفعيلات خليلية (عروضية) مغايرة لمـا درج عليه شعراء العصر العباسي، وسابقيه من أعصر الأدب العربي؟!

وللإجابـة عن هذا السؤال –بصيغتيه– عاودت النظر، ملياً، فيما وقفت عليه من صفحات ديوانهم الشعري؛ فتبين لي ما يلي:

1. تيسر لي الوقوف على أكثر من (1600) بيت، مما صحت نسبته للشعراء الموسوسـين، في العصر العباسـي، جاءت أوزانها موزعة علـى (13) بحراً خليلياً..

2. تقـدم بحر الطويل على غيره مـن الأوزان الشعرية، في هذا الديوان، بمجيئـه في (371) بيتـاً، بنسبة (22%)، وتلاه البسيط، بـوروده في (222) بيتاً، بنسبـة (13,2%)، فالكامل في (211) بيتـاً، (12,5%)، فالخفيف في (196) بيتاً، (11,6%)، فالوافر (172) بيتاً، (10,2)، فالمتقارب (158) بيتاً: (9,4%)، فالسريع (90) بيتاً: (5,3%)، فالمنسرح (84) بيتاً، (5%)، فالرمل (76) بيتـاً: (4,5 %)، فالرجـز (46) بيتاً / شطـراً، (2,7%)، فالهزج (34) بيتاً: (2%)، فالمجتث (16) بيتاً: (9%)، فالمديد (8) أبيات، .47%)..

3. أهمل هؤلاء الشعر استعمال أبحر المضارع، والمقتضب، وركض الخيل/ الخبب /المتدارك..

4. استعمل هؤلاء الشعر تسعة أبحر من أوزانهم، المشار إليها، مجزوءة، وهي: الكامل في (72) بيتاً، والمتقارب (43) بيتاً، والوافر (38) بيتاً، والرمل (35) بيتاً، والخفيف (34) بيتاً، والبسيط (22) بيتاً، والرجز (12) بيتاً/ شطراً، والمنسرح (7) أبيات، والسريع في بيتين اثنين..

5. بلغ عدد الأبيات المجزوءة (267) بيتاً، بنسبة (15,8%) من مجموع أبيات الديوان.. مما أنشده كل من خالد الكاتب، وماني وجعيفران، وسمنون، وسعدون، وبهلول، وعبدالله بن أبي الشيص..

6. اتباع جميع هؤلاء الشعراء نظام السير، داخل النص الشعري الواحد، على تفعيلات البحر الشعري، أو الوزن الواحد، تاماً، أو مجزوءاً، دون الخروج عنه، إلى أكثر من نمط شعري واحد..

7. سلامة جميع نصوص أشعارهم التي وقفنا عليها من الأخطاء العروضية المقصودة، أو غير المقصودة، عدا أربعة أبيات وردت قلقة العبارة، فيما وصل إلينا من شعر خالد الكاتب، أحدها ما نلحظه في إنشادنا عجز البيت الرابع من مقطوعته الشعرية، التي يستهلها بقوله[1]:

كم إلى كم أذوب شوقاً إليكا

ليس يخفي مابي غليل عليكا

---

(1) شعر محمد، ص 169، 182188..

ويختمها بقوله:

لتمثلن أن يقبلـن خديك

وإن لم تصـل إلى خديكا(!)

إضافة إلى ما نطالعه في إنشادنا الأبيات (21، 23- 25) من لاميته المطولة الوحيدة، التي يستهلها بقوله[1]:

أنـاب وأقـصر عـن جهله

وعـري المطية من رحله

وهي قوله:

إذا مـا انتضتـه مهماتـه

لهذ الغرايب من جدله(!)

يباري الذئاب غداة الضرا

ب مزايـل للوصل عن وصله

إذا أعمدته يـدا فكـره

بنـاه الضميـر على صقله(!)

يعبر عنـي ولا مسهب

ولاعازب الحلم عن حلمه(!)..

---

(1) شعراء منسيون.

.. وبموازنــة هــذه الملاحظات النقديــة بمثيلاتها في أشعــار معاصريهم[1] وسابقيهم[2] -يتبــين للدارس مدى مواكبتهم إياهــم في هذا الجانب الفني

---

(1) شعراء منسيون، 193 – 195.

(2) لاحظ (جان كلود فاديه) ومتابعوه أن شعراء القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي استعملوا بحر الطويل؛ بنسبة (25.8 %)، والكامل (15.8 %)، والبسيط (15.6 %)، والسريع (8.5 %)، والخفيف (8.1 %)، والرمل (7.8 %)، والوافر (7.7 %)، والمنسرح (5.3 %)، فالرجز (3.45 %)، والمتقارب (1.9 %)، والهزج (1.6 %) والمجتث (92 %)، ولم يستعملوا كلاً من المقتضب، والمضارع والمتدارك..
ينظر: العروض وإيقاع الشعر العربي: د. سيد البحراوي، 56.
وموسيقى الشعر: د. إبراهيم أنيس، 192– 198.
وبمطالعتي أشعـار كل من رؤبة بن العجاج التميمي (ت 145هـ)، وأبي نخيلة الحماني (145هـ)، وعمار ذي كناز (أواسط القـرن الثـاني) ومطيع بن إياس (ت 166هـ)، وبشار (167هـ)، وصالح بـن عبدالقدوس (ت167هـ)، والحسين بن مطير (ت 169هـ)، وابن المولى (ت 169هـ)، والسيد الحميري (ت 173هـ) والخليل بن أحمد (ت 175هـ)، وسفيان العبدي (ت 178هـ)، وأبي عطاء السندي (ت 180هـ) وعبدالله بن المبارك، (ت181هـ)، ومروان بن أبي حفصة (ت 182هـ)، وسلـم الخاسـر (ت 186هـ) والمؤمل بن أميل (ت 190هـ)، ومحمد بن ذويب العماني (ت 190هـ) وأبي الخطاب البهدلي (ت 192هـ) وهارون الرشيد (ت 193هـ)، وابنه الأمين (ت 198هـ)، وبكر ابن خارجة، وبكر بن النطاح، وعلي بن أبي طالـب الأعمى، وأبي فرعون الشاسي، ومحمد بن عبدالملك الوراق، وأبـي الشمقمق (ت 200هـ) -وهي أشعار تتجاوز (25) ألـف بيـت، لاحظـت أن أصحابها قـد أنشدوها على كل من أبحـر الطويـل (20.54 %)، فالرجز (18.38 %)، فالكامـل (13.42 %)، فالبسيـط (10.74 %)، فالخفيـف (9.3 %)، فالوافـر (8 %)، فالسريـع (5.47 %)، فالرمل (5.37 %)، فالمتقـارب (3.82 %)، فالمنسـرح (3.8 %)، فالمجتـث (1.46 %)، فالهزج (88 %). فالمديد (15 %) فالمتدارك (1 %) فالمقتضب (0.05 %)..
كمـا أثمرت مدارستي أشعـار آل أبي أمية الكاتب، وآل أبي عيينة، واليزيديين، وآل وهـب، إضافة إلى شعر الإمام الشافعي (ت 204هـ) والرياشـي (ت 210هـ)، وأبـي العتاهية (ت211هـ)، وعلي بن جبلـة (ت 213هـ)، والخريمي (ت 214هـ) والباهلـي (ت215هـ)، وابن كناسة (207217هـ)، والمأمون (ت 217هـ)، والقاسم بن يوسف (ت 220هـ) وأخيه أحمد (ت 213هـ)، وناهض بن ثومة (220هـ)، وابن وهيب الحميري (225هـ)، وعتـاب الناطفي (ت 226هـ)، وأبي شراعة القيسـي (ت 230هـ)، وأبي تمام الطائي (ت 231هـ)، وديك الجن الحمصي (ت 235هـ)، ودعبل الخزاعي (ت 246هـ)، وأبي العميثل (ت246هـ) وأبي الشبل البرجمي (ت 247هـ)، والعتبي (ت 255هـ)، وأبي علي البصير (ت 257هـ)، ويزيد المهلبي (ت 257هـ)، وإسماعيل الحمدوي (ت بعد 257هـ) وعلي الحماني (ت 270هـ)، وإبراهيم بن المدبر (ت279هـ)، وأبي العيناء (ت 283هـ)، والبحترى (ت 284هـ) -وهي أشعار تزيد عن (33) ألف بيت - عن وقوفي على استعمالهم كلاً مـن أبحر الطويـل (24.19 %)، والكامل (15.44 %)، والبسيط (11.76 %)، والوافـر (10.3 %)، والخفيف (8.61 %)، والمنسـرح (6.41 %)، والمتقـارب (5.94 %)، والرمـل (5.09 %)، والسريع (4.2 %)، والرجـز (2.05 %)، والمجتث (1.7 %)، والمديد (1.65 %)، والهزج (1.4%)، والمقتضب (0.02 %)، والمتدارك (0.002 %)..
ولاحظـت في قراءتـي أشعـار (13) شاعـراً من شعراء القـرن الرابع الهجرى هم علـى بن بسام العبرتانـى (ت 302هـ)، ومنصـور الفقيـه (ت 306هـ)، والحلاج، وابن دريـد الأزدى (ت 321هـ)، وابن طباطبا العلـوى (ت 322هـ)، والخبز أرزى (ت327هـ)، والوزير المهلبى (ت 352هـ)، والمتنبى (354هـ)، وأبي فراس الحمدانى (ت 357هـ) والزاهي (ت 361هـ)، والناشئ الأصغر (ت366هـ)، والقاضى الجرجانى (ت392هـ)، وأبي الفتح البستى (ت400هـ)- وهي أشعار تزيـد عـن (13) ألف بيت - أن أصحابها استعملوا أبحر الطويـل (22.16 %)، فالبسيط (15.06 %)، فالكامل (13.9 %)، فالرجز (9.47 %)، فالخفيف (9.29 %)، فالوافر (8.15 %)، فالمتقارب (60 – 28 %)، فالمنسرح (4.73 %)، فالرمـل (4.1 %)، فالسريـع (3.89 %)،، فالمجتـث (1.84 %)، فالهـزج (1.05 %)، فالمديـد (0.41 %)، فالمتدارك (0.03 %)، فالمقتضب (0.01 %).. ينظر بالتفصيل كتابي: الشعر العباسى تجلياته وبناؤه التشكيلى ص 246–293..

مـن جوانب إبداعهم الشعري، غير متأثريـن، تأثراً ظاهراً، أو غير ظاهر بما أصيبوا به، أو نسبوا له من وسوسة، ونحوها..

ب. القوافي

لم يتأخر الشعراء العباسيون الموسوسون عن ركب معاصريهم، وسابقيهم من شعراء العرب، في الاستفادة من الطاقات الإيقاعية الرحيبة التي تتيحها القافيـة لأشعارهـم، مـن غني، وثـراء إنشـادي، يرتبط بكل مـن المعاني، والأوزان، من جهة، وبالعاطفـة، والأحاسيس المهيئة الأسماع، والأفئدة، والعقـول، إلى استقبـال أوتارها -أو لنقـل ثمرة أوتارهـا الشجية المتوالية المنتظمة.. من جهة أخرى..

وفي دراستنا القوافي شعر هؤلاء الشعراء يتطرق حديثنا عن كل من حروف الروي، وحركاته، من حيث الكثرة والقلة، والاستعمال، والإهمال، إضافة إلى التصريع، وما يتصل به، وسابقيه، في الصفحات التالية..

- حروف الروي:

أنشد الشعـراء الموسوسون أشعارهم على حروف الروي المستعملة على ألسنـة معاصريهم، مكثرين من الـراء، الذي يأتي في أكثر مـن (240) بيتاً، يشتمل عليها (66) نصاً من نصوص أشعارهم، منها (11) نصاً وصلت الراء بالهاء.. وخاصة في شعر خالد الكاتب، ومصعب، وماني.

ويلي الراء في استعمالهم روياً اللام التي تأتي في نحو (234) بيتاً، يضمها (49) نصـاً، منها (11) نصاً موصولة اللام بالهاء، فالدال التي تجيء في أكثر مـن (200) بيت، هـي مجموع أبيات (55) نصاً، منهـا (11) نصاً موصولة

بالهـاء.. فالميم التي استعملها هؤلاء الشعـراء في (145) بيتاً، / (37) نصاً، منهـا (4) نصوص موصولـة بالهاء والكاف، وبعدها النـون، والتي تكرر استعمالها في (133) بيتاً/ (36) نصاً منها نص واحد، ورد على لسان خالد الكاتب، موصولة بالهاء فالباء التي جاءت على ألسنتهم في (13) بيتاً/ (44) نصـاً، منهـا (55) نصوص، موصولـة بالهاء، والكاف، فالفـاء التي تكرر استعمالها، روياً، في (89) بيتاً/ (25) نصاً، منها نصان اثنان، في شعر خالد، وصلت فيه بالهاء..

ويليهـا التاء التـي جاءت في (78) بيتـاً/ (21) نصاً، منهـا تسع نصوص موصولة بالهاء.. فالكاف في (75) بيتاً/ 25(نصاً، منها نص واحد وصلت فيـه بالهـاء.. واستعمـل هذا الحـرف الأخير (الهـاء) رويـاً في (58) بيتاً، تضمهـا (19) نصاً، كما جاءت الحـاء والسين رويـاً في (46) بيتاً، موزعة في روي الحاء علـى (8) نصوص، وفي الروي الآخر على (13) نصاً، منها اثنـان وصلت فيهما بالهاء.. وتأتي الضـاد روياً في المرتبة الثالثة عشرة، في أشعارهم مستعملة في (9) نصوص، تليها الياء في (29) بيتاً/ (9) نصوص، فالألف المقصـورة في (22) بيتاً/ (7) نصوص، فالهمزة روياً في (14) بيتاً/ (5) نصوص، فالزاي (9) أبيات/ نصان اثنان.. فالجيم في (5) أبيات موزعة على نصين اثنين أيضاً.. فالضاد في (4) أبيات/ (نص واحد)

أما الطاء والظاء فيأتيان، روياً، في (3) أبيات/ (نص واحد) موصولة الهاء، لكل منها.. ويذيل كل من التاء والذال والشين، هذه الحروف روياً في بيتين اثنين، اشتملت عليه نتفة واحدة على كل حرف من هذه الحروف الثلاثة..

وفي الوقـت نفسه لم يتيسر لي الوقوف على أشعار أنشدها هؤلاء الشعراء على روي الخاء، ولا الغين، ولا الواو..

وقـد ساير هـؤلاء الشعـراء اتجاهـات معاصريهم، معظمهـم، في إنشاد أشعارهـم على روي القوافي الموحدة، داخل النص الشعري الواحد؛ دون الجنوح إلى تعـدد القوافي/ حروف الروي، في كل نص بعينه.. مدفوعين، فيما يبدو لي،.بميلهم الواضح إلى النتف، والمقطوعات، والقصائد القصيرة، في أكـثر صفحات شعرهم، وهو الميل الفني الذي لا يتطلب، غالباً، حاجة إلى اللجـوء لنظام تعدد حـروف الروي داخل النصـ الواحد.. ومع ذلك يلاحـظ قـارئ أشعارهم مدى ميـل بعضهم إلى مجاراة بعضـ معاصريهم، في العـزف علـى أوتار ما تمكـن تسميته بالقـوافي الداخليـة، أو التأسيس لها، مـع القوافي الخارجية المتحدة، في بعض أبيـات نصوص هذه النتف، والمقطوعات، والقصائد، بدليل وقوفنا على أكثر من (20) نصاً أنشدها كل من خالد ومصعب الكاتبين، وسعدون، وأبي حية النميري، من أمثلة ذلك ما نطالعه في إنشادنا قول خالد[1]:

(1) لاحظـت بقراءتي أشعار (43) شاعرة وشاعـراً من شعراء العصر الجاهلي، وهي نحو (17700) بيت، وأشعار نحو (40) شاعـرة وشاعـراً من المخضرمـين 15400 بيت وأشعار (85) شاعـرة وشاعراً من شعراء العصر الأمـوى 55 ألف بيت أن أصحابهـا (من الجاهلية حتى نهاية العصر الأمـوي) قد استعملوا أوزانهم الشعرية كالتالي: الطويل (39.95 %)، والكامل (14.45 %)، والوافـر (14.21 %)، والبسـيط (12.24 %)، والرجـز (5.38 %)، والمتقـارب (4.59 %)، والخفيف (3.84 %)، والرمل (2.13 %)، والسريع (1.46 %)، والمنسرح (1.21 %)، والهزج (0.22 %)، والمديد (0.09 %)، والمتدارك (0.004 %) .
ينظر بالتفصيل لكاتب هذه السطور: الأدب الأموي، 3 – 35..

قضـيـب بان جنـاه ورد

تحملـه وجـنـة وخـد

لم أثـن طـرفي إليـه إلا

مـات عزاء وعـاش وجد

ملك طـوع النـفـوس حتى

علمه الزهـو حيـن يبدو

واجتمع الصد فيـه حتى

ليس لخلق سـواه صد

وقوله:

هـذا محبـك مطـوي عـلى كمـده

عـبري مدامعه يبكي على جسـده

لـه يـد تسـأل الـرحمـن راحتـه

ممـا بـه ويـد أخـرى عـلى كبـده

يا طول زفرته من طـول حسـرته

ومـا أعـد لـه في يـومـه وغـده!

يا من رأي أسـفاً مسـتبعداً دنفـاً

كانـت منيتـه في عينـه ويـده

وقوله:

ولما رأيت الدمع غاص إلـى الحشـا

وأن فـؤادي مـن دموعـي في بحـر

نظـرت إلى عينـي لا مـاء فيهـا

فأيقنـت أن الدمـع تحتهما يجري

فلولا استبان الدمع في مضمر الحشا

تفجـر أنهـار الدموع مـن الصدر

وقوله:

بحسـن وجهـك يا روحي وريحاني

وسـؤل نفسـي في سـري وإعلاني

لا لا تكـلني إلى صبري فيـسـلمني

سلمت مـن كـل إقصـاء وهجـران

وانظـر إلي بعـين أسـقمت بدنـي

فجوهر اللحـظ من عينيك أعـداني

فغير خاف على منشد هذه المقطوعات الأربع مدى ميل صاحبهن إلى الجمع بـين حرف الدال المضمومة، روياً، في مقطوعتـه الأولى تاء مشددة مفتوحة بالألف المقصورة في كلمة (حتى) في البيتين الأخيرين، وبين الراء المكسورة، رويـاً، في مقطوعتـه الثانية، والشين المفتوحة، بالألـف المقصورة نفسها في كلمة (الحشـا) في البيتين الأول والثالث، من جهـة، وفي كلمة (فيهما) من جهـة أخرى.. سائراً في النهج نفسـه، في مقطوعته الثالثة التي أنشدها على الـدال المكسورة الموصولة بالهاء، جنباً إلى جنب التاء المفتوحة، والمكسورة، مع الهاء، أيضاً، في بيتيها الثاني والثالث.. مجانساً بين النون المكسورة قبلها - أيضاً في كل من (فيسلمني)، و(بدني)، في بيتيهما الأخيرين.

ومثل هذه المزاوجة بين قافية خارجية موحدة الروي، وشبه قافية أخرى داخلية، في تفعيلات بعض الأعاريض، ما نلحظه في قراءتنا قول سعدون[1]:

اعمل وأنت من الدنيا على وجل
واعلم بأنك بعد الموت مبعوث
واعلم بأنك ما قدمت من عمل
محصي عليك وما خلفت موروث

وقوله:

هجرت الورى في حب من جاد بالنعم
وعفت الكرى شوقاً إليه فلم أنم
وموهت ذهني بالجنون على الورى
لأكتم ما بي في هواه فما انكتم
فإن قيل: مجنون فقد جنني الهوى
وحرمة روح الأنس في حندس الظلم

وقوله:

ولو لم يكن شيئاً سوى الموت والبلى
وتفريق أعضاء ولحم مبدد
لكنت حقيقاً يا ابن (آدم) بالبكا
على نائبات الدهر مع كل مسعد

(1) شعراء منسيون، ص 124، 131، 142، 183، 187.
وينظر أيضا: ص 123، 129، 133، 156، 171، 178، 180، 182، 184..

فقــد اعتمد على الجمع بين كل من الثــاء المضمومة روياً/ قافية خارجية، وبين اللام المنونة في (وجل)، و(عمل) قافية داخلية في نتفته الأولى، والجمع بين كل من الدال المكسورة روياً/ قافية خارجية، وبين الألف المقصورة في (البلى)، و(البكا) قافية داخليــة في نتفته الأخرى، والجمع بين هذه الألف نفسهــا، قافية داخلية أيضــاً، في كل من (الورى)، و(الهــوى)، وبين الميم الساكنة، روياً/ قافية خارجية في قصيدته القصيرة.

وسلك أبو حية النميري مثل هذا المسلك الفني نفسه باعتماده على الجمع بين البــاء المضمومة روياً/ قافية خارجية، وبين النــون الممدودة بالألف في (حولنا)، و(مالنا) بقوله[1]:

ليالي أهلانا جميعاً وحــولنا

سوائم منها رائح وغريب

وإذ يتجنبن الذنوب وما لنا

إليهن إلا ودهــن ذنوب

كما جمع بين الألف المقصورة في كلمة (الهوى) التي تردد مرتين، قافية داخلية، وبين الدال المفتوحة بالمد، روياً/ قافية خارجية بقوله:

أخو الشيب لا يدنو إلى الحور بالهوى

ليقــرب أن أزداد في قــرب بعــدا

يعاطينه كأس الســلــو عن الهوى

ويمنعنــه وصــلاً يعاطينــه المــردا

---

(1) ديوان المصابين، 320، 321.

أما مصعب الكاتب فقد كرر جملة (فقلت له) مرتين في لاميته المفتوحة، مزاوجاً بين القافية الداخلية، والخارجية في قوله[1]:

وقائل قال لي: أقصر فقلت له

أما تراني بحب المرد مشغولا

فقال لي: أنت مجنون فقلت له

لا تكثرن على القال والقيلا

- حركات الروي:

واكب الشعراء الموسوسون العباسيون اتجاهات معاصريهم، وبعض سابقيهم في العزف على أوتار حركات الروي، جنباً إلى جنب الروي الموقوف/ الساكن..

ونلاحظ، في مطالعتنا صفحات ديوانهم، ميلهم إلى الروي المكسور، الذي ورد استعماله في أكثر من (181) نصاً شعرياً بأشعارهم، وتشتمل على أكثر من (619) بيتاً.. منها (30) نصاً/ (170) بيتاً اجتمعت فيه الكسرة مع كسرة سابقيه، مما نلحظ أمثلته في قول مصعب[2]:

هذا نبي الإله - قبلكم

قد أنكرته عيون إخوته

---

(1) شعر أبي حية، النصان: (3، 14).

(2) ديوان المصابين، 138، 158، 159، 142- 143.

وقول سمنون[1]:

أنـت الحبيب الذي لا شـك في خلدي

منه فـإن فقدتك النفـس لم تعش

وقول أبي بكر الموسوس[2]:

اعــذر أخــاك عـلى رداءة خطـه

واغفـر رداءتـه لجـودة ضبطـه

كما تلتقي الكسرة/ حركة روي، مع الفتحة قبلها، في أشعارهم في (27) نصاً (100) بيت، كما نلحظ في قرائتنا قول أبي حية[3]:

عوجـا نحـي ديـار الحي بالسـند

وهـل بتلـك الديار اليوم مـن أحد؟

وقول أبي دانق[4]:

ما تـنظر العيـن منه

إلا أقامـت منـه على حسـن

وقول بهلول[5]:

إذا تضايق أمر فانتظر فـرجاً

فأضيق الأمر أدناه إلى الفرج

---

(1) ديوان المصابين، 316.

(2) ديوان المصابين، 184.

(3) ديوان المصابين، 15.

(4) شعر أبي حية، النص رقم (11).

(5) ديوان المصابين، 120

وفي الوقت نفسه يقف قارئ شعرهم على (5) نصوص/ (17) بيتاً سبقت فيها الضمة حركة الروي/ الكسرة، مما يتضح لنا في قوله جعيفران[1]:

كأنهم و.......... ورعامدة

صياقل في جلاية النصل

وقول أبي حية[2]:

لو أنها رخصة قضيت من وطري

لكن جلوتها تربي على السفن

وقول سمنون[3]:

كان لي قلب أعيش به

ضاع مني في تقلبه

أما السكون بحروف المد، وغيرها، قبل الروي المكسور، فقد اجتمع في (199) نصاً/ (332) بيتاً.. ومنها قول ماني[4]:

بكفيك تقليب الفؤاد وإنني

لفي ترح مما ألاقي فما ذنبي؟!

وقول خالد الكاتب[5]:

بكى عاذلي من رحمة فرحمته

وكم مسعد لي في الهوى ومعين

ورقت دموع العين حتى كأنها

دموع دموعي لا دموع عيوني

---

(1) ديوان المصابين، 24.
(2) شعر جعفر، 115.
(3) شعر أبي حية، النص رقم (45).
(4) ديوان المصابين، 172.
(5) شعر محمد، 162.

وقول بهلول[1]:

أف للدنيا فليست لي بــدار

إنما الــراحة في دار القرار

وتلي الكسرة حركة روي الضمة، التي تجيء في أشعارهم، أكثر من (440) مرة، في (122) نصــاً.. مجتمعة مع ضمة أخرى، تسبقها في سبعة نصوص منها/ تشتمل على (26) بيتاً.. ومن أمثلتها ما نلحظه في قول سعدون[2]:

ما حال من سكن الثرى ما حاله..؟!

أمــسى وقــد رثــت هنــاك حبالــه

أما الفتحة فقد اجتمعت مــع الضمة حركة الروي، سابقة إياها في (32) نصاً/ (113) بيتاً، من أشعارهم.. كما نلحظ في قراءتنا قول ماني[3]:

دعتني إلى وصلها جهرة

ولــم تدر أني لها أعشق

وقول خالد[4]:

يــا مــن يلــوم لقد أســ

ــأت إلــى مــحب لمته

---

(1) شعراء منسيون، 185.

(2) ديوان المصابين، 29.

(3) ديوان المصابين، 154.

(4) شعر محمد، 183.

.. ووردت الكسرة مع حرف الروي المضموم في (22) نصاً/ (83) بيتاً.. ومن ذلك ما نراه في قول أبي حية[1]:

استبق دمعك لا يود البكاء به

واكفف بوادر من عينيك تستبق

وقول سعدون[2]:

يا أيها الراقد كم ترقد؟!

قم -يا حبيبي- قد دنا الموعد

- وفي الوقت نفسه نلحظ مجيء الكسر، حرف لين، أو غيره، سابقاً للحركة المضمومة في (51) نصاً/ (199) بيتاً.. مما يشي بأثر جلي من حياة هؤلاء الشعراء، الذين كان دأبهم الحركة، وشغلهم الشاغل التنقل من مكان إلى آخر، ومن حالة إلى أخرى، فانعكس ذلك، في رأيي، على حركات رويهم انعكاساً إيجابياً بتوفير هذا الجانب الملموس من اجتماع الحركات، مع غيرها معطياً إيحاءً قوي الدلالة بما وراءه من حالات نفسية شديدة القلق، والتوتر المشحون بالترقب، والحذر، اللذين يأخذان بأصحابها، أحياناً، إلى التزام جادة التوقف، هامدين، أو شبه هامدين.. مجسدين ذلك التوقف الوقتي الطارئ، على بعض أحوالهم، بالتزام روي ساكن في نحو (50) نصاً/ (180) بيتاً من أشعارهم.. جامعين بينه، وبين سكون آخر، يسبقه حرف لين، يضاعف إحساسنا بالسكون، كما نلحظ في قراءتنا قول أبي

---

(1) شعراء منسيون، 117.

(2) شعر أبي حية، النص رقم (30).

بكر الموسوس[1]:

زنــاره في خصره معقود

كأنه من كبدي مقدود

وقول سمنون[2]:

يا من فؤادي عليه موقوف

وكل همي إليه مصروف

وقول خالد[3]:

يــا تــائــهـا بجمالــه

أتتيه عن رد الســلام؟!

وقد يجمعون بين هذا الروي الموقوف/ الساكن، وبين فتحة تسبقه، كما ورد في أشعارهم، في (20) نصاً/ (74) بيتاً، ومنها قول ماني(225):

إذا مــا رأيــت ابتســام الأميــ

ــر في الجدب فابــشر بصوب المطر

وقول سمنون[4]:

روحــي إليـك بكلهــا قــد أجمعــت

لــو أن فيـك هلاكهــا مــا أقلعــت

---

(1) ديوان المصابين، 144.
(2) ديوان المصابين، 14.
(3) ديوان المصابين، 187.
(4) شعراء منسيون، 179.

وقول عبدالله بن أبي الشيص:

تعتل من غير علـه

بالحسن أضحت مدلـه

.. وقد تسبق الضمة الروي الساكن، كما جاءت في (9) نصوص/ (22) بيتاً من أشعارهم، كما يبدو في قول خالد[1]:

محب شفه ألمه

وخامر جسمه سقمه

وتواكب الكسرة في ذلك ونحوه، بمجيئها حركة الحرف، الذي يسبق حرف الروي الساكن/ الموقوف، في (14) نصاً/ (44) بيتاً، مما تيسر لنا من أشعارهم، كما نطالع في قول ابن أبي الشيص[2]:

أبا سعد بحق الخمـ

س والمفروض من صومك

أقلت الحق في النسـ

بة أم تحلم في نومك؟!

وقول خالد[3]:

دعاه ثم اكتوى على كبده

وأن من شوقه ومن كمده

---

(1) شعر محمد، 171.

(2) ديوان المصابين، 176.

(3) شعراء منسيون، 176.

.. وواضح أن هؤلاء الشعراء قد تمكنوا تمكناً ملموساً، في هذا الجانب من إبداعهم الشعري، ولم يخرجوا عنه، لسبب أو آخر، إلا في نصين، مما تيسر لي الوقوف عليه من شعرهما، وهما قول قديس[1]:

إذا الليل ألبسني ثوبه

تقلب فيه فتيّ موجع

رأيت التصبر ستر الهوى

إذا اشتملت قوة الأضلع(!)

وكيف يطيق فتي كتمه

وأجـفـانـه أبـداً تدمع

وقول خالد[2]:

أو سكنت الجنان ترتع فيها

لأضا من جمـالـك الملكوت

.. وهو النص الذي وقع الإقواء فيه، باجتماع الكسر بين مرفوعين.. وهو عيب لم ينفرد به.. من دون معاصرين سابقين من الشعراء.. ولا يعد –في رأيي– أثراً من آثار إحساسه بمرض، أو علة.. لكونه أشبه بقطرة في بحر لا تضره، ولا تنقصه إن أخرجت منه..

وتجدر الإشارة – هنا إلى ملاحظة تنطبق على المبحثين السابقين، وما يتصل بهما من حديث عن الأوزان، في أشعارهم، وهي أنني لاحظت أن

---

(1) ديوان المصابين، 223.

(2) شعراء منسيون، 130.

هؤلاء الشعراء قد استعملوا ما استعملوه من أوزان شعرية، تامة، أو مجزوءة، قليلاً أو كثيراً، وحروف روي، وحركاتها في كل مضامين شعرهم، دون إفراد وزن، أو روي أو حركة لمضمون بذاته، دون غيره.. ولو صح أن بحراً بعينه، تاماً، أو مجزوءاً، أو حرف روي بذاته، أو حركة روي، ما، كانت مقصورة الاستعمال لدي هؤلاء الموسوسين -لجازلنا أن نعد كل ما أشرنا إليه من أوزانهم وحروف روي نصوصهم، وحركاتها الثلاث، مع الوقف/ السكون، صالحاً ومفضلاً لدي هؤلاء الشعراء..

- التصريع:

التصريع ضرب من الموازنة، والتعادل بين كل من (العروض) و(الضرب)، يتولد فيهما جرس موسيقي رتيب[1] يؤدي إلى توفير صبغ نغمي عذب، يجعله أكثر تهيؤاً للالتقاء بحاجات المستمعين والقراء الوجدانية، والعاطفية، وأداء لما يختلج في صدورهم من معان، وأفكار، وإيحاءً وتأثيراً في مدركاتهم، مستفيدين من الطاقات الصوتية الرحبة المتدفقة، التي ينتجها لهم ازدواج الروي؛ فتنضاف إلى طاقة الوزن الشعري، الذي يعزفون على أوتاره أنغامهم، وتتآزر معها في تكوين هذا الشعر، وتجعلها زاخرة بالحركة، والحيوية، وتجعل منشديها لا يكادون يقطعون الصوت عند حرف الروي في أواخر الشطر، حتى يفضي في آخر الشطر التالي، إلى روي مماثل؛ مما يتيح لهم وقفات متقاربة على نحو مؤثر شجي رخيم[2].

---

(1) ديوان المصابين، 253.

(2) شعراء منسيون، 116.

وتأثـراً بأجـواء الغنـاء، ومجالـس الطرب، واللهـو، وما يتصـل بها من معازف وقيان، ونحوها – واكب الشعراء الموسوسون العباسيون اتجاهات معاصريهم، وسابقيهم من شعراء العربية في عزفهم على أوتار هذه المنظومة التقليديـة الموروثة، وهـي التصريع، غـير متخلفين، لسبـب، أو آخر، عن توفـير أكبر قدر ممكـن من نصوصهـم الشعرية التي وصلـت إلينا، قصائد ومقطوعات، ونتفاً، وأبياتاً يتيمة..

وإذا كان العرف التفني قد جري، معظمه على اقتصار بعض الشعراء على استخـدام التصريـع في قصائدهم المطولة، أو شبه المطولـة، دون غيرها من نصوص الشعر، التي تندرج تحت ما يسمى القصائد القصيرة، والمتوسطة، والمقطوعات، والنتف، والأبيات اليتيمة –فإن ما سلكه الشعراء الموسوسون أمر يدعو للتأمل، والبحث؛ تفسيراً لهذا المسلك الفني؛ وثبراً لأغواره..

فبمطالعـة أبيات لامية خالد الكاتب المطولة الوحيدة نلحظ حرصه على تصريع شطري بيتها الأول، مع الثامن عشر، بقوله[1]:

أنـاب وأقـصر عن جهله

وعـري المطية من رحله

يـعـود المـلام إلى أهله

ويهدي الثناء إلى أهلـه

---

(1) الشعراء وإنشاء الشعر، 134.

وبمطالعـة قافية أبي حية النميري المكونة مـن أربعة أبيات يلفتنا دأبه على تصريع شطري مطلعها، بقوله[1]:

ألا أيهـا الربـع القـواء ألا انطـق

سـقتك الغوادي من أهاضيب فوق

ومثـل ذلك، وزيادة في حائيتـه المكونة من (23) بيتـاً، وهي التي صرع صدرهـا، وجمع إلى التصريـع بعض دلالات القافيـة الداخلية في الأبيات التالية، قائلاً[2]:

ألا يـا غراب البـين فـيـم تـصيح؟

فصوتـك مشـنوء إلى قبيــح

حبيبـاً عـداك النأي عنه فأسـبلت

على النحـر عين بالدموع سـفوح

إذا هـي أفنت ماءها اليوم أصبحت

غـداً وهـــي ريـا المقيـين نصـوح

ظلـت وقـد ولـوا بليـل وقلصـت

بهـــن...... وروح

واستهل مصعب الكاتب نونيته المكونة من (14) بيتاً بتصريع أولها بقوله[3]:

عمرت بقاع عمـر الزعـفران

بفـتيـان غطارفة هجـان

---

(1) الأدب الأموي تجلياته وبناؤه التشكيلي، 79-80.

(2) شعراء منسيون، 193 - 195.

(3) شعر أبي حية، النص: (28).

كما استهل لاميته المكونة من (13) بيتاً بتصريع مثله، قائلاً:

هجرت مجوني فاسترحت من العذل

وكنــت ومــالي في التمــادي من مثل

وواكبــه، في هذا وذاك، ابن أبي الشيصــ، بتصريع ضاديته، التي تشتمل على (12) بيتاً، ورائيته التي تضم (10) أبيات؛ بقوله:[1]

أصبـــح فـــي ضـــنك مـــن الأرض

أكثـــر في الأرض مـــن الأرض

وقوله:

أظن الــدهر قــد إلى فبرا

بأن لا يكسب الأموال حرا

أما بهلول فقد صدر أبيات دالية من ثمانية أبيات بقوله[2]:

عرضنا على المولي ونحن عبيد

فهنا شقي رده وسعيـد

فإذا ما تقدمنا خطوة في مطالعة بعض المقطوعات، لاحظنا حرصهم على تصريع أوائلها، كما فعل جعيفران بقوله[3]:

بـــت ضيـــفاً لهشام

في شرابـــي وطـعـــامي

---

(1) شعر أبي حية، النص: (10).

(2) ديوان المصابين، 330، 326، 327.

(3) ديوان المصابين، 214، 215، 211.

وسراجـــي الكوكب الدر

ري في كـــــل ظــلام

لا حــراماً أجــد الخبــ

ز ولا غـــير حـــرام

تستبين الجـوع مــني

في حـــديـــثـــي وكــلامـــي

وماني بقوله[1]:

شـــادن وجهـــه مـــن البــدر أوضا

بعضـــه في الجمـــال يعشـــق بعضــا

وفي الوقت نفسه نلحظ أن أبا بكر الموسوس يصرع شطري البيت الأول من طائيته المكونة من ثلاثة أبيات، قائلا[2]:

اعــذر أخاك على رداءة خطه

واغفر رداءته لجودة ضبطه

فالخط ليس يراد من تحسينه

وبيانه إلا إبـــانـــة سمطـــه

فإذا أبان عن المعاني سمطه

كانت ملاحته زيــادة شرطه

(1) ديوان المصابين، 25 – 26.

(2) شعر جعفر، 120.

كمـا يطالعنا برذعـة الموسوس بكافية، مـن ثلاثة أبيـات مصرعة المطلع بقوله[1]:

آأنكـرت مـا عاينت من كـف دالك

وهل ينكر التدليـك من قول مالك؟

وينشـد سعـدون بائيـة، في عـدد أبياتها نفسـه، مستهلاً إياهـا بتصريع مطلعها، قائلاً[2]:

تحب الصالحين بزعم قلبك

وتخلـو إن فقدتهم بذنبك؟

فمن حب الخليل تفـر منه

وهـذا كله من كذب حبك

ستندم حـب لا ندم بمجد

ونعلم ما يحل غداً بجنبك!!

كما ينشد دالية، من بيتين اثنين، يستهلها بتصريع أولها:

عصيت مـولاك يا سعيد

ما هـكـذا تفعل العبيد

فراقب الله واخـش منه

يا عبد سوء غدا الوعيد!!

---

(1) شعر محمد، 176.

(2) ديوان المصابين، 15.

وهو، في هذا الشأن، يساير ركب أترابه، وفي مقدمتهم سمنون، الذي صرع شطري البيتين، من نتفته الدالية، بقوله[1]:

يــا عــين ســحــي أبــدا
يــا نفس مــوتــي كمدا
ولا تــحــبــي أحــدا
إلا الجليل الصـمـدا

أما خالد الكاتب، فقد اكتفي بتصريع البيت الأول من نتفته العينية قائلاً[2]:

كلما اشتـد خضوعي
لجوي بيـن ضلوعـي
ركـضـت في حلبتي خد
دي خيل مـن دموعي

ومثله بهلول، في دأبه على تصريع صدر نتفته الرائية[3]:

أف للدنيا فليست لي بدار
إنما الراحة في دار القرار!!
أبت الساعات إلا سرعة
في بلى جسمي بليل ونهار!!

(1) ديوان المصابين، 8.
(2) ديوان المصابين، 133، 143. وينظر أيضاً في الظاهرة نفسها: ص: 142، 161- 162.
(3) رائق الشهد، 42.

وابن أبي الشيص في تصريع صدر نتفته الضادية[1]:

ومعرضة تظن الهجر قرضا

تخال لحاظها للضعف مرضي

كأني قد قتلت لها قتيلا

فما مني بغير الهجر ترضي

.. وفي الوقت نفسه نراهم يصرعون شطري الأبيات التي وصلت إلينا متناثرة يتيمة، كما نلحظ في قول خالد الكاتب[2]:

كيف ترجي لذاذة الاغتماض

لمريض من العيون المراض؟!

وقول مصعب[3]:

كأس وصلت ظلامها بنهار

وفللت حد خمارها بعقار

وقول أبي حية[4]:

كفى بالنأي من أسماء كافي

وليس لحبها إذ طال شافي

---

(1) شعراء منسيون، 154.

(2) ديوان المصابين، 29. وينظر مثلها ص 37.

(3) ديوان المصابين، 216.

(4) شعراء منسيون، 151.

وقول سعدون[1]:

خـذ مـن الناس جانبا

كـــي يـظـنـوك راهـبـا

وقول جعيفران[2]:

ألا عجزت عن الصبر العقول

لأن سبيلـه مـر ثقـيـل

.. وحرص ماني على تكرار التصريع، بالجمع بين وقوعه في صدر أبيات مقطوعته الرائيـة المكونة من أربعة أبيات، وبين تصريع بيتها الأخير، أيضاً، بقوله[3]:

لا تظـن الــذي جري

مــطـراً كـــان ممطـرا

إنــمـــا ذاك كـلـه

دمـــع عـيـنـي تـحـدرا

وتـــوالـــت غيومهـا

مـــن هـمـومـي تفكرا

هـكـذا حـــال مـــن يـرى

مـــن حـبـيـــب تـغـيرا

(1) ديوان المصابين، 335.

(2) شعر أبي حية، النص (27).

(3) ديوان المصابين، 134.

.. وشاركه، في ذلك مبالغاً فيه، خالد الكاتب مكرراً عزفه على وتر هذا (التصريع المضاعف) في أكثر من عشرة نصوص، ومنها ما نلحظه في إنشاد قوله[1]:

أدل بـــنـــور بهجته
عـــلى ذلي ونـــخـــوتـــه
يـــفـــرقـــهـــا بطلعته
ويقسمها بلحظته

وقوله:

لست أدري أطال ليلي أم لا
كيف يدري بذاك من يتقلـــى
لو تفرغت لاستطالـــة ليلي
ولرعي النجـــوم كنت مخلا
يا غزالاً من القصور تجلـــى
صام طرفي لناظـــريك وصلى

وقوله:

راعـــي النجـــوم فقـــد كادت تكلمه
وانهـــل بعـــد دمـــوع يالهـــا دمـــه
يا مـــن تجاهـــل عمـــا كان يعلمـــه
عمـــداً وبـــاح بـــسر كان يكتمـــه

(1) شعر جعفر، 115.

وقوله:

عـد شوقي إليه ذنباً عليه

لو تيقنت لا عتـذرت إليه

أنا أذنبت أو فتور بجفنيه

دعـا مقلتي إلى مقلتيه؟

وقوله:

تـاه على ربـه فأفقـره

حتى رآه الغني فأنكره

يا حلبياً قـضـي الإله له

باتيه والفقر حيـن صـوره

لـو خلطوه بالمسك وسخه

أو طرحوه في البحر كدره

.. ونـراه في مواضـع أخرى مـن شعره، يجعـل التصريـع، في مواضع متأخـرة، عن المطلع، مخالفة لنهجه، ونهج أترابه، ومعاصريهم، كما طالعنا في النصوص السابقة، فيضعه في البيت الثاني حيناً، بقوله[1]:

قـل لظبي كله حسن

إرث لي من فعلك السمج

عينه سـفـاكـة المهج

من دمي في أعظم الحرج

(1) شعر محمد،171.

وقوله:

صافحته فاشتكت أنامله

وكاد يندى بنانه بيدي

وكنت إذ صافحت يداه يدي

كأنني قابض على البرد

.. وحيناً آخر في البيت الثالث، وما بعده، بقوله:

يا من يلوم لقد أسأ

ت إلى محب لمته

لو كنت تعلم ما يقا

سي قلبه لرحمته

أو لو رثيت سألته

عما به فعلمته

أسقمته وبليته

ما كان لو داويته

وواكبه، في ذلك سعدون، الذي يطالعنا بتأخر التصريع إلى البيت الثاني، حيناً، والثالث، حيناً آخر، كما يتضح من قوله[1]:

(1) شعراء منسيون، 119، 171، 175، 189، 198.. وينظر أيضاً في الظاهرة نفسها: ص 118، 132، 138، 145-146، 152، 157، 176..

أتتركني وقـد آليت حلفاً

بأنك لا تضيـع من خلقتا؟!

وأنك ضامن في الرزق حتى

تودي ما ضمنت وما قسمتا

وقوله:

ألا يـا عـسـكـر الأحيـاء

هـذا عـسـكـر الـمـوتى

أجابـوا الدعوة الصغرى

وهـم منتظرو الكبـرى

وقوله:

يا من بنى القصر في الدنيا وشـيده

أسست قصرك حيث السيل والغرق

لو كنـت تغني بذخر أنـت ذاخـره

أسسته حيث لا سـوس ولا خـرق

والمـوت مصطبح منـكـم ومغتبق

فاحتل لنفسـك قبل الورد يا حمق

.. أما مصعب الكاتب فقـد أهمل تصريع شطري البيت الأول من تائيته المكونة من تسعة أبيات معوضاً عنه بتصريع البيت الثامن بقوله[1]:

---

(1) شعراء منسيون، 189، 132، 117.

يا أيها المرد قد نصحت لكم

خافوا من الله فضل نعمته

قدعقرب الصدغ فوق وجنته

على بياض من تحت حمرته

.. ويؤكد هذا المسلك الفني، ونحوه، مما أسلفنا الإشارة إليه -ما تحقق لهؤلاء الشعراء من تمكن فني نجحوا في خلاله في الاستفادة من طاقات هذه الأداة التشكيلية/ التصريع، يعوضون بها، في رأيي، جانباً مما جنحوا إليه، مختارين، أو مضطرين، من ميل فني إلى النصوص ذات الأبيات القليلة، نتفاً، ومقطوعات، وقصائد قصيرة.. وكأني بهم يعلنون، بدأبهم هذا، على التصريع، بأشكاله المختلفة، نوعاً من التحدي، والإصرار على المنافسة، في أوجه من نابذوهم بالسخرية، والتهكم، من سوء أحوالهم، جراء إصابتهم إلى حد ما، بأعراض الوسوسة، وما قد ينعكس بدوره، بصورة، أو أخرى، من وهن فكري، ونفسي، وبدني، يترك آثاره المباشرة، وغير المباشرة، في إبداعهم الشعري.. ناجحين في إبداء ما أعلنوه، صراحة، أو ضمناً من تحد، وإصرار، بما دأبوا عليه من مسلك فني، اتضحت لنا بعض معالمه في الصفحات السابقة..

ويزيد من صحة اعتقادي بهذا التمكن الفني الذي أراه قد تحقق لهؤلاء الشعراء بمطالعة جوانب أخرى من عزفهم الداخلي، وهي التي نخصص لها المبحث التالي..

- الموسيقى الداخلية:

ويقصد بها -في هذا المبحث- كل ما شكله الشعراء، أو استعانوا به، من أدوات التأثير الصوتي الفعالة، مواكبة لكل من مكونات الوزن -بتفعيلاته، وزحافاته وعلله، ومكونات القافية- بحروف رويها، وحركاتها، وما يسبقها، أو يتبعها من حروف لينة، ونحوها -وتتمة لها، مما يعرف بالتناسب أو المماثلة/ المجانسة الصوتية التامة، وشبه التامة...إضافة إلى ما يمكن تلمسه من روافد تشكيلية إيقاعية أخرى، عن طريق حروف المد، وبعض الصيغ/ الأبنية الصرفية لبعض الكلمات، والعزف على أوتار كل من الحركة الدائبة المتواترة السريعة المنبثقة عن دلالات الجمل الفعلية، والحركة المنتظمة الناتجة عن حسن التقسيم.. وغير ذلك، مما ننظر إليه، ونستقبله بصورته الكلية، التي لا تتجزأ، وإن كانت الضرورة تفرض على الدارس تقسيمها -للدراسة فقط- عدة أقسام متوالية، يكمل بعضها بعضاً..

ونستهل حديثنا بالوقوف عند مظاهر المماثلة/ المجانسة الصوتية، قاصدين بهما ذلك التناسب الصوتي الفعال الناتج عن تكرار بعض الحروف، أو المقاطع الصوتية، أو الكلمات، والجمل، بصورتها نفسها، التي وردت بها في بعض كلمات النص الشعري، موضع الدراسة، أو بصور أخرى قريبة الشبه منها، بعد إجراء الشاعر، أو الشعراء، بعض التغيير، أو الصرفي/ الصوتي عليها أفعالاً، وأسماءً وحروفاً..

ومن أمثلة ذلك ما نلحظه في إنشادنا أبياتاً من ميمية أبي حية النميري، التي دأب فيها على تشكيلها وفاق تفعيلات بحر الطويل (فعولن

مفاعيلـن)، صحيحـة، أو مقبوضـة، إضافـة إلى العزف علـى روى الميم المكسورة المسبوق بألف المـد، وتكرار بعض الحروف المضغفة في كل من أعاريضـ أبياته، وأضربها، وحشوها، على السـواء، وخاصة فيما نطالعه عنـد سماعنا كلاً من: (خبر، وأحـب، والموشـى، والدارين، وكل، عشية، وأقتتل، وتفتير، واصحاح، والسقائم، واللهو، وأصـد، والصـد وأحلولك، والـذي، ونميمة، وبنـا وبكم..) إلى جانب ميله إلى بعضـ الصيغ الصرفية ذات الدلالـة المعنوية والإيقاعية التأثيرية الإيجابيـة الفعالة، ولا سيما صيغ (فاعل، ومفاعل، وافتعل، وافتعال).. بقوله[1]:

وخـيرك الواشـون أن لـن أحبكـم

بـلى وسـتـور اللـه ذات المحـارم

لبسـن الموشي العصب ثم خطت به

لطـاف الخطـي بـدن عظام المآكم

ويدريـن بالداريـن كل عشـيـة

وحـم المـداري كل أسـحم فاحـم

كأن لم أبرح بالعيون وأقتتـل

بتفتير أبصار الصحاح السـقائـم

إذا اللهـو يطبيني وإذ أسـتميلـه

بمحلولك الفودين وحـف المقـادم

---

(1) ديوان المصابين، 135، 163، 150.

وإن دمـاً -لـو تعلميــن جنيتــه

على الحي- جانــي مثله غيـر سالــم

أصـد ومـا الصـد الـذي تعلمينـه

عـزاء بكـم إلا اجتـــراع العلاقـم

حيـاء وبقيـا أن تشـيع نميمـــة

بنـا وبكـم إلا ابتـلاع العلاقـــم

وانتقل -في موضـع آخر من شعره- إلى العزف على أوتار البحر نفسه، بتفعيلاتـه الصحيحة، والمقبوضة، مـع روي اللام المضموم، مسبوقاً بكسر مـا قبله، وموصولاً بهاء ساكنة، لعلها تترجم مدى سكونه بعد طول حركة ونشـاط، دائباً على تكرار الحروف، مشددة، وغير مشددة، وتكرار بعض الكلمـات، بصورتها نفسهـا التي جاءت بهـا، أولاً، أو بشيء من التغيير، مصـدرا، واسـم فاعـل، ومفـرداً، وجمعا.. ومكـثراً من حـروف اللين الممـدودة: (الألف، والواو، واليـاء)، وجانحاً إلى استعمـال بعض الصيغ والبني الصرفية المتنوعـة، وفي مقدمتها: (فعائل، وفاعل، ومفعل، ومفعل، ومفعل..).. بقوله[1]:

لعـل الهـوى إن أنت حييـت منزلا

بأكبـاد مـرتد عـليـك عـقـابله

فلمـا سـألت الربع: أيـن تيممت

نوى الحي؟.. لم ينطق وضلل سائله

---

(1) ديوان المصابين، 316، 317.

وكنت إذا خبرت أن مكلفا

بكى أو تعناه عداد يماطله

من الحب عنفت المحب فقد بكى

فؤادي حتى أسلمته عواذله

كأن فؤادي طائر في حبالة

رأى غيه لما اعتقته حبائله

وفي مطالعتنا رائية سمنون، التي بثها جانباً مما تحرك من لواعج صدره، واضطرام جوانحه، من شوق عارم، جانحاً إلى العزف على تفعيلات بحر البسيط (مستفعلن فاعلن) مخبونة العروض والضرب.. والتلفظ بالروي المكسور مسبوقاً ومتبوعاً بمد، ألفاً وياء، يترجم - بها جميعها في رأيي -مدى تأرجحه بين حركات، جسدتها تفعيلة العروض بحركاتها الثلاث المتعددة اللائي تسبقن الحرف الأخير، ووصله: (دنف، يحمله، جسدي، نفسي) وبين سكون، يكاد يسيطر عليه؛ عاجزاً، لا يملك القدرة على (التمادي) في السعي؛ إدراكاً لغاياته، وتحقيقاً لمآربه، ومترجما ولعه بتحقيق مدى التناسب الصوتي، الذي يساعد المستمع له وقارئ شعره على التفاعل، والتهيؤ المقصودين، عن طريق ذلك كله، إضافة إلى تكرار الحروف التي تتكون منها بعض مفردات أبياته، وخاصة: (قل، والمذلة، والصخر، وتفطر، والنار، ودب، وحبك، ودبيب، وتنفست، وكل..)، وتكرار بعض الكلمات، والجمل، مما نلحظ دلائله بكل من: (أفديك

ويفديك)، و(تنفست، ونفسي)، و(الصخر/ مرتين) بقوله[1]:

أفديك بل قل أن يفديك ذو دنف

هل في المذلة للمشتاق من عار؟!

بي منك شوق لو أن الصخر يحمله

تفطر الصخر عن مستوقد النار

قد دب حبك في الأعضاء من جسدي

دبيب لفظي من روحي وإضماري

ولا تنفست إلا كنت مع نفسي

وكل جارحة من خاطري جاري

وينشد عبدالله بن أبي الشيص قصيدة قصيرة، يشكو بها بعض ما آلت إليه أحواله، من سوء، متشاكياً من تلاحق المحن، والمصائب فوق رأسه، منشداً إياها على تفعيلات بحر الوافر (مفاعيلن مفاعيلن فعولن)، مع الميل إلى (الراء) المشددة المفتوحة، روياً يتكرر تصريعاً بشطري بيتها الأول.. مضيفاً إليه ولعه الملحوظ بتكراره في غير كلمات الضروب/ القافية، وعروض المطلع، أكثر من (14) مرة في ثمانية أبيات فقط، مما نراه بكل من (الدهر، وحر، والأحرار (مرتين)، وأردت، وحارب، ورقاب، ورفعت، والجهر، وشرف، وركوب، وبحر، ودرع (مرتين) ويراقب.. إضافة إلى تكرار كل من (التاء، والدال والزاي، والقاف، واللام، والنون...) بكل

---

(1) شعر أبي حية، النص رقم: (38).

من: (أظن، والدهر، والزمـان، ونقص، وملك، وكل، والدجي، ويهتك، والليـل / مرتين).. معضداً هذا الولع الفني وذاك، بالإفراط من صوغ أكثر مـن (14) كلمة من كلمات أبياته العشرة علـى وزن (فعل) ساكنة الوسط، جنباً إلى جنب صيغة (أفعال)، التي تأتي ثلاث مرات في كل من (الأموال، والأحرار، والأنساب)، وصيغة المبالغة (فعول) مرتين، في كل من (ركوب، وقعود)، مع المجانسة التامة وشبه التامة، أسماء وأفعالاً، مفردات، وجملاً، في كل من (درع الليل..، ووجه، ويكسب كسباً، ويحل المحل..).. كما نلحـظ إفراطه في الميل إلى حركة (الفتحة) داخل أبياته، أكثر من (30) مرة، غـير فتحة الـروي، وتصريعه، مما يؤكد حالة شعوريـة، ربما سيطرت عليه، بعض الوقت قبل إنشاده هـذا الرائية، أو في أثنائها، وهي رغبته الجامحة في التطلع إلى أعلي، داعياً، يطلب العون على ما أصابه قائلاً[1]:

أظـن الدهر قد آلى فبَرا

بأن لا يكسب الأموال حرا

لقد قعد الزمان بكـل حـر

ونقـص من قواه المستمرا

كأن صفائح الأحرار أردت

أباه فحارب الأحـرار طـرا

ومن جعل الظلام له قعـوداً

أصاب به الدجى خيراً وشرا

(1) شعر أبي حية، النص رقم: (46).

وإذا عاودنـا النظر في أبيات هذه الرائية، وما قبلها -لاحظنا أن صاحبها قـد جانس بين كل من (الحر) التـي تقع آخر كلمات البيت /الضرب، وبين (الأحـرار)/ الجمع، التي ترد مرتين، حشـوا وجزءاً من العروض والضرب في كل من الصدر والعجز.. وجاء بكلمة (الأنساب) مرتين صدراً وعجزاً، كما جاء بكلمتي (درع الليل)، حشواً وجزءاً من العروض والضرب.. وأتي بكلمـة (وجه)، منصوبة منونة، حشواً في الصـدر، وأول كلمات العجز، حريصـاً، في هـذه المواضع الثلاثة، المشار إليها، على عـدم إجراء أي تغيير صرفي / صوتي في بني الكلمات المجانسة، على عكس ما فعله، بقصد، أو غير قصد، في الموضع الخامس من رائيته، وهو الذي جانس فيه بين كل من (يحل)/ الفعل المضارع و(المحل)/ اسم الزمان / المكان.. وكلتاهما تقع في عجز بيته التاسع..

أما سمنون فقد لاحظنا مجانسته بين كل من قوله: (أفديك)، و(يفديك)، وكلتاهما جمله فعلية، تقع في حشو صدر بيته الأول..

وجانس أبـو حية، كما أسلفنا، بين (الحب) وهـي كلمة مفردة/ مصدر ثلاثي معرف، و(المحب)، وهي مشتـق، اسم فاعل رباعي، معرف أيضاً، وكلتاهمـا تقع في حشـو صدر البيت، وجانس بين (حبالـة) مفردة مؤنثة نكرة، في عروض البيت، و(حبائل) صيغة منتهى الجموع، في ضرب البيت نفسـه، كما جانس بـين كل من الفعل المضارع (أصـد)، والمصدر الثلاثي (الصـد) وكلاهما في صدر أحد أبيات ميميته المشار إليها، مما يدل على أن هـؤلاء الشعراء لم يتبعوا مسلكاً فنياً واحداً بعينه، وإنما نوعوا في اختياراتهم

الكلمات والجمل المرتدة/ المجانسة تنوعاً شمل (الاسمية) و(الفعلية) و(الإفراد) و(الجمع) و(الكثرة) و(القلة)، و(النكرة) و(المعرفة)، من جهة، كما شمل صدور الأبيات، وأعجازها، وأعاريضها وأضربها، وحشوها، من جهة أخرى.. مما يدل على عدم اتباعه -هو وسابقيه/ سمنون وأبي حية- مسلكاً فنياً واحداً بعينه..

وتزداد ثقتنا بصحة هذه الملاحظة النقدية - التي لم ينفردوا بها عن ركب معاصريهم، وسابقيهم، من شعراء الجاهلية والإسلام -بمطالعة بعض النصوص الأخرى، مما جري على ألسنة هؤلاء الموسوسين، أو المنسوبين للوسوسة، مشهوريهم، ومغموريهم، وفي مقدمتهم سعدون، الذي نراه يشغف بتكرار حرف النداء (يا)، سابقاً للمنادي، خمس مرات، تقع أربع منها في أوائل كل بيت من أبياته البائية الأربعة التالية، وتقع الخامسة في مستهل عجز بيتها الأول، إضافة إلى ردة كلمة (كلام) المنصوبة، وهي أولى كلمات عجز بيتها الثاني، على (كلم)/ الفعل الماضي، الواقع ضمن مفردات صدره، ورد (انتحاباً) المصدر المنصوب، الواقع ختاماً لكلمات البيت الثالث، على فعله (وفاعله) الخماسي، (ينتحب)، إحدى مفردات حشو عجزه.. بقوله[1]:

يا من كلما نودي أجابا
ومن بجلاله ينشي السحابا

---

(1) ديوان المصابين، 180.

ويامن كلم الصديـق موسـي

كلاماً ثم ألهمـه الصوابـا

ويا من رد يوسـف بعـد ضر

على من كان ينتحب انتحابا

ويامن خص أحمد باصطفاء

وأعطـاه الرسالة والكتابـا

أما برذعة الموسوس فقد رد كلمة (الدلاك)/ جمع التكسير، وهي إحدى كلمات حشـو صدر بيته الثاني علـى (التدليك)/ المصـدر الرباعي، وهي إحـدى كلمات حشو عجز بيتـه الأول، و(دالك)/ اسـم الفاعل الثلاثي، وهي آخر كلمات صدره، قائلاً[1]:

أأنكـرت مـا عاينت من كـف دالك

وهل ينكر التدليـك من قول مالك؟

لقـد أمـن الـدلاك مـن أن تنالهـم

حـدود الزنا في واضحات المسـالك

(1) ديوان المصابين، 211.. وبقية الأبيات هي:

وأمكن من رقاب المال قوماً ... وملكهم به نفعاً وضرا

إذا رفعت بنو الأنساب صوتاً ... أعادوا الجهر بالأنساب سرا

فأصبح كل ذى شرف ركوباً ... لأعناق الدجى بحراً وبرا

يهتك جيب درع الليل عنه ... إذا ما جيب درع الليل زرا

يراقب للفتى وجهاً ضحوكاً ... ووجهاً للمنية مكفهرا

ليكسب من أقاصى الأفق كسبا ... يحل به المحل المشمخرا

ورد أبـو دانق البغدادي الفعل الماضـي (سلم)، وهو الكائن ثاني كلمات حشـو عجز بيت شعري علـى نظيره نفسـه (سلم) الواقع ثـاني كلمة من كلمات حشو صدره، بقوله[1]:

فـلا سـلمت مــن حـذري وخوفي

متـى سـلمت صفاتك من لسـاني

ورد أبـو بكر الموسوس كلمة (الخط) المفـردات المعرفة بأل، الواقعة أولي كلمات صدر بيته الثاني، على (خطه) المفردة المعرفة بالإضافة إلى الضمير، والواقعـة آخر كلمات صـدر بيته الأول، كما رد كلمـة (سمطه) المرفوعة المضافة المفردة الواقعة آخر كلمات صدر بيته الثالث على (سمطه) المجرورة المضافـة المفردة الواقعة آخر كلمات بيته السابق، وفعل نحو ذلك، أو قريباً منـه في رده (رداءة) على نظيرتها في البيـت الأول، و(أبان)، على كل من (إبانة)، و(بيان) في البيتين الآخرين. .قائلاً[2]:

اعــذر أخـاك عـلى رداءة خطـه

واغفـر رداءتـه لجـودة ضبطـه

فالخــط ليس يراد من تحسـينـه

وبيانـه إلا إبـانــة سـمـطـه

فـإذا أبان عــن المعاني سـمطـه

كانـت ملاحتـه زيـادة شـرطـه

---

(1) ديوان المصابين، 133.

(2) ديوان المصابين، 8.

وسايره بكار المجنون، في شأنـه هذا، ونحوه، برده كلمة (البلاد) جمع التكسير المعرفة، إحدى كلمات حشو صدر بيته الثاني، على (بلدة) المفردة النكرة، الواقعة عروض بيته الأول، من جهة، ورده (أحبائي) جمع التكسير ثانيـة كلمات حشـو عجز بيته الثاني على مثيلتها - تقريبـاً: (أحباي) أولي كلمات عجز بيته الأول، بقوله[1]:

كفـــى حزنـاً أنـي مقيـم ببلـــدة

أحبــاي عنهــا نازحــون بعيـــد

أقلــب طــرفي في البـــلاد ولا أرى

وجـــوه أحبـائـي الذيـــن أريـــد

أمـا صبـاح الموسوس فقـد رد المصدر الثلاثـي (سوء) وهـو الواقع ثاني كلمات حشـو العجز، في الفعـل الماضي الرباعي وفعلـه (أسأت)، وهما اللذان - يحتلان الصدارة من كلمات صدر قوله[2]:

أسـأت إذ أحســنت ظنــي بهــم

والحــزم ســوء الظــن بالنــاس

ورد بهلـول كلاً مـن كلمة (القضـاء) المصدر الثلاثي، الـذي يحتل آخر موضع من مفردات بيته الأول من نتفته الهمزية، على (قاضي) اسم الفاعل الثلاثـي، الواقع في مستهـل كلمات حشو عجزه، من جهـة، و(الأرض) المفـردة المؤنثـة الواقعة، ثانية كلمـات حشو عجز بيته الثـاني على مثيلتها

---

(1) ديوان المصابين، 119.

(2) ديوان المصابين، 15.

في عجز بيتـه السابق، من جهة ثانية، وكرر كلمـة (ويل) ثلاث مرات في صدره، وكلمة (أهل) مرتين، قائلاً[1]:

إذا خـان الأميـر وكاتبـاه

وقـاضي الأرض داهـن في القضـاء

فويـل ثـم ويـل ثـم ويـل

لأهـل الأرض من رب السمـاء!!

وبلـغ خالد الكاتـب إلى أقصى مدى، في هذا الجانـب الإيقاعي، بعزفه على وتـر التكرار، تكرار الكلمات، والجمل، بصـورة مؤثرة فعالة تعتمد على رد الفعل المضارع (يدرك) من صدر البيت الثالث على ماضيه (أدرك) من صدر سابقه، من جهة، وتكـراره أسلوب التمني (ليته..) أربع مرات، تقـع إحداها في عجز بيتـه الأول، وتقع الأخريات في أوائـل أبياته الثلاثة الأخرى، من جهة أخرى بقوله[2]:

أمـا فـؤادي فلـه

فـليتـه علـلـه

أو ليتـه أدرك بـال

إحـسـان مـا أمله

أو ليتـه يـدرك من

قـلبـي مـا حـل له

---

(1) ديوان المصابين، 12.

(2) ديوان المصابين، 200.

أو ليته كافأني

بالود إذ يقتله

واتجه اتجاهاً آخر، في مسلكه الفني هذا، بتكرار كلمة (الرقيب) ثلاث مرات، اثنتان منها مجتمعتان، والأخرى منفردة جنباً إلى جنب تكرار (الحبيب)، قائلاً[1]:

كيف خانت عين الرقيب الرقيبا

أخطأتني لما رأيت الحبيبا

رحمتني فساعدتني فقبلـ

ـت بعيني مع الحبيب الرقيبا

وجمع بين كلمة (الأنين) وتربها متتاليين، بقوله:

منعته من طاعة العاذلينا

زفرة تتبع الأنين الأنينا

.. ويشعر قارئ هذا النصوص الشعرية وسابقاتها، وغيرها[2] مدى براعة أصحابها في تشكيل صورهم السمعية المعتمدة على كل من المجانسة/ التكرار، تكرار الحروف، والمقاطع والكلمات، والجمل، في كل أنحاء نصوصهم الشعرية: صدوراً، وأعجازاً، وأعاريض، وأضرباً، وحشواً، وحرصهم على تعويض ما ألمحنا له من اقتصارهم الاختياري، أو الاضطراري على إنشاد الأبيات اليتيمة، والنتف، والمقطوعات، والقصائد

---

(1) ديوان المصابين، 18.

(2) شعراء منسيون، 168.

القصيرة ببثها، أوتاراً شجية من أوتار كلفهم المقصود، وغير المقصود بالإيقاع الموسيقي..

وتتأكد صحة هذا الشعور بمطالعتنا نصوصاً أخرى حرص منشدوها – بكثرة – على العزف المتناغم على أوتار الصيغ والبني الصرفية ذات الدلالات المعنوية، والإيقاعات الموسيقية الترنمية المتنوعة الدلالة على جانب خفي، أو ظاهر ملموس، مما يبدو أنهم كانوا يقعون تحت تأثيره، إبان إنشادهم الشعري.. ومن هذه النصوص ما أنشده ماني، معتمداً في بناء معجمه اللغوي على بعض المشتقات، كأسماء الفاعلين والمفعولين، وصيغ المبالغة، بأوزانها المتواترة المعروفة، جنباً إلى جنب الجمل الفعلية، والاسمية المتتابعة، والمصادر الكثيرة، بأوزان وشيات بعينها؛ مما يترك في آذان المتلقين آثاره الإيقاعية المنشودة من خلال تكرار القراءة، والاستماع، والتواصل المتبادل بين الشاعر، وجمهوره، ومعضداً ذلك، ونحوه، بالعزف المقصود، وغير المقصود على أوتار التكرار المفرد، أو المضاعف، بشياتها المتعددة، قائلاً[1]:

---

(1) ينظر مثلاً قول بهلول:

اضمر ان اضمر حبي له ... فيشتكى إضمار إضماري

رق فلو مرت به ذرة ... لخضبته بدم جاري

وقول سعدون:

يا من بنى القصر في الدنيا وشيده ... أسست قصرك حيث السيل والغرق

لو كنت تفنى بذخر انت ذاخره ... اسسته حيث لا سوس ولا خرق

والموت مصطبح منكم ومغتبق ... فاحتل لنفسك قبل الورد يا حمق

واذكر ثموداً وعاداً: اين انفسهم ... فلو بقي أحد من بعدهم لبقوا

وقول مصعب:

يا أيها المرد قد نصحت لكم ... خافوا من الله فضل نعمته

إذا سطا أمرد وتاه على ... عاشقه كان غب سطوته

عقوبة الأمرد الذي كثرت ... ذنوبه في خروج لحيته

(ديوان المصابين، 57، 150، 316).

ومـتـرف عقـد النعيـم لسـانـه

فـكـلامـه وحـي بـإيـمـاء

وكأنمـا نهـكـت قـوي أجفـانـه

بالـراح أو شـيـبـت بإغـفـاء

لـو صافـح المـاء القـراح بكـفه

لجـرت أناملـه كجـري المـاء

يرفـو إلى (نعـم) بنيـة مسـعـف

ولسـانه رنـق عـلى (لا..لاء)

مـاء النـعيـم بخـده متـقـطر

والصـدغ منـه كعطفـة الـراء

فقد زاوج في هذه الهمزية بين إيقاعات الوزن والقافية، وبين كل من صوغ بعض أدوات معجمه الشعري على وزن المفعل: (المفعول) في قوله: (ومترف)، و(مفعـل): (الفاعل) في كل من (مسعف، ومتقطـر)، و(فعيل): (المبالغة) في (النعيـم) -مرتين- إضافة إلى المصادر، التـي جاءت رباعية على وزن (إفعال) في كل مـن (إيماء، وإغفاء)، أو ثلاثية، علـى وزن: (فعلة)، في كل من: (نية)، و(عطفـة)، أو (فعـل) في (جرى)، ناهيك عن تواتـر الجمل الفعلية بدلالاتها الحركيـة الصاخبـة، في كل من (عقد النعيم لسانـه) و(نهكت قوي أجفانه)، و(شيبـت أجفانه بإغفـاء)، و(صافح الماء)، و(جرت أناملـه)، و(يرفو..) في الوقـت الذي قلت فيه جمله الاسمية، التـي نطالعها في كل من قوله: (كلامه وحي)، و(لسانه رنق)، و(ماء النعيم متقطع)، و(الصدغ كعطفة الراء)..

ومثـل هذا النص – في ثرائه اللفظـي، وتناغمه الموسيقـي – ما نلحظه بمطالعتنا قوله:

دعا طرفـه طرفي فأقبـل مسرعـاً

وأثـر في خديـه فاقتص من قلبـي

شـكوت إليـه ما لقيت مـن الهوى

فقال: (على رسل) فمت فما ذنبي؟

فقد كرر الشاعر كلمة (طرف) في صدر بيته الأول، جانحاً إلى استعمال الجمـل الفعليـة، ذات الأفعال الماضية، في كل مـن: (دعا طرفه طرفي..)، (وأثـر، فاقتص، وشكوت، ولقيت، فقال، فمـت).. إلى جانب دأبه على (تضعيـف) نطقه بعض كلماته، أو جمله، مـن خلال التشديد الواضح في كل من (أثر، وخديه، واقتص، ومت..) ناهيك عن العطف بالفاء، أكثر من أربع مرات، (فأقبل، فاقتص، فقال، فمت، فما ذنبي..)، وبناء بعض كلماته على وزن اسم الفاعـل: (مسعد)، واستعمال بعضـ الأساليب كالعطف، والاستفهـام، والإكثـار من أحرف المـد/ العلة، في كل مـن (دعا، طرفه، وطـرفي، وفي، وخديه، وقلبـي، وشكوت، وإليه، ومـا لقيت، والهوى، وقال، وعلي، وما ذنبي...) وغيرها..

ويـزداد إحساسنـا بوقع الكلمـات المبنية علـى أوزان أسمـاء الفاعلين، والمفعولـين، وصيـغ المبالغة وغيرهـا من المصـادر، جنبـاً إلى جنب عزفه علـى أوتار حـروف المد الطويلة/ العلـة، والتشديد، ونحـوه من الوسائل التشكيليـة، بمطالعتنـا أبياته اللامية التي وصف به نفســه، ومدح محمد بن

عبدالله الطاهري، بقوله:

مـدمـن الـتـخـفيف موصـول

ومـطيل الـلـبـث ممـلول

ليـس لـي إلـف فيـعطـفنـي

فـارقـت نـفسي الأباطيل

أنا مـوصـول بنعمـة مـن

حبـله بـالمجد مـوصـول

أنــا مشمـول بمنـة مـن

منه فـي الخـلـق مبـذول

أنا مغبوط بنـعمة من

طبـعـه بـالخيـر مأمول

مـلك قل الـنـظـيـر له

زانــه الغـر البـهـاليل

طاهـري فـي مـركـبـه

عـرفـه في الناس مبـذول

دم مـن يـشـقـى بصارمـه

مـع هبـوب الريح مطلول

يـا أبـا العبـاس صـن أدبـاً

حده بـالـدهـر مـفلـول

فغير خفي ما نراه في أطراف هذه اللوحة الشعرية من حرص الشاعر على تشكيل بعض عناصرها الإيقاعية على وحدتي الوزن والقافية، وتآزرهما؛ جنباً إلى جنب صوغ أدوات معجمه اللغوي، صياغة تأتلف ائتلافاً مع موقفه الشعري، الذي ينحو نحو (الذاتية/ الغيرية)، في وصفه جانباً من جوانب نفسه، وقد شارف على الوقوف ضارعاً، معجباً بممدوحه، الذي ورث معالم النجابة، والسؤدد، والفضل، كابراً عن كابر، مجسداً أحاسيسه بالتضاؤل، والانتفاخ، في الوقت نفسه أمام ممدوحه الذي كثر خيره، وتعالى مجده؛ مما دفعه إلى الإكثار من صيغ أسماء الفاعلين بدلالاتها الإيجابية، وإيحاءاتها الحركية المتعددة، ولاسيما في كل من: (مدمن، ومطيل، وطاهر، وصارم..)، مع مثيلاتها من (أسماء المفعولين)، التي تعكس بدلالاتها ما استجاشته أسماء المفعولين في نفوسنا، وخاصة في كل من (موصول ومملول، ومشمول، ومبذول، ومغبوط، ومأمول، ومركب، ومطلول، ومفلول..) إضافة إلى صيغة المبالغة (النظير)، والمصادر المختلفة الأوزان والشيات، وفي مقدمتها (التخفيف) و(اللبث) و(النعمة)، و(المجد)، و(الخلق)، و(الخير)، و(هبوب)، وغيرها من الصيغ، التي تكتظ بأحرف المد، وترتبط بغيرها بالعطف، وغيره من التوابع، إضافة إلى المزاوجة بين الجمل الاسمية، ومثيلاتها الفعلية، مخاطبة في المتلقي مخيلته التي تواكب كل ذلك، وتتواصل مع طاقاته المتناغمة، بشتى مكوناته، وعناصره الظاهرة الملموسة، وشبه الظاهرة، التي تتواءم مع غيرها، في كل، لا يتجزأ، في إطار من تكامل تجربته، وتكامل عملية استقبالها.

ومثل هذه النصوص في بنائها الإيقاعي ما نلحظه بمطالعتنا قول جعيفران[1]:

ألكن لا يفصح حرفين في

صدق ولحان بإعراب

فهو يميل إلى صيغ (أفعل)، و(فعل)، و(فعال)، و(إفعال) ناجحاً في التعريض بخصمه، الذي يعيش حسب رؤيته - بازدواجية مفرطة ممقوتة، عاجزاً عن عمل الخير منجرفاً، بشراهة، نحو الشرور والآثام..

كما أنشد دالية، وصف بها جانباً من مواقفه الإنسانية والفنية، محباً، يشعر بضآلة شأنه أمام تثاقل محبوبته، وعدم رثائها له؛ مما جعله يحس بمزيد من الجهد، وحرارة الشوق، يؤرقه حنينه، ويسقمه وجده، عازفاً على وتر صيغة اسم المفعول (مجهود، وممهود، ومصفود، وموجود..)، جنباً إلى جنب ما يجذب انتباهنا من شغفه بالتشديد ونحوه، تضعيفاً لبعض حروف كلمات أبياته، إلحاحاً على توفير طابع إيقاعي منشود، وخاصة في كل من (غرد، والديك، ودجنته، وحثثت، والسير، وكل، ولذ، والدجي، والنفس، والليل، ومدرع، والسود، وترقي، وزودته..) قائلاً:

ما غرد الديك ليلاً في دجنته

إلا حثثت إليك السير مجهودا

ولا هدت كل عين لذ راقدها

بنومة في لذيذ العيش ممهودا

---

(1) شعر محمد،128، 133-، 159، 161، 163، 185 - 187.

إلا امتطيت الدجى شوقاً إليك ولو

أصبحت في حلق الأقيال مصفودا

أسعى مخاطرة بالنفس يا أملي

والدرع مدرع أثوابه السودا

فلم ترقي ولم ترثي لمكتئب

زودته حركات القلب تزويدا

هيهات لا غدر في جن ولا بشر

من الخلائق إلا فيك موجودا

وفي أبيات داليته الأخرى، التي مدح بها أبا دلف العجلي، ندرك مدى دأبه على الجمع بين أكثر من صيغة صرفية، ذات وقع موسيقي، يتناغم مع طاقات كل من الوزن، والقافية والتصريع، والتكرار، ورد الأعجاز على الصدور، والتكرار المتعدد المواقع، والهيئات، تناغماً، تتجلي فيه قدرته على تشكيل لوحته الشعرية، التي يحاول بها التواصل مع مستمعيه، من خلال تكراره كلاً من صيغ التفضيل (أفعل)، في كل من (أكرم، وأفجع، وأشبه)، وصيغ أسماء المفعول: (مفعول، ومفعل) في كل من: (موجود) و(مفقود) و(محمود)، و(معبود)، و(معدود)، (ومكرم)، جنباً إلى جنب صيغة اسم الفاعل (فاعل)، التي يجسدها لفظا: (واحد، وقاسم)، وصيغتي (فعلي) في كلمة (نعمي)، و(فعلة) في كلمة (غبطة)، إضافة إلى العزف على أوتار بعض الحروف التي نلحظ مجيئها في كل بيت، على حدة، بصورة إيقاعية مؤثرة، وفي مقدمتها (الميم) في البيت الأول، و(الحاء) في البيت الثاني،

و(القاف) في البيت الثالث، و(العين) في البيتين الرابع والخامس، بقوله:

يـا أكـرم الأمــة مــوجــودا

وأفجــع الأمة مــفــقــودا

لماســألــتالناسعــنواحــد

أصبــح في العالم محمودا

قــالو جـميـعــاً: إنــه قــاسم

أشبه آبـــاءً لـــه صيدا

.. وأمثــال هــذه الداليــة، وسابقاتهــا، في الاستفادة من هــذه الطاقات الإيقاعية، كثيرة فيما نطالعــه بقراءتنا أشعار أبي حية[1]، وخالد الكاتب[2]،

---

(1) شعر جعفر، ضمن كتاب (إلى روح الأستاذ الدكتور مصطفى مندور)، 351-353، وينظر شعره (ط. دار التيسير/ ص 93، 100، 102).

(2) ينظر مثلاً: شعر أبي حية، النصوص: (3، 42، 53) وبصفة خاصة قوله:

فلأبعثن مع الرياح قصيدة ... مني مغلغلة إلى القعقاع

ترد المناهل لا تزال غريبة ... في القوم بين تمتع وسماع

وقوله:

وخنساء خماص الوشاحين مشيها ... إلى الروح أفنان خطا المتجشم

وقوله:

جديرون يوم الروع أن يخضبوا القنا ... وأن يتركوا الكبش المدجج ثاويا

ضربناهم ضرب الحساما غرائب..

وسمنون[1]، وسعدون[2]، وعبدالله ابن أبي الشيص[3]، ومصعب الكاتب[4].. وغيرهم..

ومـع تعدد هذه الروافـد الإيقاعية المتنوعة، فيما أسلفنـا الإشارة إليه من أشعارهم -يـزداد إحساسنا بوقع الجمل الفعلية، وكـثرة حركاتها المتدفقة بانسيابية جياشة بإنشادنا أبيات سمنون:

---

(1) ينظر شعراء منسيون، ص 109، 114، 130، 137، 152، 156، 197، 178، 188، وغيرها.. وبصفة خاصة قوله:

أعان طرفي على جسمي وأحشائي — بنظرة وقفت جسمي على دائي
وكنت غراً بما يجني على بدني — لا علم لي أن بعضي بعض أدوائي

وقوله:

يا وحيد الجمال عند القلوب — وحقيقاً بالمنظر المحبوب
وبديع المثال معتدل القد — د مليئاً بكل حسن وطيب

وقوله:

شوق تجدد في فؤاده — وهوىً تمكن من قياده
ومدامع تجرى دماً — من حربهن على رقاده

وقوله:

بفترة أجفانك الفاتره — ولحظة مقلتك الساحره
وحسن سوالفك المشرقا — ت ووجنتك الناضرة
خف الله في دنف هائم — على قلبه دارت الدائره

.. وغيره..

(2) ينظر قوله:

لئن أمسيت في ثوبي عديم — لقد بليا على حر كريم
فلا يحزنك أن أبصرت حالاً — مغيرة عن الحال القديم
فلي نفس ستذهب أو سترقى — لعمرك بي في أمر جسيم

(ديوان المصابين، 191).

(3) ينظر قوله:

زعم الناس أنني مجنون — كيف أسلو ولي فؤاد مصون
علق القلب بالبكا في الدياجي — وهو بالله مغرم محزون؟!

(ديوان المصابين، 160).

(4) ينظر قوله:

مات بديع الشعر والظرف — والأدب الموصوف والوصف
ياجدثاً حل ابن أوس به — واغتاله من زمن صرف
إن لم يكن جادك مزن فقد — جادتك منا أعين مذف

(ديوان المصابين، 220)

وكان فؤادي خالياً قبل حبكم

وكان بذكر الخلق يلهو ويمرح

فلما دعا قلبي هواك أجابه

فلست أراه عن فنائك يبرح

رميت ببين منك إن كنت كاذباً

وإن كنت في الدنيا بغيرك أفرح

وإن كان شيء في البلاد بأسرها

إذا غبت عن عيني بعيني يملح

فإن شئت واصلني وإن شئت لا تصل

فلست أرى قلبي لغيرك يصلح

فقارئ هذه الأبيات تستثيره تكراريات الجمل الفعلية المتواترة أكثر من (24) مرة، منها(5) مرات تعتمد على فعل واحد بعينه، وهو (كان)، و(6) مرات تعتمد على أساس تكرار الأفعال (شاء) و(وصل)، و(ليس)، بعد إسنادها إلى الضمائر، التي تتكرر، بدورها، بصورة حاشدة..

ومثـل هذه الاستثارة مـا نعايشه بمطالعتنا أبيات خالـد، التي وصف بها جانباً من رحلة الظعن، وما تتطلبه من حركات متوالية[1]:

زمـــوا المطي غداة البـين وارتحلوا
وخلفونـــي عــلى الأطــلال أبكيهــا

أتهجـرون فتـــيَّ أغري بكـم تيهاً
حقــاً لدعـــوة صـــب أن تجيبوها

أهـــدي إليكـم عــلى نــأي تحيتــه
حيـوا بأحســن منهــا أو فردوهــا

شيعتهم فاسترابوا بي فقلت لهم:
إني بعثــت مـــع الأجمــال أحدوها

قالــوا: فما نفس يعلـــو كذا صعداً
ومــا لعينــك لا ترقــي مآقيهـــا؟!

قلــت: التنفـــس لــلإدلاج نحوكـم
ومــاء عيني جــار مــن قذى فيهــا

وقوله، في موقف شعري آخر:

يــا رحمتا للعاشقينا
ما إن أرى لهم معينا

كم يهجرون ويعذلون
ويجــزعون فينحلونا

---

(1) ديوان المصابين، 177.

وتـــراهـــم مـــمـــا بهـــم

بـــين الـــبريـــة خاشعينا

ويتحملون ويظهرون

تـــجـــلـــداً للشـــامتينا

وقول أبي حية[1]:

وقــد جعلــت إذا ما قمــت يوجعني

ظهري فقمت قيام الشارب السكر

وكنــت أمشي عــلى رجلــين معتدلاً

فصرت أمشي على أخرى من الشجر

.. ونلاحظ، في قرائتنا هذه النصوص السابقة، إلى جانب ما تذخر به من طاقـات إيقاعية أشرنا إلى معالمها، انتهاء بعضـ كلماتها - أعاريض وأضرباً وحشواً - بالتنوين، وانتهاء بعضها الآخر بحروف علة.. مما يدفع منشدها إلى التوقـف عند إنشاده إياها، والترنم بها، بتؤدة، واطمئنان، يسمحان له، وللمستمع تقسيم فقرات البيت/ الأبيات، تقسيماً حسناً، يعضد إحساسه بإيقاعاتــه، وخاصــة إذا عاودنا النظر في كل من أبيــات سمنون، التي نعيد كتابتها، هنا، حسب مراحل التلفظ بكلماتها هكذا:

---

(1) شعراء منسيون، 191. وينظر أيضاً القطعتان: (140، 166)، ص 172، 184.

وكان فؤادي

خالياً

قبل حبكم

وكان بذكر الهوى

يلهو

ويمرحو

فلما دعا قلبي

هواك أجابه

فلست أراهوو

عن فنائك يبرحو

رميت ببين

منك إن كنت كاذباً

وإن كنت في الدنيا

بغيرك أفرحو

وإن كان شيء في البلاد بأسرها

إذا غبت عن عيني

بعيني

يملحو..

.. ومثـل هذه الكتابة الشعرية، المعتمدة على حسن تقسيم بعض فقرات أبيات خالد:

زموا المطي غداة البين وارتحلوا

وخلفوني

على الأطلال أبكيها

أهدي إليكم

على نأي

تحيته

حيوا

بأحسن منها

أو

فردوها

شيعتهم

فاسترابوا بي

فقلت لهم

إني بعثت مع الأجمال أحدوها..

قالوا

فما نفس

يعلو

كذا

صعداً

وما لعينك لا ترقى

مآقيها..

وقول أبي حية:

وقد جعلت إذا

ما قمت يوجعني

ظهري

فقمت قيام الشارب السكري

وكنت أمشي

على رجلين معتدلاً

فصرت أمشي

على أخرى

من الشجري

.. ومثـل هذه الأبيات، في حسـن تقسيمها ما نطالعه عنـد قراءتنا قول بهلول[1]:

---

(1) شعر أبي حية، النص رقم (22).. وينظر أيضاً قول مصعب:

نصيحة من حوى أذناً وطرفا ... أتتك وسوف تسعد إن فعلتا

عليك إذا لقيت بحسن بشر ... وكن من أكثر الثقلين سمتا

ولا تخل الأصابع من عقود ... ولمت الناس بالأوتار غتا

وعظهم وانههم من منكرات ... ولا تدع البكاء إذا وعظتا

وراخ الذي تهواه كيما ... يقال: أخو أبيه وقد ظفرتا

.. (ديوان المصابين، 318).

أولئــك خــدام/ كـــرام/ وســـادة

ونحــن عبيد الســـو/ ءبئــس عبيد

ترى الناس إلا هم/ سكارى/ وماهم

ســكارى/ ولكــن العذاب شــديــد

ولا فــزع يحــزنهــم/ بــل بقــريه

لهــم فــرح/ يحــل هنــا/ك وعــيد

وقول سعدون[1]:

ولا خير في شكوى/ إلى غير مشتكي

ولا بد من شكوى/ إذا لم يكن صبر

وقول ابن أبي الشيص[2]:

إذا عاهدوا/ فالنكث نحت عهودهم

وإن وصلوا / خلوا / فوصلهم هجر

وقول خالد[3]:

كبـــد شــفها غــلــيل التصــابــي

بــين عتــب/ وســخطة/ وعــذاب

كل يــوم/ تدمــي بجرح من الشــو

ق ونــوع/ مجــدد/ مــن عــذاب

---

(1) ديوان المصابين، 26.

(2) ديوان المصابين، 145.

(3) ديوان المصابين، 209.

وقوله:

وتـركـتـنـي/ متحيراً

مـتـلـدداً/ ذلـفـاً/ لمابي

وقوله:

يـا من أعـوذ بوصله/ مـن صده/

وبعطفـه/ مـن قربـه/ في بعـده

بكمـال صورته/ وزهـرة وجهه/

وضيـاء وجنتـه/ وحمـرة خده

وقوله:

يا طول زفرتـه/ من طول حسرته

ومـا أعـد لـه/ في يومـه/ وغـده

يا من رأي أسفاً/ مستبعداً / دنفاً

كانـت منيتـه/ في عينـه/ ويـده

.. وغـيره.. مما يطول القول فيه؛ تأكيـداً لبراعة قائليه في مواكبة اتجاهات معاصريهـم، وسابقيهم؛ استفـادة من حسن التقسيم، وغـيره من الطاقات الإيقاعية الأخرى التي أسلفنا الإشارة إليها في الصفحات السابقة، مدركين أن إصابتهم بالعلة، أو نسبتهم لها لم تؤثر في هذا الجانب الحيوي من مكونات تجاربهم الشعرية، بأي تأثير سلبي ينضاف إلى الأوتار السابقة التي لمسنا بعض مظاهرها في وقوفنا على جوانب من مضامين شعرهم، وبنائه الفني.

وحتى تتسنى لنا معرفة ما إذا كان هذا الأمر نفسه، أو شبهه قد تحقق لهم في بنائهم لمعجمهم اللغوي، وتشكيلهم لصورهم الشعرية.. فإننا ننتقل إلى بحث هذا الجانب الفني من خصائص شعرهم، مخصصين له الصفحات التالية..

3 ـ لغة الشعر وصوره

ارتبط بناء لغة الشعر، وصوره الفنية في أشعار الموسوسين بما خصصوا له الجانب الأكبر من مضامين شعرهم، وهو التعبير عن مدى قلقهم، وتبرمهم، ومعاناتهم مما أصيبوا به، أو نسبوا إليه من وسوسة، وجنون، وما واكبها من أعراض، ومواقف، وحالات شعورية، وفكرية، وفنية.. من جهة.. وببعض المهن التي زاولها بعضهم، وفي مقدمتها الكتابة/ الخطاطة، من جهة ثانية، وتأثره باتجاه بعضهم إلى التصوف، والتزهيد، من جهة ثالثة، إضافة إلى مواكبتهم روح عصرهم، بمكوناته الثقافية، واتجاهاته الفكرية التي عايشوها.. من جهة أخرى..

ويدرك قارئ أشعار هؤلاء الشعراء مدى التداخل، الذي أحدثه أصحابه بين روافد هذا المعجم الشعري المتعددة، من جهة، ومدى التواصل والتماس الفنيين اللذين عقدوهما في أطر تجاربهم الفنية المرتبطة بتباين مواقفهم الإنسانية، والفنية، من جهة أخرى..

ويحتل المعجم اللغوي المرتبط بالوسوسة، والجنون مكان الصدارة موازنة بغيره من معاجمهم التي شكلوا بها جانباً من تجاربهم الشعرية، لاهجين بمفردات تشي بالعلة، والمرض، وما يتصل بهما.. وفي مستهلها (الوسواس)

وهـي الكلمة التي تكرر مجيئها على لساني جعيفران وماني بمواقف متباينة، إثباتاً ونفياً، وتشكياً، وتغزلاً، وهجاء، مما يتضح في قول جعيفران[1]:

رأيــت الــنـاس يرمو
نـي أحـيـانـاً بـوسـواس

وقوله:

رأيــت الــنـاس يرموني
بــوســــواس وإلمــــام

وقوله:

طـــاف بـــه طيـف
مـــن الـــوســـواس

وقوله:

ومـــا بي اليوم من جن
ولا وســـواس بلبال

وقول ماني[2]:

سلي عائداتي: كيف أبصرن كربتي
فإن قلت: قد حابينني فاسألي الناسا
فإن لم يقولوا: مات, أو هـو ميـت
فزيدي-إذن-قلبي جنوناً ووسواسا

---

(1) شعراء منسيون، 112، 129، 131. وتنظر أيضاً النصوص ذوات الأرقام: (5، 28، 35، 58، 127، 130، 136، 139، 165..) وغيرها..

(2) شعر جعفر، 104، 106، 113، 119.

وتلي هذه الكلمة/ الوسواس من حيث الأهمية، في هذا المعجم الشعري كلمة (الجنون)، وما يشتق منها، أو يتصل بها، مما ورد على لسان جعيفران بقوله الأخير، وما جاء على لسان ماني، إضافة إلى قول سمنون[1]:

زعم الناس أنني مجنون

كيف أسلو ولي فؤاد مصون؟

وقول مصعب[2]:

فقال لي: أنت مجنون فقلت له:

لا تكثرن على القال والقيلا

مواكبة لقول جعيفران[3]:

رأيت الناس يدعوني

بمجنون على عمد

وقوله:

قالوا على كذباً وبطلا

إني مجنون فقدت العقلا

وقوله:

زعموا أني مجنو

ن أرى العري جميلا

---

(1) شعر محمد، 175.

(2) ديوان المصابين، 160.

(3) ديوان المصابين، 328.

ويتصــل بهاتــين المفردتين ما أشار إليــه هذا الشاعر، في قولــه المتقدم من (إلمام)، إضافة إلى (العدوى) التي ألمح إليها بقوله يخاطب أبا دلف، مادحاً[1]:

يا معدي الجود على الأموال

....

أمــا خالد الكاتــب فقد نوه بهذه (العــدوى)، ونحوهــا في إطار تجربته الغزلية، واصفاً جانباً من ذاته، قائلاً[2]:

طويل الضنى يستلذ السقــام

لأنــك يــا طــرف أعديته

وقوله:

وانظــر إليّ بعــين أســقمت بدنــي

فجوهر اللحظ مــن عينيك أعداني

ومــن (العــدوى) إلى (العلــة) التي جــاء استعمالها موزعــاً على المصدر الثلاثــي، وصيغــة المبالغة (فعيــل)، والفعل المضارع، كمــا نلحظ في قول عبدالله بن أبي الشيص[3]:

تعتل مــن غيــر علــه

بالحسن أضحــت مدله

---

(1) شعر جعفر، 98، 113، 116، 118.

(2) شعر جعفر، 114.

(3) شعراء منسيون، 117، 183.

وقول سمنون[1]:

تركت الفؤاد عليلاً يعــاد

وشردت نومي فمالي رقاد

وقول خالد[2]:

بجسمي لا بجسمك يا عليل

ويكفيني من الألم القليــل

وقوله الذي يشير إلى (المرض) و(المريض)[3]:

ما على الغضبان لو كان رضي

ورثى له من تمادي مرضــي

وقوله:

ومريض طرف ليس يصرف طرفه

نحــو امــرئ إلا رمـــاه بحتفـــه

.. ومــن العلة والمرض، إلى (الجــرح)، و(التجارح) اللذيــن يردان على لسان كل من ماني، بقوله[4]:

وما جرحــت بطرف العــين وجنته

إلا ومــن كبــدي يقتــص محجــره

(1) ديوان المصابين، 222.
(2) ديوان المصابين، 179.
(3) شعراء منسيون، 165.
(4) شعراء منسيون، 151، 157.

وخالد الكاتب بقوله[1]:

لقد تعاتبنا بأبصارنا

فيما جناه الخلف من عمده

حتى تجارحنا بتكرارنا الـ

ـلحظ في قلبي وفي خده

وقوله:

ومر بفكري خاطراً فجرحته

ولم أر خلقاً قط يجرحه الفكر

ويتصل بهذه الكلمات ما يعرف بالعيادة، وهي التي جاءت الإشارة إليها فيما أوردنا من قولي ماني وسمنون على صيغتي (الفعل المبني للمجهول/ يعاد)، و(اسم الفاعل/ عائدات)..

أما كلمة (الشفاء) فقد وردت على لسان خالد بقوله[2]:

جد لي بالشفاء يا مبتليه

هل نرى السقيم قد تبين فيه؟!

.. وواكب هذه الإشارة وسابقاتها تنويههم بالآفات كما نلحظ في قول خالد[3]:

وأضحى جديد الهم والشوق بالياً

ولا أحسب الآفات إلا من الهجر

---

(1) شعر محمد، 170.

(2) شعراء منسيون، 129، 133.

(3) شعراء منسيون، 190.

وتنويههم با(لداء، والأدواء)، وهما الكلمتان اللتان جري الحديث بهما على لسانه بقوله[1]:

أعان طرفي على جســمي وأحشائي

بنظـرة وقفت جســمي على دائــي

وكنــت غــراً بمــا يجني عــلى بدني

لا علـم لي أن بعضي بعــض أدوائي

وقول جعيفران[2]:

يــا أكلــة ذهبــت أبقــت حرارتهــا

داءً بقلبــك مـــا صمنــا وصلينــا

ومثله إشارتهم للدواء، في قول خالد[3]:

رب مـــالي ولـــلــهـــوى؟

مـــا لــهـــذا الــهـــوى دوا

وإشارتهم للغربة، التي وصف بها جعيفران نفسه قائلاً[4]:

طــاف بــه طيــف مــن الوســواس

فهــو غريــب بــين هــذي النــاس

ويتضمن هذا النص – أيضاً – إشارته إلى (الأنس) وعدمه، مضيفاً إليه قوله:

فما يرى يأنــس بالأناس

....

(1) شعراء منسيون، 144.

(2) شعراء منسيون، 109.

(3) شعر جعفر، 125.

(4) شعراء منسيون، 187.

ويجمع خالد، في استعماله هذه المفردة، بين الجملة الفعلية، بفعلها المضارع، وبين المصدر الثلاثي، قائلاً[1]

وتأنس بالشوق أنس المحـ

ـب علماً بأنك أهديته

ثم نراه يصوغ منها اسم الفاعل، مرة، ويشير إلى اسم الجنس مرة ثانية، ويذكر نقيضها/ المستوحش، مرة أخرى بقوله[2]:

ومستوحش آنس بالبكاء

على قلبه وعلى إنسه

ومنها إلى (التهيام)، التي ترد على لسان جعيفران، بقوله[3]:

وما كنت أخا موق

قديماً قبل تهيامي

وواكب ذلك إشارته إلى (القلق)، في قوله[4]:

نم لا أرقت فإن الهم أقلقه

فبات يسهد ليلا أنت راقده

وإشارته للحزن، بصيغة (اسم المفعول/ المحزون)، قائلاً[5]:

وهل يقرر المحزون إلا على الرضى

....

---

(1) شعر جعفر، 106.

(2) شعراء منسيون، 117.

(3) شعراء منسيون، 148.

(4) شعر جعفر، 119.

(5) شعراء منسيون، 121.

أما جعيفران فقد أتي بها جملة فعلية، بقوله[1]:

كـيـف لا أحـــزن إذ لا

وجدت في الناس خليلا؟!

وفي موضــع آخر من شعره نراه يعرج علــى (التصفيد) وحلقاته المريرة، قائلاً[2]:

ولا هـــدت كل عيــن لـــذ راقــدها

بنومــة في لذيــذ العيــش ممهـــودا

إلا امتطيت الدجي شــوقاً إليك ولو

أصبحــت في حلق الأصفاد مصفودا

.. ومثله خالد الذي يشير إلى كل من (الحبس)، بقوله[3]:

أحادث نفســاً ترتقي كل ســاعــة

فأحبســها بــين الترائــب والنحــر

و(الأسر)، بقوله[4]:

لا فكنــي اللــه من أسر الهــوى أبداً

وعشــت أرجــوك يا ســؤلي وعافاك

---

(1) شعراء منسيون، 144.
(2) شعر جعفر، 116.
(3) شعر جعفر، 100.
(4) شعراء منسيون، 144.

و(الفرار)، بقوله[1]:

لا تقل: لم بكى فعاتبه الد

دمع فراراً إليك من عاذليه؟

ومثلـه أحمد بن عبدالسلام، الـذي يشير إلى الهـروب، مشتقاً منه اسم فاعل، واسمي زمان، ومكان، قائلاً[2]:

ليس للهارب في مهربه

أبـداً من روحـة إلا إليه

وجعيفران الذي نوه (بالعجز)، بصيغتي التفضيل، واسم الفاعل، بقوله[3]:

ولا ترى أعجز من عاجز

سكتنا عن ذمـه بخله

كما نوه بالبلبال (وهو شدة الهم)، بقوله[4]:

ومـا بي اليوم من جن

ولا وســواس بلبـال

.. وفي الوقـت نفســه يطالعنـا مـاني بإشارتـه إلى (الكربـة)، في بيتـه سالف الذكر:

سلي عائداتي: كيف أبصرن كربتي

فإن قلت: قد حابينني فاسألي الناسا

---

(1) شعراء منسيون، 162.

(2) شعراء عباسيون، 181.

(3) ديوان المصابين، 36

(4) شعر جعفر، 116.

وإشارته إلى (الترح)، بقوله[1]:

بكفيك تقليب القلوب وإنني

لفي ترح مما ألاقي فما ذنبي؟!

.. وتنويهه با(لإملال)، بقوله[2]:

مدمن التخفيف موصول

ومطيل اللبث مملول

.. وترددت على ألسنتهم الإشارات إلى كل من (الهم)، و(الهموم)، كما نطالع في قول جعيفران[3]:

عادني الهم فاعتلج

كل هم إلى فرج

سل عنك الهموم بالـ

كأس تنفرج!!

وقول خالد[4]:

هن أنحلنني ووكلن قلبي

بلباس الهموم والزفرات

---

(1) شعر جعفر، 113.

(2) شعر محمد، 162.

(3) شعر محمد، 185.

(4) شعر جعفر، 96.

وكرر إشارته إلى (الزفرات)، قائلاً[1]:

يـا موطـن الزفـرات قلـب محبـه

بالهجر هـل من نائـل, أو موعد؟!

كما كرر الإشارة إلى (الضني) بقوله[2]:

يعرب عـن مدنف كئيب

بـه ضني كامـن وبادي

وقوله:

لقـد ذاب كلي بالصبابـة والضنـي

وأدنفنـي شـوق إلى الحسـن الكلي

وقوله:

فهما بين اكتئاب وضنًي

تركاني كالقضيب الذابل

وقـد جمـع الشاعـر بين هـذه المفـردة/ الضنـي، وبـين (الكآبـة)، أو (الاكتئاب)، في موضعين، من هذه المواضع الثلاثة، مفرداً إياها –مع الحزن الشديد بقوله[3]:

كل جزء منه كئيب حزين

ليس يبكي إلا على ما يليه

---

(1) شعراء منسيون، 118.

(2) شعراء منسيون، 126.

(3) شعراء منسيون، 127، 172، 173...

أمـا مـاني فقد جمع بـين اسم الفاعل مـن هذه الكلمـة (مكتئب) وبين (حرارة الكبد)، في قوله[1]:

مكتئب ذو كبد حـرى

تبكي عليه مقلة أخرى

وتعددت إشاراتهم إلى (السقم)، مفرداً، وجمعاً.. كما نلحظ في قراءتنا قول أحمد بن عبدالسلام[2] :

ديبـاج وجهـك لا ديبـاج تختكـم

أهـدى إلى مـع الأسـقـام أحزانـا

وقول ماني[3]:

لم يبق منه السقام إلا

جلداً على أعظم رقـاق

وقوله:

فقمت وللسقم من مفرقي

إلى قدمـي ألسن تنطق

---

(1) شعراء منسيون، 190.
(2) شعر محمد، 207.
(3) ديوان المصابين، 5.

.. كما أكثر خالد من الاستعانة بكل من (الحسرة)، و(الكمد)، و(الوجد)، و(الحيرة)، و(الاحتراق)، في مواقف متعددة من شعره، كما نطالع في قوله[1]:

يا طول زفرته من طول حسرته

وما أعد له في يومه وغده!!

وقوله:

إذا زفرة غصت فؤادي بحسرة

بعثت بها من مقلتي عبرة تجري

وقوله:

الله يعلم أنني كمد

لا أستطيع أبث ما أجد

وقوله:

إن الحشا لم تزل ستراً فهتكها

عن كل من سترته الشوق والكمد

وقوله:

سلوت وفي قلبي على الهجر خطرة

من الوجد لم يدخل مداخلها الصبر

---

(1) شعر محمد، 181، 183.. وقد أتى خالد بالجملة الفعلية، تارة، وبصيغة المبالغة تارة أخرى، اعتماداً على هذه المادة الصرفية بقوله:

وانظر إلى بعين أسقمت بدني　　　فجوهر اللحظ من عينيك أعداني

وقوله:

قالوا: تراك سقيماً　　　فقلت: من مقلتيه

(شعراء منسيون، 73، 183).

وقوله:

فإن أنهب القلب وجد به

فجسمك لا شك في إثره

وقوله:

فالوهم يعجز عنه فهو مقتسم

رأياً تحير بين القلب والفكر

وقوله:

وقائل لي: أين الصبر؟ قلت له:

كل الفؤاد من الأحزان فاحترقا

.. وقد أتت هذه المفردات المشار إليها بصيغ صرفية مختلفة تجمع بين الأسماء/ المصادر الثلاثية، من جهة والأفعال الماضية (تحير/ تفعل)، و(احترق/ افتعل)، من جهة ثانية، كما أتي بعضها مقترناً بالزفرات، أو غصة القلب، أو الشوق العارم، والأحزان، من جهة أخرى.. في الوقت الذي نلحظ مجيء (القروح) قروح الجفون، مقترنة بالدموع الحارة، حيناً، ومنسوبة إلى القلب، حيناً آخر، بقوله نفسه[1]:

حسبها أن بكت دماً ودموعاً

بهما أقرحت جفوناً وخدا

---

(1) شعراء منسيون، 131، 144، 121، 123، 35، 146، 257، 141، 159..

وقوله:

رخي الطرف من وسن الرقاد

قريح الجفن من ألم السهاد

وقوله:

قريح القلب موجعه

بوقع في تسهده

.. ويتردد مجيء (الوهم) في شعره، مرتبطاً بالعين/ الطرف، تارة، وبغير ارتباط تارة أخرى.. كما نلحظ في قراءتنا قوله[1]:

توهمه طرفي فأصبح خده

وفيه مكان الوسم من نظر أبر

وقوله:

لو أعين الوهم ترميه بأضعفها

أثرن في خده من رقة أثرا

وقوله:

فالوهم يعجز عنه فهو مقتسم

رأياً تحير بين القلب والفكر

ويشير هؤلاء الشعراء، وغيرهم إلى كل من ذهاب النفس والقلب، اكتئاباً، ولوعة، كما يشيرون إلى كل من السهد والأرق، هماً، وكرباً وسقماً،

---

(1) شعراء منسيون، 125، 126، 127.

وإعياء، وضعف العقل، أو رجحانه، في دوائر متصلة، يكمل بعضها بعضاً، ولا ينفصل عنه، كما نطالع في قول خالد[1]:

لا أحسـب القلب إن ولى الحبيب به

يدعـي بعـود لأن النفس لـم تعد

وقوله:

بالله فاردد فؤاد مكتئب

ليس له مـن فؤاده خلف

وقوله:

نم لا أرقت فإن الهم أقلقه

فبات يسهد ليلاً أنت راقده

وقوله:

أرقـت حتـى كأنـي أعشـق الأرقا

وذبـت حتـى كأن السـقم لي خلقا

وقول بهلول[2]:

كم من دني ضعيـف العقل تعرفه

لـولا الـولايـة والأرزاق والذهـب

ومن حسـيـب لـه عقـل يـزينه

بادي الخصاصة لا يدري له سـبب

---

(1) شعراء منسيون، 133، 139، 141.

(2) شعراء منسيون، 133، 156، 121، 159.

وقول جعيفران[1]:

ولو كنت كقارون ووالي رحبة الجند

رأوني راجح العقل جميلاً حسن القد

وقوله:

ولو كنت كقارون وفرعون لإقبال

رأوني حسن العقل أحل المنزل العالي

وقوله:

قالوا على كذباً وبطلا إني مجنون فقدت العقلا

.. وتتواتر في أشعارهم الاستعانة بمفردات ذات وشائج معنوية وطيدة بهذه المفردات، وفي مقدمتها: العذاب، والإدمان، والصداع، واللكنة، إضافة إلى استعانتهم ببعض الكلمات، والجمل الدالة على مدى تحيرهم، وترددهم، واضطراب أحوالهم.. ومن ذلك ما نلحظه في إنشادنا قول ماني[2]:

---

(1) ديوان المصابين، 20.

(2) شعر جعفر، 98، 113، 118..

معذب القلب بالفراق

قد بلغت نفسه التراقي

وقوله:

مدمن التخفيف موصول

ومطيل اللبث مملول

وقول خالد[1]:

لو رمقته العيون مدمنة

لذاب من لحظها فلم تجد

وقول جعيفران[2]:

أنت العروس لها جمال فائق

لكنها في كل يوم تصدع

وقوله:

ألكن لا يفصح حرفين في

صدق ولحان بإعراب

وقول خالد[3]:

فأصبحت لا أدري لأية وجهة

أسير ولا في أي حال له عذر

---

(1) شعر محمد، 181، 185.

(2) شعراء منسيون، 135.

(3) شعر جعفر، 105، 93.

.. وبمعـاودة النظر في هذا النصوص، وسابقاتهـا، يتأكد لنا مدى براعة منشديهـا في تشكيلهـم الفني هذا الجانب الحيوي مـن مكونات تجاربهم الشعرية، تشكيلا يتمثل خلاصـة مواقفهم الإنسانية، والأدبية المتباينة التي غلبت عليها مظاهر الحـيرة، والتردد، والقلق، والشعـور المفعم بالمعاناة.. كمـا تتأكد لدينا صحة ما قرره الدكتور عز الديـن إسماعيل برؤيته النقدية الثاقبة إلى لغة الشعر بوصفها خلاصة التجربة الشعرية، بكل ما تتضمنه من ألفاظ، وصور، وأخيلة، وعاطفـة، وموسيقا.. وغيرها من الأدوات الفنية الفاعلـة، التي يرتبط بعضها ببعض بعلاقات من التأثر، والتأثير، وإلي الشعر بكونـه استكشافاً دائماً لعالم الكلمة، واستكشافاً دائماً للوجود، عن طريق الكلمة[1] من جهة.. ويتضح لنا مدى تأثر هؤلاء الشعراء بعلتهم، وما واكبها من أجواء المرض النفسي، والبدني المتصلة بها.. من جهة أخرى..

وإذا تقدمنا خطوة في دراستنا لمعالم لغتهم الشعرية –لاحظنا إلى أي مدى استفـاد بعضهم من ممارسته لأعمال الكتابة/ الخطاطة، في تشكيل عشرات المفردات ذات الارتباط القوي بهذه المهنة.. وفي مقدمتها: (الخط) وجودة ضبطـه، وتحسينه، وبيانه، وترتيبه، ونظمه، وهي الأشياء التي أشار إليها أبو بكر الوسوس بقوله[2]:

اعـذر أخاك على رداءة خطه

واغفر رداءته لجودة ضبطه

---

(1) شعراء منسيون، 135.

(2) الشعر العربي المعاصر، 174.

فالخط ليس يراد من تحسينه

وبيانه إلا إبانة سمطه

فإذا أبان عن المعاني سمطه

كانت ملاحته زيادة شرطه

.. وقد نقل خالد الكاتب، باستعانته بهذه المفردات، من هذا (الجو الإخواني) الذي انطلق منه أبو بكر الموسوس إلى (جو نفسي) آخر يرتبط بتجربة، أو تجارب عاطفية، متأججة المشاعر، والأحاسيس، واصفاً نفسه بالتفاني؛ شوقاً إلى مواصلة محبوبته، ومناغاتها، ومعرجاً على كل من (الخط، والمحو، والمداد، والقرطاس، والمعمي، والبياض، والسواد، والإعراب)، وغيره مما يرتبط بالكتابة، قائلاً[1]:

حي الهوى ميت الفؤاد

نائي الكرى حاضر السهاد

إن خط خطاً محاه دمع

يأتي على الخط بالمداد

وكل قرطاسه المعمي

بياض دمع على سواد

يعرب عن مدنف كئيب

به ضني كامن وبادي

---

(1) ديوان المصابين، 15.

وفي وصفه جانباً من معالم الأطلال التي أغرم بها أبو حية يطالعنا بالإشارة الموحية إلى بقايا الكتابة، والنقوش التعبيرية التي تراءت لمدركاته، عند وقوفه بديار أحبته بقوله[1]:

من العرصات غير مخد نوى

كباقي الوحي خط على أمام

وانتقل في موضع آخر إلى التنويه بهذا المعلم نفسه من معالم الأطلال، مضيفاً إليه الإشارة إلى الكتاب الذي خطه يهودي بكفه، مقاربة، وإضافة، ونسخاً، ومحوراً، قائلاً[2]:

كما خط الكتاب بكف يوماً

يهودي يقارب أو يزيل

وفي وصفه جانباً من مزاولته عمله/ الكتابي – الذي انحرف به إلى آفاق التفحش والتماجن– يطالعنا مصعب الكاتب بالإشارة إلى كل من محبرته، ودفتره، بقوله[3]:

ومحبرتي رأس الرياء ودفتري

ونعلي بالأسحار أو رائحاً رجلي

ويخاطب عبدالله بن أبي الشيص أحد إخوانه، منوهاً بالحواشي والديباجة قائلاً[4]:

---

(1) شعراء منسيون، 127.
(2) شعر أبي حية، النص (40).
(3) شعر أبي حية، النص (32).
(4) ديوان المصابين، 326.

اسـلك بحـق الـراح والرشـأ الذي
لـه في حـواشي طرفـه أبداً سـحر
ترى منك مـاء الوجه في ماء وجهه
وللعـين في ديبـاج بهجتـه زهـر

أما الكاتب، كاتــب الأمير، وغيره، فقد أشار بهلول إلى بعض ما تهاوي في دركاته، في عصره، من غش وخيانة، يؤذنان بوقوع الطامة[1]:

إذا خـان الأمـير وكاتبـاه
وقـاضي الأرض داهـن في القضـاء
فويـل ثـم ويـل ثـم ويـل
لأهـل الأرض مـن رب السـمـاء!

وبطول ممارسـة خالد الكاتب لهذه المهنة، وإكثـاره من الشعر الغزلي – نراه يكثر مـن الإلحاح على الاستعانة بمفرداتها، ويكثر من نقلها من التعبير الحقيقـي المباشر إلى آفاق التعبير المجازي، ومن ذلك مـا أنشده، مشيراً إلى كل من الكتابة، والكتاب، وختمه، وجوابه، والإملاء، والخط، والمحو، في إطار صوره الفنية الغزلية، بقوله[2]:

كتب الطرف في فؤادي كتاباً
هو بالشوق والهوى مختوم

---

(1) ديوان المصابين، 209.. وتنظر إشارتا كل من سمنون، ومصعب الكاتب إلى القلم، بقول أولهما:

بين المحبين سر ليس ينسبه   قول ولا قلم في الخلق يحكيه

وقول الآخر:

وكر بمشق في قرطاسه قلمي   والليل ملق على الآفاق أستارا

(ديوان المصابين، 195، 323).

(2) ديوان المصابين، 16.

وقوله:

إنـــي كتبت بغرتـي

ما في فــؤادي في كتابي

وقوله:

كتبت إليك بماء الجفون

وقلبي بماء الهوى مشرب

فكفي تخط وقلبي يمل

ل وعيناي تمحو الذي أكتب

وفي مواضـع أخـرى يطالعنـا بإشارتـه إلى كل من المـداد، والحروف، والقـراءة، والكتاب، والسطور، والأشطار، واصفـاً جانباً من أعماقه محباً هيمان، قائلاً[1]:

لا تكـف البـكاء عينـي فأقـرا

إن بـين الكتـاب والعـين سـترا

فأرانـــي إذا تأملـــت شـطـراً

كتبـت مقلتـــي بعينـي شـطـرا

وكفاهـا بـأن تـرى في كتـاب

بمـداد سـطـراً وبالدمع سـطـرا

أنـا أمـلي حـروفـه ودمـوعـي

يتبعـن الهـوى ويشـفين صـدرا

---

(1) شعراء منسيون، 177، 112، 109.

ثم نـراه يتطرق إلى عمليات الإرسال، إرسال الكتب، والرسائل، متخذاً في إطـار تجربته نفسـهـا، أو نحوها، من زفرات جوانحـه سفيراً بينه وبين مخاطبه[1]:

إنـي إذا لم أجـد شـخصاً لأرسـله

وضـاق بى منتهى أمري وملتمسي

لمرســل زفرة من بعدها نفســي

ياليت شـعري هل يأتيكم نفسـي؟!

وقد يضطر حالتئذ، لإرسال دمعه رسولاً ينقل رسائله إلى محبيه[2]:

دمـع عينى كان مشـتا

قـاً إلى قــرة عيني

إنــه كـــان رســـولاً

بينه الـدهـر وبيني!!

ومن الإرسال إلى (الجواب)، الذي ينتظره رداً على ما بعثه بقوله:

وهــو (الجواب) كفاه في إسـكاته

إذ لـم يجـد في الصب مسـكة قائل

وقوله:

فافهم معاني الدمع واجـ

ـعل ما أؤمله جـوابي

---

(1) شعراء منسيون، 138.

(2) شعراء منسيون، 148.

.. وفي الوقـت نفسـه يطالعنا سعـدون بالإشـارة إلى الكتـاب (كتاب الحسنات والسيئات) متوجساً بما تحمله سطوره من جزاء[1]:

في كتابي عجـائب مثبتات

ليتني ما لقيتها في بقائي!!

أمـا خـالد فقـد أفرد (الكاتب) وهـو يرسل النـظـرات؛ تأملاً في تأن، مطيلاً التحديق؛ استكشافاً لآفاق صفحته بقوله السالف الذكـر:

لو رمقته العيـون مدمنة

لـذاب من لحظها فلم تجـد

.. وفي موضـع آخر، نراه يـولى عنايته بعض أدوات الكاتب، الذي يقوم بمزج الأحبـار، بعضها ببعض، تحقيقاً لبعض مآربه، قائلا[2]:

أيــن لى عبــرة فأطفــئ وجــداً

إن عينــى لــم تأل في الدمــع جهــدا

حســبها أن بكـت دمــاً ودموعـاً

بهمـا أقرحــت جفونـاً وخــدا

مزجـــت ذا يــد كمــا مــزج الشـو

ق بحــر الغليــل ســقمــاً وســـهدا

(1) شعراء منسيون، 185، 172، 112.

(2) ديوان المصابين، 130.

ثـم يشير إلى كل من البياض والاحمرار، لونين مفضلين عنده، وعند بعض أترابه، بقوله متغزلاً[1]:

حين تحمر وجنتاك ويحمر

بياض القميص من وجنتيكا

ومن الألوان التي تتخذها بعض الأحبار إلى انسكاب هذه الأحبار، متخذاً من (انحدار الدمع) مجازاً للدلالة على فحوى معناه[2]:

أما وانحدار الدمع من جفن مقلة

غريق على خد من الدمع مخضل

لقد ذاب كلي بالصبابة والضنى

وأدنفني شوق إلى الحسن الكلي

وتطول معاناته، بسبب صدود أحبته عنه، فيلجأ إلى تصوير نفسه بذبالة تحترق بعد طول إضاءة للكاتب وغيره[3]:

أحرم منكم بما أقول وقد

نال به العاشقون من عشقوا

صرت كأني ذبالة نصبت

تضيء للناس وهي تحترق!!

---

(1) شعراء منسيون، 125.

(2) شعراء منسيون، 162.

(3) شعراء منسيون، 172.

.. وبمعاودة التأمل في دلالات هذه الصور الشعرية المرتبطة بالكتابة -أدواتها، وطقوسها- يتضح لنا عدم انفصالها، جملة وتفصيلاً، عن مثيلاتها السابقة، التي نيف بها أصحابها شطر أنفسهم، وقد أصابها شيء من الوهن، والفتور، والعلة النفسية، والبدنية؛ بسبب ما كابدوه من حرمان اجتماعي، وغيره من جهة، إضافة إلى مواكبتها مثيلاتها التي نطالعها، في قراءتنا أشعار الكتاب بعصرهم[1]، من جهة ثانية، وعدم تأثرها السلبي بما أصيب به أصحابها، أو نسبوا إليه من وسوسة، أو جنون، من جهة أخرى.

وتنطبق هذه الخصائص التشكيلية، وتلك -أيضاً- على ما نلحظه من بناء لغة الشعر وصوره في أشعار بعض هؤلاء الشعراء الذين اتجهوا بها اتجاها صوفياً، أو وعظياً، إرشادياً، يواكب ما أنشده بعض معاصريهم، في هذا الفن الشعري، وذلك، وما يتصل بهما..

وتستهل مفردات (المعجم الصوفي) في أشعار هؤلاء الشعراء بالألفاظ التي وصفوا بها جوانب من حيواتهم، بكونهم (أهل الإشارة)، الذين يخبرون عن أحوالهم من غير استعانة بتعبير باللسان.. ويرد هذا الوصف على لسان سمنون، بقوله، في شأن الحب الصوفي / العلوي[2]:

الحب شيء لطيف ليس يدركه

عقل لإدراكه عز وتدبير

---

(1) شعراء منسيون، 158.

(2) ينظر بالتفصيل: العمدة، 2/ 160، 109 - 110، والشعراء الكتاب في العراق في القرن الثالث الهجري، 469 - 471، وأربعة شعراء عباسيين، 263، وفي أدب أحمد بن يوسف الكاتب والشاعر، 190 - 191، وشعر آل أبي أمية الكاتب، 7689، وشعر أحمد بن يوسف الكاتب، 6477..

لكنه في مجاري السر يعرفه

أهل الإشارة لا كيف وتقدير

ويتراءى لقارئ بعض أشعارهم وصفهم أنفسهم بـ(المحبين)، الذين خلصت قلوبهم للمحبة، فاختصوا بسرها، و(أنسها) و(نورها)، الذي لا يتسنى لغيرهم الاطلاع عليه، أو بلوغ شأنه[1]:

بين المحبين سر ليس ينسبه

قول ولا قلم في الخلق يحكيه

سر يمازجه أنس يقابله

نور تحير في جو من التيه

ويوصف هؤلاء (المحبون) (بالعارفين)، الذين تحن قلوبهم صافية الود، حنيناً متوالياً، يتسامى بهم إلى درجات الفوز الأسنى بقرب حبيبهم، ومولاهم/ سبحانه وتعالى، الذي أخلصوه حبهم، وأفردوا له مودتهم[2]:

قلوب (العارفين) تحن حتى

تحل بقربه في كل راح

صفت في ود مولاها فما إن

لها من وده أبداً براح

---

(1) ديوان المصابين، 181.

(2) ديوان المصابين، 195.

(وتتولــه) قلوب هــؤلاء العارفين تولهـا بحب مليكهم (جـل شأنه)؛ فيأخذهم هذا التوله إلى رحاب سامقة من دلائل طاعته، وتقواه[1]:

ولهت قلوب العارفين بحبه

فتناشروا وتبايعوا الأعمالا

ويؤمـن هـؤلاء المحبـون/ العارفون/ المخلصون بـأن صنيع الرب (جل وعـلا) دائما حسـن جميل، يتنزه عن النقائص والعيوب[2]:

صنيع مليكنا حـسن جميل

وما أرزاقنا مما يفـوت

.. وفي الوقـت نفســه يطالعنا أحدهم، وهو سعـدون، بخطابه، الذي توجه به إلى أحد خلانه من أحد طلاب العلم اللدني، بقـوله[3]:

يـا طالـب العلـم مـن هنـا وهنا

ومعـدن العلـم بـين جنبيكـا

إن كنت تبغى الجنـان تسـكنهـا

فمثـل العــرض بـين عينيـكا

إن كنت تـرجـو الجنـان تخطبها

فأسـبل الـدمــع فـوق خديـكا

وقــم إذا قـام كل مـجـتهـد

وادع لكـي يقــول: (لبيـكا)..!!

---

(1) ديوان المصابين، 140141.

(2) ديوان المصابين، 13.

(3) ديوان المصابين، 23.

وقد وصف سعدون مخاطبه الواقعي، أو المأمول، ببعض الصفات النادرة العزيزة، وفي مقدمتها تمثل يوم القيامة أمام ناظريه، ومدركاته، في كل حال وحين، وإسبال الدموع غزيرة، والقيام في تهجد وابتهال يدعو ربه؛ رهبة ورغبة، بطيب نفس، وحرارة قلب..

وفي الاتجاه نفسه نلحظ وصف أحد هؤلاء الشعراء وهو بهلول محبه بالخليل، الذي يرجي رفده، وخيره وبره ويؤمن شره وغدره، قائلاً[1]:

ادن مني ولا تخافن غدري
ليس يخشي الخليل غدر الخليل
إن أدني الذي ينالك مني
ستر ما تتقي وبث الجميل

وفي موضع آخر من شعره يطالعنا بهلول باتخاذه (المرآة) أداة فنية، تعارف عليها، هو وأقرانه من المتصوفين، رامزاً بها إلى (النفس الإنسانية المضيئة بنور الايمان، والمحبة، واليقين، بقوله[2]:

أضمر أن يأخذ المراة لكي
ينظر تمثاله فأدناها
فجاز وهم الضمير منه إلى
وجنتيه في الهوى فأدماها

---

(1) ديوان المصابين، 152135.
(2) ديوان المصابين، 34.

ويـرى المتصوفة أن خـير وصال بالله (تعالى) إنما يتـم بذكره، وتسبيحه، وتنزيهه عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله[1]:

سبحان من لم تزل له حجج

قامت على خلقـه بمعرفته

قد علموا أنه مليكهـم

يعجز وصف الأنام عن صفته

وتبع هذا التسبيح لله، وتنزيهه حثهم مريديهم على وجوب هجر العالمين/ الورى، والتشوق بحرارة إلى قرب المحبوب الأسنى (سبحانه)[2]:

هجرت الورى في حب من جاد بالنعم

وعفت الكرى شـوقاً إليـه فلم أنم

ويستوجـب هذا التشـوق المفعم بالمحبـة والهيام إخلاص العبادة لله، والتجرد لطاعته، والعمل باحكامه[3]:

وكن لربك ذا حب لتخدمه

إن المحبين للأحباب خدام

ويتخـذ هؤلاء المحبون من (لغة العتاب) أداة فنية، يعبرون بها عن جانب من أحاسيسهم الجارفة بالمحبة، والوداد، واصفين محبوبهم (سبحانه وتعالى) بأنه (يعاتبهم).. على حد قول سمنون[4]:

---

(1) ديوان المصابين، 38. وينظر: اصطلاحات الصوفية. 98.
(2) ديوان المصابين، 135.
(3) ديوان المصابين، 158.
(4) ديوان المصابين، 157.

يعاتبني فينبسط انقباضي

وتسكن روعتي عند العتاب

.. وفي موضع آخر من شعره يشير إلى محبوبه، الذي يعتبه ولا يملك رد هذا العتاب بعتاب مثله، إجلالاً لمحبه وتقديراً[1]:

بليت بمن لا أستطيع عتابه

ويعتبني حتى يقال: له الذنب

وإضافة إلى ذلك نلحظ كثرة تعويلهم على لغة (المناجاة) التي خصوا بها معبودهم/ سبحانه، بوصفه الأجل، الذي يطلع على مكنون أسرارهم، وبواطن اعتقاداتهم، ومنتهى أمورهم؛ ويصلح فسادها، ويتولى رعايتها، بفضله[2]:

يا من يرى باطن اعتقادي

ومنتهى الأمر في فؤادي

أصلح فساد الأمور مني

ولا تدع موضع الفساد

وقد تتحول (مناجاتهم) إلى (بكائية ضارعة) ينيبون فيها إلى الله، مخاطبين ذنوبهم التي يرون أنها تراكمت عليهم بسبب كثرة ما اقترفته جوارحهم من المعاصي والآثار، كما نلحظ في مناجاة سعدون بقوله[3]:

---

(1) ديوان المصابين، 170.

(2) ديوان المصابين، 173.

(3) ديوان المصابين، 143.

يا ذنوبي عليك طال بكائي

صرت لي مأثماً فقل عـزائي

في كتابي عجائب مثبتات

ليتني مالقيتها في بقائـي

نظر العين قادني للخطايـا

إذ أذنت اللحـوظ للأهواء

تالياً للقران يتلو المعاصـي

اسمه في السماء: (عبد مرائي)

ويدفعهـم إحساسهـم المتنامي بالمـوت إلى الشعور بالـذل والانكسار، والفقد، ويدعوهم إلى القناعة والتزهد في متع الحياة الدنيا[1]:

نغص المـوت ريحه كـل طيـب

ودهاني بفقـد كل حبيب

ولكم إذا رأيـت من حدث السـ

ـن غريراً كغصن بان رطيـب

أحس بالموت فانثنـي بانكسـا

ر واضعاً خده بـذل عجيـب

قائلاً: إخوتـي سلام عـليكـم

آذنت شمس مدتي بالمغيب!!

---

(1) ديوان المصابين، 130.

وتتردد، في مواضع كثيرة من أشعارهم، مفردات (لغة النصيحة) والوعظ والإرشـاد، وهي اللغة التي تغلب عليها الأساليـب الإنشائية: أمراً، ونهياً، وتمنياً، وترجيـاً، واستفهاماً.. ونحوه.. متجهـين في نصحهم، ووعظهم اتجاهـات متعددة تبدأ بعـين الشاعر نفسـه، أحياناً، مخاطبـاً فيها بصيرتها النافـذة، وإحساسها المرهف؛ عسى أن تجـود بالدموع غزيرة، حزناً عليه، نفسه، وقد آذنت شمسه بالغروب[1]:

عـين فابكـي عـلى قبـل انطلاقي
بدمـوع تمـل منهـا المآقـي
وانظـري مصرعي فقد قضي الأمـ
ـر ونوحـي عـلى قبـل الفـراق

وقـد يجعل الشاعر خطابه لنفسه التي تعيش بين جنبيه، حاثاً إياها على عدم التمـادي في المعصية، والضلال، والمسارعـة إلى إعلان توبة نصوح، تتطهر بها من أدران الذنوب[2]:

كل يـوم يمـر يأخـذ بعضـي
يذهـب الأطيبـان مـنـي ويمضي
نفـس كفي عـن المعـاصي وتوبي
فمـا المعاصي عـلى العبـاد بفرض

---

(1) ديوان المصابين، 132.
(2) ديوان المصابين، 149.

.. ومن النصح للعين، والنفس، إلى الدنيا الفانية، بزخرفها الزائل، ولكن بواسطة ناصح عاقل هو قلبه أو عقله، مرسلاً لها لعناته، وتبرمه[1]:

قل لدنياي: ابعدي وتولي
إن تريني فإنني لا أراك
وصلي واملكي وداد سوائي
إنني مغرم بحب سواك
إن تكوني أسرت بالذنب قوماً
فاذهبي أنت لست من أسراك

وقول بهلول:

أف للدنيا فليست لي بدار
إنما الراحة في دار القرار!!
أبت الساعات إلا سرعة
في بلى جسمي بليل ونهار

وفي خطابهم لمستمعيهم – نراهم يكثرون من أساليب الاستفهام التي تستجيش فيهم رغبات التفكر، والتدبر، وتغيير الأحوال.. ومن ذلك ما نلحظه في قول بهلول[2]:

متى تنقضي حاجات من ليس بالغاً
إلى حاجة حتى تكون له أخرى؟!

---

(1) ديوان المصابين، 152، 29.

(2) ديوان المصابين، 39، 27. 25. وينظر قول سعدون بالمصدر نفسه، 142.

وقوله:

هـب أنـك قـد ملكـت الأرض طراً

ودان لـك العبـاد فـكان مــاذا؟

أليـس غـداً مصـيرك جـوف قبـر

ويحثـو الـترب هـذا.. ثـم هـذا؟!!

.. ومـن الاستفهـام إلى الأمر، الذي يطالعنا به، حاثـاً مخاطبه على التزام الحياء مع الله، (تعالى)، ومراقبته، في السر والعلانية، منيفاً شطر الاستفهام، مرة أخرى، قائلاً:

كـن حييـاً إذا خلـوت بذنـب

دون ذي العـرش من حكيم مجيـد

أتـهاونـت بالإلـــه بدبـــاً

وتـواريـت عـن عيــون العبيـد؟

أقـرأت القـران أم لسـت تـدري

إن ذا العـرش دون (حبل الوريد)؟!

.. وقد يتجه بعضهـم إلى الاستعانة بأساليب القصـ/ الحكي، المتعارف عليه في عصرهم، جنباً إلى جنب ما درجوا عليه من (مناجيات) كما نلحظ في مطالعتنا قول سمنون[1]:

كان لي قلـب أعيـش به

ضـاع منــي في تقلبه

---

(1) ديوان المصابين، 172.. وينظر مثله ص 177.

رب فــــارِدده عــلى فقد

عيل صــبري في تطلبه

وأغــث ما دام بــي رمق

يا غياث المستغيث به!!

أو يتجهـون مع كثرة التســاؤلات إلى نقد المجتمع المحيط بهم، مظهرين بعض مساوئه؛ عسى أن يثمر ذلك عن إصلاحه[1]:

أرى كل إنســـان يـرى عيـب غيـره

ويعمـى عـن العيب الـذي هو فيه

ومــا خير مــن تخفى عليـه عيوبه

ويبدو لـــه العيب الـذي لأخيـه؟!

وكيــف أرى عيباً وعيبــي ظاهر؟!

وما يعرف الســوءات غير ســفيه؟

وقد يلجأون إلى استشراف آفاق الماضي بصفحاته الناطقة بالعبرة والعظة، كما نطالع في قول بهلول[2]:

هــذي منــازل أقــوام عهـدتهـم

في ظــل عيــش أنيـق مــا لــه خطر

دارت عليهم صروف الدهر فانتقلوا

إلى القبــور فــلا عيـــن ولا أثـــر

---

(1) ديوان المصابين، 161.

(2) ديوان المصابين، 29، 25 – 26، 31..

.. ومن الماضي بآفاقه.. إلى صفحات نورانية من الغيب المنشود، باستلهام مشاهد متجددة من يوم العرض والحساب:

عرضنـا عـلى المـولى ونحـن عبيـد

فهنــا شـقـي رده وسـعيـد

فيا غبننـا (يوم التغابـن) عندمـا

يقابلهـم وعـد ونحـــن وعـيـد

ترى الناس -إلا هم سكارى وما هم

سـكارى ولكـن العـــذاب شـديد

.. أو تشويقهـم مع تواتر الأسئلة المحفزة، واستثـارة آمالهم، ورغباتهم في الفوز بنعيم الله، وحسن ثوابه، الذي أعده لعباده الصالحين في جنات الفردوس:

يا طالب الحور ألا تستحي

يحملك النوم على السور؟!

وخاطب الحور طويل البكا

مقيد الأعضاء محصور

لا تطعم الغمض وما إن له

راحة جسم أو يـرى الحـور

في جنة زخرفها ذو العلى

ينعم فيها كل محبور

وفي الوقـت نفسه نلحـظ أن مفردات هذا الرافـد اللغوي، المرتبط بكل

مـن التصوف، والتزهيد، والوعظ، وسابقه، مما يتصل بالكتابة قد اشتملت علـى أدوات معجم شعري آخر، واكب بـه أصحابه اتجاهات معاصريهم، بمكونات ثقافتهـم الدينية، والفكرية، والثقافيـة... وغيرها، مما وصل إليه المجتمع المسلم، آنذاك، وعودة إلى ما أسلفناه في الصفحات القليلة السابقة توقفنا على كثير من مفردات هذا المعجم، وخاصة ما يشير إلى كل من: (جنة النعيم)، و(الحور العـين)، و(يوم التغابن)، و(قراءة القـرآن)، و(الحفظة)، وغـير ذلك[1]، مما نقف على دلائل بينات، من تواصلهم مع نصوص قرآنية

---

(1) تنظر مثلاً: إشارة سمنون إلى كل من الحلال، والشاهد والرقيب بقوله:

حرام على قلب تحرم بالهوى ... يكون لغير الحق فيه نصيب

وقوله:

تفرد فيه فانفردت بحبه ... فصار على شاهد ودليل

وحثه على التزود بالتقوي بقوله ... تخون على الزاد

وما الزاد سوي التقوي.. وحث خالد على التصدق، والتوبة إلى الله بقوله:

تصدقي لا تأمني أن تسألي ... فلئن سألت عرفت ذل السائل

وقوله:

تب إلى الله واشك هذا إليه ... يا قتيل الهوى بغير قتيل

وإشارات مصعب الكاتب إلى كل من الأمر بالمعروف، والرياء، وأم الفقيه وغيرها، بقوله:

وآمر بالمعروف لا من تقية ... وكيف وقولي لا يصدقه فعلي؟!

أقول إذا لاقيت قوماً: ألا اتقوا ... ولو عرفوا حالي لحل لهم قتلي

ومحبرتي رأس الرياء ودفتري ... ونعلي بالأسحار أو رالحا رجلي

أؤم فقيها ليس همي فقهه ... ولكن لديه المرد مجتمعي الشمل

إضافة إلى استعاذة أحمد بن عبدالسلام استعاذة تقارب إيمانه بالله، (سبحانه)، وتسبيحه، واستغفاره بقوله:

لم يخلق الله من خلق يعادله ... أستغفر الله - إذ أغفلت حمدانا

إني أعوذ بطرف منك يسحرني ... من أن تجرعني صداً وهجرانا!!

وخشية برذعة من حدود الزنا، بقوله:

لقد أمن الدلاك من أن تنالهم ... حدود الزنا في واضحاك المسالك

وتنويه أبي بكر الموسوس بكل من الإنجيل ومدارسته الإسلام الحنيف، بقوله:

يا من إذا درس الإنجيل ظل له ... قلب الحنيف عن الإسلام منصرفا

ووصف بهلول الدار الآخرة بدار القرار بقوله:

أف للدنيا فليسـت لي بدار ... إنما الراحة في دار القرار

وإشارة سعدون إلى الحفظة، بقوله:

فإذا كان ذا وفاء ورأي ... حفظ الوقت واتقي الحفظه

.... وغيره.......

متواتـرة، وتوظيفها بما يناسب مواقفهـم الإنسانية والأدبية، كما نلحظ في مطالعتنا قول أحدهم:

ترى الناس إلا هم -سكارى وما هم

سـكارى ولكـن العـذاب شـديد

وهو الذي تأثر به في بنائه لقوله:

أقـرأت القـرآن أم لسـت تـدري

أن ذا العـرش دون حبـل الوريـد؟!

وضمنه خطابه الشعري لنفسه، قائلاً:

وانظـري مصرعي فقد قضي الأمـ

ـر ونوحـي عـلى قبـل الفـراق

تضمينـاً يشبه، في حسن موقعـه، وقوة تأثيره، ما سلطـه كل من أبي الصقر، بقوله:

إنـا إلى اللـه وإنـا بـه

يرتفع الناس وأنحط؟!

وخالد الكاتب بقوله:

هبني أسأت وكـان ذنـ

بي مثل ذنـب أبي لهـب

وقوله:

تكـون مـن نـور الإلـه بلامـس

يقول عزيز: كن من الروح بالقدس

وقوله:

بحســن وجهك يا روحي وريحاني

وسـؤل نفـسي في سري وإعلانــي

وقول بهلول:

حسبي الله توكلت عليــه

من نواصي الخلق طراً بيديــه

وقول مصعب الكاتب:

وقائـل: عـذ ببيـت اللـه قلــت له

مــن لي من المــرد في الإحرام ينجيني

مــن لي إذا زاحمونــي في طوافهــم

هناك يبــدي ضميري كل مكنــون

مــالي مــن المــرد إلا اللــه يعصمني

رب المثانــي وطــه والطواســين

.. إضافة إلى تنويه عبدالله بن أبي الشيص بكل من الخمس والمفروض من الصوم، بقوله:

أبــا سعد بحق الخمـ

ـس والمفروض من صومك

أقـلــت الــحـق في النســ

ـبة أم تحلم في نومك؟!

وتنويهه ببلوغ النفس التراقي، بقوله:

معذب القلـب بالفراق

قد بلغت نفسه التراقي

.. وجنباً إلى جنـب هذه المفردات والجمل القرآنيـة، وشبه القرآنية التي أحسنوا توظيفها، تعبيراً عما يختلج في صدورهم من مشاعر، وأحاسيس، تواكـب مواقفهم المتباينة – نطالع، بين حين وآخر، مدى ولعهم بالأمثال، والمأثورات، ذات الأصول الدينية: القرآنية، والنبوية.. ومن ذلك ما نلحظه في تضمين مصعب الكاتب قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم: (الحرب خدعـة) وهو القول الموجـز البليغ، الذي يحمل مغزى المثـل الشعبي[1].. بقوله[2]:

صار على الناس بعد عزته

مثل (قعيس بباب عمته)

وقوله:

تشـبهت بالزهاد والحـرب خدعة

وراءيـت بالتسـبيح والكـف تعقد

وقوله:

قد كنت في النسك قبل اليوم منغمساً

يشوب حبي لهم سمت ابن سيرين

---

(1) قاموس الأمثال العربية التراثية، 223، ومصادره..

(2) ديوان المصابين، 312، 316 – 317 – 321، 326، 333.

.. ومثـل مصعـب، في هذا الشـأن، كمثل خالد الكاتـب الذي يطالعنا بالإشـارات ذات المغـزي الشعبـي المأثور إلى كل من (ضـلال الضب)[1]، و(سحرهاروت)[2]، و(طوق الحمامة)[3]، و(ذنب أبي لهب)[4].. ونحوه، بقوله[5]:

هبني أسـأت وكـان ذنـ
ـبي مثل ذنب أبي لهب
فأنا أتـوب كما أسـأ
ت وكم أسـأت ولـم تتب

وقوله:

سـتبقى بقاء الضب في اليم أو كما
يعيـش لـدى ديمومة الـبر حوتها
فلـو كان مابـي بالصخـور لهدها
وبالريح ما هبـت وطال خفوتها

وقوله:

أبـا عـلي لقـد طوقتنـي مننـاً
طـوق الحمامة لا يبـلى على القدم

---

(1) قاموس الأمثال العربية التراثية، 66، ومصادره..
(2) ثمار القلوب، 233234 .
(3) ثمار القلوب، 465
(4) قاموس الأمثال العربية التراثية، 21، ومصادره..
(5) شعراء منسيون، 115، 116، 118، 196..

.. وفي الاتجـاه نفسه ينشد أبو حية النميري أبياتاً مدحية في بني العباس، مضمناً إياها تعبيراً مثلياً، بقوله[1]:

وأصبحـت كلهـاة الليـث في فمـه

ومـن يحـاول شـيئاً في فم الأسـد

.. ومواكبـة لهـذا التشكيل الفنـي وسابقيه -نلاحظ مـدى استعانتهم بالألفـاظ والتعبـيرات ذات الارتبـاط القـوي بمنتديـات الأدب، ومجالس العلمـاء، والنقاد، وغيرهم، وفي مقدمتهـا: (الآداب، والإبانة، والإشارة، وبحور الشعر، والبديـع والبيان، والتشبيه، والدراسة، والسؤال، والشعر، والصفات، وطلب العلم، والمقال، والنسب...)، ونحوها[2].

إضافـة إلى ميلهم إلى الاستعانة بـأدوات (المعجم السمعي) من المفردات ذات الـدلالات الصوتية المتباينة، كالغراب صياحه، ونداثه، والحمام نوحه وشجـوه، ومساقطة الحديـث، سره وجهره، ونمه، والدعـاء، والاستماع، والشجو، والغناء، وأصوات المثالث والمثاني، والقهقهة، وغيرها مما يتضمنه قول أبي حية[3]:

ألا يا غراب البين فيم تصيح

فصوتك مشنوء إلى قبيح؟!

وقوله:

---

(1) قاموس الأمثال العربية التراثية، 96، ومصادره.. وينظر شعر أبي حية، النص (11)

(2) ديوان المصابين، ص1516، 35، 64، 119، 152، 214، 215، 220، 223، 225... وغيرها..

(3) شعر أبي حية، النصوص: (10، 24، 28، 38، 44..)

يهيج لي نوح الحمام صبابة

ونوح مرنات شجتها الجنائز

وقوله:

غراب ينادي يوم لا القلب عقله

صحيح ولا الشعب الذي انصاع ملتقى

وقوله:

إذا هن ساقطن الأحاديث للفتى

سقاط حصى المرجان من سلك ناظم

وقوله:

فوالله لا أنساك زينب ما دعت

مطوقة شجواً على غصن

وقول أبي الشيص[1]:

إذا رفعت بنو الأنساب صوتاً

أعادوا الجهر بالأنساب سرا

(1) ديوان المصابين، 211.

وقول مصعب[1]:

بكل فتى يميل إلى الملاهي

وأصوات المثالث والمثاني

وأطيار إذا غنتك أغنت

عن ابن المارقي وعن بنان

تجاوبها إذا ناحت بشجو

بقهقهة القواقز والقنان

وقول خالد[2]:

كيف نم العذول أن خنت عهدا

لم أجد من تحملي فيك بدا

وقوله:

أحادث نفساً ترتقي كل ساعة

فأحبسها بين الترائب والنحر

وقوله:

ما تصل الألسن في الـ

ـوصف إلى أكثره

---

(1) ديوان المصابين، 330.

(2) شعراء منسيون، 125، 144، 146، 182..

وقوله:

والله ما نمت بسري عبرتي

إلا وقد ذهب العزاء فبانا

أدعو الحبيب فليس يسمع دعوتي

فأرده فيزيدني هجرانا

.. وإثراء لحيوية صورهم الشعرية المختلفة، وتقوية لآثارها المرجوة في متلقيهم -نراهم يلجأون إلى الاستعانة بالألوان، وما يوحي بها من مفردات، تأتي صراحة، أو ضمناً، تعبيراً عن إحساس ما، يختلج بصدر صاحبه، أو شعور يمور بجوانحه.. ومن أكثر الألوان تواتراً في أنحاء متفرقة من صورهم: اللون الأبيض، مزاوجة مع الأسود، أو الأحمر، وغيره، ومن أمثلة ذلك ما نطالعه في إنشادنا قول خالد[1]:

ليتها أخطأت مكان السواد

وأصابت مكان غير السواد

وقوله:

إذا ما بدا وجهه في الظلا

م عاد به للعيون النهار

(1) شعراء منسيون، 128، 134، 143، 147.

وقوله:

إلفان يكتحلان بالسهر

بليا من الرقباء بالحذر

وقوله:

طلعت حين بدا بدر الدجى

فيراها الناس شمساً وقمر

وقوله:

والليل وقف علينا ما يفارقنا

كأنما كل وقت منه أوله

وقوله أبي حية[1]:

حوراء تسحب من قيام فرعها

فتغيب فيه وهو جثل أسحم

فكأنها فيه نهار مشرق

وكأنه ليل عليها مظلم

وقوله:

غراب كان أسود حالكياً

ألا سقيا لذلك من غراب!!

(1) شعر أبي حية، النصوص: (4، 7، 18، 29، 38)..

وقوله:

ليالي رأسي غـراب غداف
فطيره الشيب عني فطارا

وقوله:

وبدريـن بالـداري كل عشـيـة
وحـم المـداوي كل أسـحم فاحـم

جنباً إلى جنب قوله[1]:

لبسـن الموشي العصب ثم خطت به
لطـاف الخطـى بدن عظـام المآكم

وقول خالد[2]:

أمـا ونسـيم الياسـمين منضـداً
على وجنـة فيها الشـقائق والورد

وقوله:

يضاحك عطف صدغيه الـ
بيـاض عـلى تـورده

وقوله:

دل على شمس الضحى نوره
ودلت الشمس على الظل

---

(1) شعر أبي حية، النص: (38)
(2) شعراء منسيون، 122، 128، 174..

.. أمـا اللـون الأحمر فقد استعملـه هذان الشاعـران، وغيرهما بكثرة، منفرداً، أو متداخلاً في غيره من الألوان كالاصفرار، والخضرة، ونحوها.. مشيرين إليه بلون الدم، أحيانـاً، والتورد، والتفاح، والحور، أو التقرح، أو الوهج، أحياناً أخرى، كما نلحظ في قراءتنا قول أحمد ابن عبدالسلام[1]:

أبكـي عليـك وما أنفك مـن حـرق

يـا لابسـاً حسـناً للقلـب فتانـا

تفـاح خـدك محمـر عـلى يقـق

ترعـى العيـون بـه دراً ومرجانـا

وقول خالد[2]:

كبد شفها غليـل التصـابي

بين عتب وسخطة وعذاب

كل يوم تدمي بجرح من الشـو

ق ونوع مجـدد من عذاب

وضياء الحجـاب في سالفات

باحمرار النعيم مختضبـات

---

(1) ديوان المصابين، 5.

(2) شعراء منسيون، 112، 118، 126.. وينظر أمثال هذه (الصور اللونية) بالمصدر نفسه، ص 120، 129، 132، 134..

وقوله:

أيـن مـا كنـت مـن تـورد خديـــ

ـك مصوناً عـــن أعين لا حظات؟!

وقوله:

رخـي الطرف مـن وسـن الرقــاد

قريـح الجفـن مـن ألـم السـهاد

وقوله:

عـلى أن قلبي ينشـف الدمـع حره

وأين بقايـا الدمع في وهـج الجمر

.. ونلاحـظ -في تأملنا بجوانب هذه الصـور السمعية واللونية- مدى استفـادة أصحابها من دلالات كل مـن المسموع، والمرئي، جنباً إلى جنب (الحركة)، و(الفعل)، و(رد الفعل) المنبعث من كل من التهييج، والانصياع، وسقـاط الحصـي، والرفـع والإعـادة، والميـل، والتجـاوب، والمحادثة، والوصف، والدعاء، والخطأ، والصواب، والظهور، والعودة، والاكتحال، والابتـلاء، والطلـوع، والاستتـار، والتنضيـد، والمضاحكـة، والتصون، والاستـدلال، والسحـب، والتغييـب، والتطهير، واللباس.. ونحوه، مما تطالعنا دلالاته المتوالية على صفحات صورهم الشعرية المشار إليها..

كمـا يثـير انتباهنا خلطهم بـين مكونات بعض هذه الصـور الشعرية، الحركيـة، واللونيـة، والسمعيـة، والإيحائية، التشخيصيـة المختلفة، وبين بعض مكونات الروائح، والمشمومـات، وبعض المأكولات والمطعومات،

والمشروبات، مما نلحظ أمثلته في مطالعتنا قول أبي حية[1]:

حديــث -إذا لم تخش عينــاً- كأنه

إذا ســاقطته الشــهد بل هو أطيب

وقوله:

حيــاء وبقيــا أن تشــبــع نميمــة

بنــا وبكـــم إلا ابتـــلاع العلاقــم

رمين فاقصــدن القلــوب ولن تري

دمــاً مائــراً إلا جـــوى في الحيــازم

وقوله:

إذا ربــدة مــن حيــث مــا نفحت به

أتــاه بريــاهــا خليــل يوصلــه

وقوله:

ولمــا أبــت إلا التـــواءً بودهـــا

وتكديرهـا الشرب الذي كان صافيا

.. جنباً إلى جنب قول خالد[2]:

جرعتني غصص العتــاب

وجزت بي حـــد التصابي

---

(1) شعر أبي حية، النصوص: (4، 28، 50، 52).

(2) شعراء منسيون، 112، 116، 125، 139، 149.

وقوله:

أنت قوتي فما يضرك لو كا

ن لمن أنت قوته منك قوت؟!

وقوله:

عين هذا مما رأيت فذوقي

واصبري للذي جنيت فبعدا

وقوله:

خيال من المسك والعنبـر

سبانـــي بطرف له أحور

وقوله:

عشـية حيائـــي بــورد كأنـــه

خــدود أضيفت بعضهــن إلى بعض

وناولنـــي كأسـاً كأن رضابهـــا

دموعي لمــا صد عن مقلتي غمضي

وتكشف هـذه الصور الشعرية وسابقاتها عن مـدى نجاح أصحابها في تشكيلها اعتمـاداً على ما أسلفنا الإشارة إليه مـن عناصر اللون، والحركة، والمسموع، والمرئـي، والمطعوم، والمشروب، والمشمـوم.. وارتكازاً على ما نلحظـه من (بناء استعاري)، و(كنائي) كان لـه الآثار الفعالة في تعضيد رغبات أصحابها في البوح بجانب، أو آخر، من مشاعرهم، وأحاسيسهم

التي تواكب مواقفهم الاجتماعية والنفسية، والفنية المتباينة، وخاصة ما نلحظه في تأملنا بكل من (تطويق المنن، وغراب البين، ومحادثة النفس، ونم العبرات، وعودة النهار، ووقف الليل، ومضاحكة العطف، ولباس القلوب، وقصدها، وتفاح الخدود، واحمرار النعيم، وتكدير الشرب، وغصص العتاب، وتذوق العين، وسرقتها، وصبرها، وبقاء الضب، وديمومة البر، وتهدم الصخر، ولهاة الليث، وشجو الجنائز، وانصداع الشعاب، والاكتحال بالسهر، والتغيب في الشعر،...) وغيره مما نطالع أمثلته في قراءتنا كلاً من قول عبدالله بن أبي الشيص[1]:

لعمرك ما سررت بسر من را

ولكني عدمت بها السرورا

رأيت بها القصور مشيدات

على قوم يشينون القصورا

إذا قيل: (البسوا) لبسوا المخازي

....

وقوله:

أكرم بملحود يداني إلى

وجهك يا ابن الكرم المحص!!

---

(1) ديوان المصابين، 212 – 213، 214.

.. وإضافة إلى هاتين الصورتين الاستعاريتين/ الكنائيتين المتباينتين، يطالعنا خالد الكاتب بعشرات الصور الشعرية المرتكزة على أسس راسخة من الاستعارة، والكناية.. ومنها قوله[1]:

كتبت إليك بماء الجفون

وقلبي بماء الهوى مشرب

فكفي تخط وقلبي يمل

وعيناي تمحو الذي أكتب

وقوله:

ألبسته السقم حتى مل عائده

يا سالم القلب من شوق يكابده

وقوله:

غداً أيها القلب ما تصنع

أتصبر للبين أم تجزع؟!

ومواكبة لشعراء عصرهم يعزف الشعراء الموسوسون في تشكيلهم صورهم الشعرية على وتر (الإشارة) التي نراها بإيحاءاتها، ودلالاتها الفنية على لسان جعيفران الذي شكل إحدى صوره الشعرية لمحبوبته التي ودعته مفارقة، مستوحياً من الإشارة الجسمية، والإيماءات بالعيون، وحياً، بوصفها عناصر فنية فعالة، تعضد جوانب من أدواته التشكيلية الأخرى،

(1) شعراء منسيون، 109، 121، 152..

وتجسد براعة بعض المحبين، والعشاق في التغطية على محاولات الوشاة، والعذال الدءوب؛ للتفريق بينهم، وبين محبوباتهم، واستنطاق بعض أجزاء الجسم؛ للتعبير عما يدور بمخيلته، وما يختلج في صدره، ناجحاً في إبراز عناصر الحركة المصاحبة، واللون، لون الخضاب، والعينين، وغيرهما، والتوتر الكامن فيهما، وذلك بتعريجه على كل من الجمل الفعلية المعتمدة على الأفعال الماضية، كناية عن إحساسه المرور، بمضي أيام نشوته، ولذاذته، وذهابها أدراج الرياح، وخاصة فيما نطالعه من متابعة كل من قوله: (أبدت، تولت، وخافت، وودعت، وهمت، وما نطقت، ونطقت، وأومأت، وختلت..) وما ينبجس من كل منها من دلالات مختلفة، تجسد حالته النفسية إضافة إلى إشارته الموحية إلى الأطراف المخضبة، واستشعار أوار الخوف وحرقة البين، ووحي العينين، وختل الرقيبين، بقوله[1]:

أبدت على البين أطرافاً مخضبة

لما تولت وخافت حرقة البين

وودعتني وما همت وما نطقت

وإنما نطقت وحياً بعينين

بلى فلو أومأت نحوي بإصبعها

إيماءة ختلت عنها الرقيبين؟!!

---

(1) شعر جعفر، 122.

وفي موضـع آخـر من شعره -نـراه يبني بعضـ صور الشعريـة اعتماداً علـى (المقابلة) التي تظهر المعنى، وتجسـد الأحاسيس، وتبرز دلالاتها أمام المستمعين والقراء، قائلاً:

يموت هـذا الـذي تـراه
وكـل شيء لـه نفاد
لـو كـان شيء لـه خلود
خلد ذا المفضل الجواد!!

فهو يقابل بـين الموت والخلود، متمنياً لو أتيـح لممدوحه أن يخلد، على عكس ما يراه من الأشياء المحيطة به، مما يصيبها النفاد، معرجاً على المرادفة بين كل من الموت والنفاد، من جهة ثانية، والأسلوبين الخبري والإنشائي في كل من البيتين، على حدة، من جهة أخرى.

أمـا ماني فقد وصف معلماً من معالم محبوبته، التي تيمت فؤاده، وخلبت لبـه، وقد بلغت من الترف والنعيم، والبذخ مبلغـاً عظيماً، أدى به إلى عقد لسانه، وكفـه عن الكلام المتعارف عليه باللسان، إلى كلام آخر يباينه، كما وكيفـاً، مما يأتي وحيـاً وإيماءً بحركات جسمه، وإشـارات أعضاء جسده، وفي مقدمتها جفنا عينيه عينيها، الواهنين الساحرتين، بقوله[1]:

ومترف عـقد النعيـم لسانه
فكلامـه وحـي بإيماء

(1) شعر محمد، 159.

وكأنما نهكت قوى أجفانه

بالراح أو شيبت بإغفاء

وشـكل صورة شعرية أخرى، نزع فيها إلى الكشف الشعري عن جانب مـن إفضائهما (هو ومحبوبته) بطرفيهمـا، ومناغاتها بعضهما إلى بعض في سرعة متواترة، وتنازع واقتصاص، متبادلين، وشكوى، وضراعة، ومعاناة، ولوعة، وجوى، ومرارة قائلاً[1]:

دعا طرفـه طرفي فأقبـل مسرعـا

وأثر فـي خديـه فاقتص من قلبي

شـكوت إليـه ما لقيت مـن الهوى

فقال: على رسل؛ فمت, فما ذنبي؟!

ويبدو في تشكيله صورة ثالثة وقد ذاب في الطبيعة من حوله ذوباناً؛ فجمع بـين (الذات) و(الآخر)، في آن، دون إحساسنا بوجود هوة، أو مساحة من فراغ بينهما، وذلك بوصفه إحـدى السحب السود، مبيناً أثرها في نفسه، وقد عانت ويلات تغير محبوبته/ محبوبه، وصدودها/ صدوده، عنه، بقوله[2]:

لا تظـن الـذي جرى

مطـراً كـان ممطـرا

إنـمـا ذاك كلـه

دمـع عيني تحـدرا

---

(1) شعر محمد، 171.

(2) شعر محمد، 164.

وتـــوالـــت غـيـومـهـا
مــن هــمـومـــي تفكرا
هــكــذا حـــال مــن يـرى
مـــــن حــبـيــب تـغــيرا

.. وفي صـــورة رابعـــة نراه يتخذ مـــن (السرد القصصـــي) المكثف بمبادئه المتعـــارف عليها في عصره، إطاراً فنياً ومـــادة تشكيلية، يعبر بها عن أحواله المتباينة، عاشقاً، وقد جاءه كتاب، ذات يوم من أحد أعزائه/ عزيزاته، تخبره فيه أنها مشوقـــة لوصاله، وتواقة لقربه؛ مما أشعره بفيضان عميق من الغبطة والســرور، عجز عن إخفاء مظاهرهما عـــن أنظار المحيطين به، ممن دفعتهم غيرتهـــم منه، وحسدهم إياه إلى استلاب هـــذا الكتاب منه، خلسة، منغصاً عليه لحظات صفوه، وهنائه قائلاً[1]:

وعــاشـــق جـــاءه كتاب
فـــزال عنه بـــه العذاب
وقال: قد خصنـــي حبيبـــي
بنعمـــة ما لهـــا ثــواب
فحق لـــي أن أتيه تيهاً
يقصر عن وصفه الخطاب
حتى رمتــه بصرف دهــر

(1) شعر محمد، 173.

عيـون حســاده الصلاب

فاستل منه الكتاب واش

بحيـلة شأنها عجاب

فليس يهنيه طيب عيش

ولا طعــام ولا شــراب

وفي موضع آخر من شعره نراه يتسامى إلى تشكيل إحدى الصور الشعرية الكلية، أو شبه الكلية، الممتدة، لمحبوبته، جمع في أجزائها بين شتي (العناصر المرئيــة، واللونية، والسمعية، والحركية، والمادية والمعنوية)، التي تمتد آفاقها أرضاً، وجواً، وبحراً، وفكراً، وتخيلاً، وحساً، قائلاً[1]:

وكيف صبر النفس عن غــادة

تظلمها إن قلت: طاووسة

وجرت إن شبهتها بانــة

في جنة الفردوس مغروسة

وغير عدل إن عدلنــا بــها

جوهرة في البحر مغموسة

جلــت عن الوصف فما فكرة

تلحقها بالنعت محسوسة

(1) طبقات الشعراء، 385

.. وتبين لنا هذه الصورة وسابقاتها -إلى أي مدى نجح أصحابها في بناء لغة شعرهم، وصوره، بناءً فنياً يواكب روح عصرهم، وما درج عليه أبناؤه من تشكيل الصور الشعرية على أسس راسخة من الموهبة الفنية، والذوق الأدبي الموروث، والثقافة الدينية، وما يتصل بها من عناصر فكرية، واجتماعية.. وغيرها..

وبعد..

فقد حاولت، في الصفحات السابقة، قدر جهدي، دراسة شعر هؤلاء الشعراء، ملاحظاً في ختامها، أنهم، في مضامين شعرهم، قد تأثروا بجانب، أو آخر، مما عانوا منه، أو نسبوا إليه من وسوسة، مضطرين، أو مختارين لسبب، أو آخر، الاكتفاء، في أكثر ما وصل إلينا من شعرهم بالإنشاد الشعري أبياتاً، ونتفاً، ومقطوعات، وقصائد قصيرة.. موفرين لها، قدر طاقاتهم، من (الايقاعية) التي واكبت روح عصرهم، أوزاناً وقوافي، ومماثلة صوتية، ونحوها من روافد الموسيقى الداخلية، التي تجاوزت حدود الأوزان والقوافي إلى غيرها من أدوات التشكيل الصوتي، والايقاعي التي عزف على أوتارها معاصروهم..

وفي بنائهم للغتهم وصورهم الشعرية لاحظت أنهم، بالقدر الذي تأثروا فيـه، سلباً[1]، وإيجاباً، بعلتهم، ومـا واكبها من أعراض المرض/ الوسوسة،

---

(1) يمكننا النظر إلى بعض ما تردد على صفحات أشعار بعضهم من مفردات، أو جمل غير مبنية البناء اللغوي السائد في عصرهم بوصفها أثراً سلبياً متعدد الاتجاهات، وتعبيراً عن المعاناة، أو العجز، أو عدم الاكتراث بالأعراف اللغوية، وغيرها مما نجد بعض دلائله بجنوح بعضهم إلى استعمال (نون الوقاية)، بعد (الفعل المضارع) المختوم بالنون، بعد واو الجماعة، مما نطالعه في قول جعيفران، أو صياح الموسوس:

رأيت الناس يدعوني   بمجنون على عمد

وقوله:

رأيت الناس يرموني   أحياناً بوسواس
ولو كنت أخا مال   أتوني بين جلاسي
يحيوني ويحبوني   علي العينين والراس
ويدعوني عزيزا غي   ر أن الفقر إفلاسي

(شعر جعفر، 98، 104، والفاضل، 256 – 257).

ومثل هذا الحذف الاضطراري؛ لمراعاة صحة الوزن مما نلحظه في قراءتنا قول جعيفران (شعره، 131):

سوف أهجوك إن بقيت بشعر   ليس إن قوموه فلسين يسو

فقد حذف (الألف) من (الفعل المضارع): (يساوي) وقلب ضمة ياء المضارعة كسرة، مراعاة لصحة الوزن وتنزولاً بلغته إلى أدنى درجات الشعبية، في عصره.

وسار على عكس ذلك في موضع آخر من شعره، مضطراً إلى إقامة صحة الوزن، بقراءة بعض الأفعال المسندة إلى تاء الفاعلة وهاء المفعولية: في: (ولدتِه) و(خريتِه) و(أكلتِه)، مزيدة ياءً بين التاء والهاء المشار إليها بهذا الصدد، بقوله:

أم سعيد لم ولدتيه   ملوثا بالكبر والتيه!!
ليتك إذا جئت به هكذا   حين خريتيه أكلتيه!!

(شعره، 128)

ومما لاحظته، في قراءتي أشعارهم، ميل بعضهم، تأثراً بالعامة، أو غيرها، إلى التخفيف في نطق بعض المفردات، مسايرة للوزن، كما نلحظ في قراءتنا كلا من قول سعدون مخففاً همزة (القرآن):

تاليا للقران يتلو المعاصي   اسمه في السماء: عبد مرائي

وقول عبدالله بن أبي الشيص مخففاً (رأى):

لعمرك ما سررت بسر من را   ولكني عدمت بها السرورا

قوله:

لعن الله سر من را بلاداً   ورماها بالقحط والطاعون!!

وقوله بهلول، مخففا (المرآة):

أضمر أن يأخذ المراة لكي   ينظر تمثاله فأدناها

وقوله، مخففا (تبرا)، و(الصحرا) ومائلاً إلى اختيار بعض المفردات الدارجة مثل (تخري)، كما فعل جعيفران من قبل:

كم تمرض وكم تبرا   وكم تأكل وكم تخري
وكم تنقل من بطني   بمن بطني إلى الصحرا!

ومثله أبو حية الذي استعمل الفعل (باض) مع (الشيب (قائلا: (شعره، النص رقم(34):

وصد الغانيات البيض عني   وما إن كان ذلك عن تقالي
رأين الشيب باض على لداتي   وأفسد ما على من الجمال

أما عبدالله بن أبي الشيص فقد اضطر إلى حذف (الألف) من الفعل (سأل) بقوله:

لسلك بحق الراح والرشا الذي   له في الحواشي طرفه أبدا سحر

ولا استبعد تأثر بهلول بجانب، أو آخر من ذلك في اضطراره إلى تكرار لفظ الجلالة (الله) ثلاث مرات في قوله:

توكلت على الله   وما أرجو سوى الله
وما الرزق من الناس   بل الرزق من الله

(ديوان المضابين، 130، 212، 224، 38، 209، 37..)، وغيرها..

والجنون، بقدر ما استفاد بعضهم، بقصد، أو بغير قصد، من عملهم بدواوين الكتابة والإنشاء، وجنح بعضهم الآخر إلى آفاق ظليلة حانية من التصوف والزهد، وما نتج عنها -جميعاً- من أبنية لغوية وتشكيلية، عبرت عن مدى وعيهم الفني المتنامي بروح عصرهم، فجاءوا إلى الشعر، وقد (مروا على رؤوسهم ورسمهم المعهود قبل أن يوسوسوا)، على حد قول ابن المعتز[1] الذي أشرنا إلى فحواه في صدر هذه الدراسة..

وتبقى فرص تأكيد صحة هذه النتائج، أو نفيها، أو تعديل جانب منها مرهونة بالوقوف على صفحات مطوية أخرى من أشعار هؤلاء الشعراء، أو معاودة النظر إليها بمنهج آخر أو رؤية أخرى مغايرة.. وذلك ما نرجوه في الأيام المقبلة، بعون الله، وفضله،

وآخر دعوانا: أن الحمد لله رب العالمين..

---

(1) طبقات الشعراء، 384385..

مصادر البحث ومراجعه

الكتب:

- المصحف الشريف (مصحف المدينة النبوية)، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 2001م.
- إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت 505هـ)، دار الغد العربي، القاهرة، بدون تاريخ: (د. ت)
- أخبار أبي تمام: أبو بكر محمد بن يحيى الصولي (ت 335هـ)، حققه / خليل عساكر وزميلاه، م. التجاري للطباعة، بيروت، د. ت.
- اصطلاحات الصوفية: عبدالرزاق بن أبي الفضائل الكاشاني (ت 730هـ)، حققه / د.عبدالخالق محمود، دار المعارف بمصر، 1984م.
- الأعلام: خير الدين الزركلي (ت 1976م)، دار العلم للملايين، بيروت، ط 13، 1998م.
- الأغاني: أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (ت 356هـ)، مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية، والهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992م.
- إلى روح الأستاذ الدكتور مصطفي مندور في ذكرى رحيله: إشراف قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة المنيا، دار التيسير للطباعة والنشر، المنيا، 2006م.
- أنس المسجون وراحة المحزون: صفي الدين علي بن البحتري الحلبي (ت بعد 625هـ)، تحقيق / محمد أديب الجادر، دار النشائر، دمشق، 1997م.
- البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت 754هـ)، دار الفكر، بيروت، 1992م.
- بلاغة الإمام موسي الكاظم: أبو جعفر الكعبي، دار الصفوة، ودار الهادي، بيروت، 2004م.
- البيان والتبيين أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255هـ)، تحقيق وشرح / عبدالسلام هارون، م. الخانجي، القاهرة، ط 5، 1985م.
- تاريخ التراث العربي: د. محمد فؤاد سزكين،، نقله إلى العربية / د. عرفة مصطفي، م. جامعة الإمام بن سعود الإسلامية، الرياض، 1983م.
- تاريخ العباسيين: حسين بن محمد ابن وادران (ت بعد 1172هـ) تقديم وتحقيق / د. المنجي الكعبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993.
- تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت463هـ)، م. السلفية، المدينة المنورة، د.ت.
- تجريد الأغاني: محمد بن سالم بن نصر الله ابن واصل الحموي (ت 697هـ)، تحقيق / طه حسين وإبراهيم الإبياري، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 1997م.
- التذكرة الحمدونية: محمد بن الحسن بن محمد بن حمدون (ت 562هـ)، تحقيق / د. إحسان عباس، م. معهد الإنماء العربي، بيروت، 1983م.
- التفسير القيم: ابن القيم الجوزية، جمعه / محمد أويس، وحققه / محمد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978.

- التفسير الكبير: فخر الدين بن ضياء الدين محمد الرازي (ت 604هـ)، دار الفكر، بيروت، 1981م.
- تفسير مجاهد (أبي الحجاج، ت 104هـ)، قدمه وحققه / عبدالرحمن السورتي، م. المنشورات العلمية، بيروت، د. ت.
- تلخيص البيان في مجازات القرآن: أبو الحسن الشريف محمد بن الحسين الرضي (ت 406هـ)، تحقيق / د. علي مقلد، دار مكتبة الحياة بيروت، 1986م.
- التيسير في علوم القرآن: عبدالعزيز بن أحمد الدميري الديريني (ت 694هـ)، القاهرة، 1893م.
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: أبو منصور عبدالملك بن محمد الثعالبي (ت 42هـ)، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، 1985م.
- ثمرات الأوراق: أبو بكر تقي الدين ابن حجة الحموي (ت 837هـ)، صححه، وعلق عليه / محمد أبو الفضل إبراهيم، م. الخانجي، القاهرة، 1971م.
- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (ت 671هـ)، مراجعة / صديقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1994م.
- حدائق الأزاهر في مستحسن الأجوبة والمضحكات والحكم والأمثال والحكايات والنوادر: أبو بكر محمد بن محمد ابن عاصم الأندلسي (ت 829هـ)، تحقيق / د. عفيف عبدالرحمن، دار المسيرة، بيروت، 1981م.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني (ت 430هـ)،م. الخانجي، القاهرة، ودار الفكر، بيروت، 1996م.
- خزانة الأدب وغاية الأرب: ابن حجة الحموي، شرح / عاصم شعيتو، دار الهلال، بيروت، 1987م.
- الدر المنثور في التفسير المأثور: جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت 911هـ)، دار الفكر، بيروت، 1983م.
- الديارات: أبو الحسن علي بن محمد الشابشتي (ت 388هـ)، تحقيق / كوركيس عواد، دار الرائد العربي، بيروت، ط3، 1986م.
- ديوان ابن الرومي (أبي الحسن علي بن العباس، ت 284هـ)، تحقيق / د. حسين نصار، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1976م.
- ديوان الأدب: أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي (ت 350هـ)، ترتيب وتحقيق / عادل عبدالجبار الشاطي، م. لبنان ناشرون، بيروت، 2003م.
- ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس، ت 7 .هـ)، شرح وتعليق / د. محمد محمد حسين، المكتب الشرقي للنشر والتوزيع بيروت، د. ت.
- ديوان الفضل بن العباس اللهبي (ت 1 .هـ)، صنعه وحققه / مهدي عبدالحسين النجم، دار المواهب، بيروت، 1999م.
- ديوان رؤبة بن العجاج التميمي (ت 145هـ)، اعتنى بتصحيحه وترتيبه / وليم بن الورد البروسي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980م.
- ديوان محيي الدين ابن عربي (أبي عبدالله محمد بن علي، ت 638هـ)، شرح وتقديم / نواف الجراح، دار صادر، بيروت، ط 2، 2003م.

- ديوان المصابين (شعر الموصوفين بالمجانين والموسوسين في العصر العباسي): عبدالمجيد الإسداوي، مكتبة عرفات، الزقازيق، 2002م.
- ذخيرة علوم النفس: د. كمال دسوقي، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة..
- ذم الموسوسين والتحذير من الوسوسة: أبو محمد موفق الدين عبدالله بن أحمد الجماعيلي (ت620هـ)، إعداد / أحمد حسن جابر، هدية مجلة (الأزهر)، القاهرة، ذو القعدة 1404هـ.
- رائق الشهد من شعر الدعوة والرقائق والزهد: سيد بن حسين العفاني،م. معاذ بن جبل، بني سويف، 2000م.
- سمط اللآلي شرح أمالي القالي: أبو عبيد الله بن عبدالعزيز البكري الأونبي (ت 487 هـ9، تحقيق / عبدالعزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت، (مصورة عن ط. لجنة التأليف، بالقاهرة).
- سنن ابن ماجه (محمد بن يزيد، ت 275هـ)، تصحيح / محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د. ت
- سنن أبي داود (سليمان بن الأشعث، ت 275هـ)، دار الحديث، بيروت، 1969م.
- سنن النسائي (أبي عبدالرحمن بن شعيب، ت 303هـ)، بشرح السيوطي، عناية / عبدالفتاح أبو غدة،م. المطبوعات الإسلامية، حلب، 1994م.
- شرح مقامات الحريري: أحمد بن عبدالمؤمن الشريشي (ت 620هـ)، تحقيق / محمد أبو الفضل إبرهيم،م. العربية الحديثة، القاهرة، 1969م.
- شعر آل أبي أمية الكاتب مضامينه وخصائصه الفنية: عبدالمجيد الإسداوي، دار حراء، المنيا، 1995م.
- شعر أبي حية النميري، جمع وتحقيق / رحيم ضخي التويلي، مجلة (المورد)، العراق، جـ4 / 4 / ربيع 1395 هـ / 1975م.
- شعر أحمد بن يوسف الكاتب: عبدالمجيد الإسداوي، دار التيسير، المنيا، 2003م.
- الشعر العباسي تجلياته وبناؤه التشكيلي: عبدالمجيد الإسداوي، مكتبة عرفات، الزقازيق، 2002م.
- الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والموضوعية: د. عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1978م.
- شعر جعفر بن علي الأنباري الشهير بجعيفران الموسوس: عبدالمجيد الإسداوي، دار التيسير، المنيا، 2003م.
- شعر محمد بن القاسم المصري الشهير بماني الموسوس: عبدالمجيد الإسداوي، دار التيسير، المنيا، 2003م.
- الشعر والشعراء: أبو محمد عبدالله بن مسلم القتبي (276هـ) تحقيق / أحمد شاكر، دار المعارف بمصر، ط 3، 1977م.
- شعراء الصوفية المجهولون: د. يوسف زيدان، (كتاب اليوم)، م. أخبار اليوم، القاهرة، العدد (319)، مارس، 1991م.
- الشعراء الكتاب في العراق في القرن الثالث الهجري: حسين صبيح العلاق، م. الأعلمي، بيروت،م. التربية، بغداد، 1975م.
- شعراء بغداد منذ تأسيسها حتى اليوم: علي الخاقاني، م. أسعد، بغداد، 1962م.

- الشعراء وإنشاد الشعر: علي الجندي، دار المعارف بمصر، 1969م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت 393هـ)، تحقيق / أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، ط 3، 1984م.
- الصحة النفسية والعلاج النفسي: د. حامد زهران، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1978م.
- الطب النفسي: د. عماد الدين سلطان، دار النهضة العربية، القاهرة، 1980.
- الطب النفسي المعاصر: د. أحمد عكاشة، م. الأنجلو المصرية، القاهرة، 1998م.
- طبقات الشعراء: عبدالله بن المعتز العباسي (ت 396هـ)، تحقيق / عبدالستار فراج، دار المعارف بمصر، ط 4، 1981م.
- طبقات الصوفية: أبو عبدالرحمن محمد بن الحسن السلمي (ت 412هـ)، تحقيق / نور الدين شريبة،م. الخانجي، القاهرة 1969م.
- الطبقات الكبرى (لواقح الأنوار في طبقات الأخيار): أبو المواهب عبدالوهاب بن أحمد الشعراني (ت973هـ)، ضبطه، وصححه / خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.
- العروض وإيقاع الشعر العربي محاولة لإنتاج معرفة علمية: د. سيد البحراوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993م.
- العقد الفريد: أحمد بن محمد ابن عبد ربه الأندلسي (ت 328هـ)، تحقيق / محمد سعيد العريان،م. الرياض الحديثة، الرياض، د. ت.
- عقلاء المجانين: أبو القاسم ابن حبيب النيسابوري (ت 406هـ)، تحقيق / مصطفي عاشور،م. ابن سينا، القاهرة، 1989م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: أبو علي الحسن بن علي ابن / رشيق القيرواني (ت456هـ)، حققه / محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الجيل، بيروت، ط 5، 1981م.
- عيون التواريخ (وفيه من سنة 219250هـ): محمد بن شاكر الكتبي (ت 764هـ)، حققه / د. عفيف نايف حاطوم، دار الثقافة، بيروت، 1996م.
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد القمي النيسابوري (ت 72هـ)، تحقيق / إبراهيم عوض عطوة، م. الحلبي، القاهرة، 1962م.
- غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة: أبو إسحاق جمال الدين محمد الوطواط (ت718هـ)، دار صعب، بيروت، د. ت.
- الفاضل في صفة الأدب الكامل: أبو الطيب محمد بن أحمد بن إسحاق الوشاء (ت 325هـ)، تحقيق / د. يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991م.
- فوات الوفيات: ابن شاكر الكتبي، تحقيق / د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1973م.
- في أدب أحمد بن يوسف الكاتب والشاعر: د. محمد يونس عبدالعال، دار حراء، المنيا، 1986م.
- قاموس الأمثال العربية التراثية: د. عفيف عبدالرحمن، م. لبنان ناشرون، بيروت، 1998م.
- القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت 817هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.

- الكامل في اللغة والأدب: أبو العباس محمد بن يزيد الثمالي المبرد (ت 284هـ)، عارضه بأصوله وعلق عليه / محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ت.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: جار الله محمود الزمخشري (ت 528 هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت.
- الكشكول: بهاء الدين محمد بن حسين العاملي (ت 1031هـ)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983م.
- لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن): علاء الدين علي بن محمد (ت 725هـ)، دار الفكر، بيروت، 1979م.
- لسان العرب: جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور المصري (ت 711هـ)، دار صادر، بيروت، 1997م.
- لطائف الإشارات: أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري (ت 465هـ)، حققه / د. إبراهيم بسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000م.
- لطائف المنن والأخلاق في وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق: أبو المواهب الشعراني، عالم الفكر، القاهرة، ط2، د. ت.
- مبادئ الصحة النفسية: د. محمد عبدالظاهر الطيب، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1994م.
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء: أبو القاسم حسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت501هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1961م.
- المذاكرة في ألقاب الشعراء: أبو المجد أسعد بن إبراهيم النشابي (ت 657هـ)، تحقيق / شاكر العاشور، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1988م.
- المسند: أحمد بن حنبل (ت 241هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، د. ت.
- مصارع العشاق: أبو محمد جعفر بن أحمد ابن السراج (ت 500هـ)، دار صادر، بيروت، 1958م.
- معالم التنزيل (تفسير البغوي، أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء، ت 516هـ)، ط. بهامش (تفسير الخازن)، دار الفكر، بيروت، 1979م.
- معجم السمع والمسموعات: سليمان فياض،م. لبنان ناشرون، بيروت، 2000م.
- معجم الشعراء: أبو عبدالله محمد بن عمران المرزباني (ت 384هـ)، تحقيق / عبدالستار فراج، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2003م.
- معجم الشعراء العباسيين: د. عفيف عبدالرحمن، جرس برس، ودار صادر، بيروت، 2000م.
- المعجم العربي الأساسي (لاروس): المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، جامعة الدول العربية، القاهرة، 1999م.
- معجم ألفاظ القرآن الكريم: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط. المجمع، 1988م.
- معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.
- المعجم الموسوعي في علم النفس: نور بيرسيلامي، ترجمة / وجيه أسعد، وزارة الثقافة، دمشق، 2001م.
- المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفي وزملاؤه، المكتبة الإسلامية، استانبول، د. ت.
- المفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني، تحقيق / صفوان داودي، دار القلم، دمشق، د. ت.

- المنتخب والمختار في النوادر والأشعار: ابن منظور، تحقيق / د. عبدالرزاق حسين، دار عمار، الأردن، وم. الذهبي بالقصيم، 1994م.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: أبو الفرج عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي (ت 597هـ)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، 1937م.
- موسوعة علم النفس والتحليل النفسي: د. عبدالمنعم الحفني،م. مدبولي، القاهرة، 1978م.
- موسوعة علم النفس والتحليل النفسي: د. فرج عبدالقادر طه وزملاؤه، دار سعاد الصباح، القاهرة والكويت، 1994م.
- موسيقى الشعر: د. إبراهيم أنيس،م. الأنجلو المصرية، القاهرة، 1981م.
- الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي،م. الأعلمي، بيروت، ط5، 1983م.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: جمال الدين أبو المحاسن يوسف ابن تغري بردي (ت 874هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.
- نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس: العباس بن علي نور الدين الحسيني الموسوي المكي (ت1180هـ)، م. الحيدرية، النجف، 1967م.
- نسمة السحر بذكر من تشيع وشعر: الشريف ضياء الدين يوسف بن يحيى الصنعاني (ت 1121هـ)، تحقيق / كامل سلمان الجبوري، دار المؤرخ العربي، بيروت، 1999م.
- الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت 764هـ)، عناية / جاكلين شوبله وعلي عمارة، دار النشر فرانز شتاينر، شتوتغارت، 1991م.
- الوزراء والكتاب: أبو عبدالله محمد بن عبدوس الجهشياري (ت 319هـ)، حققه / مصطفى السقا وزميلاه، م. الحلبي القاهرة، ط 2، 1980م.
- الوسوسة الأسباب والآثار والعلاج من المنظور الإسلامي: فؤاد بن سراج عبدالغفار، دار الفضيلة بالرياض، ودار الهدي النبوي بالمنصورة، 2004م.
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر: أبو منصور الثعالبي شرح وتحقيق / د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م.

دوائر المعارف والمجلات:

- دائرة المعارف الإسلامية: بهلول المجنون: ماكدونالد، ترجمة / إبراهيم زكي خورشيد وزميليه، دار الشعب القاهرة، د. ت.
- مجلة (آفاق الثقافة والتراث): العلماء المنسوبون للأنبار: د. خالد المشهداني، مركز جمعة الماجد، دبي، السنة التاسعة، العدد (34) ربيع الآخر 422 هـ / يوليو 2001م.
- مجلة (العربي) الكويتية: أبو حية النميري دون كشوت عربي قبل زميله الإسباني بقرون: عبدالستار الجواري، العدد (24)، تشرين الأول / أكتوبر، 1960م.


الناشيء

تحاول صفحات هذا الكتاب من خلال المنهج الوصفي التحليلي دراسة شعر الموسوسين في العصر العباسي، من حيث مضامينه الشعرية وتشكيله الجمالي.

فنجد شعراء هذا العصر قد تأثروا بجانب أو آخر بما عانوا منه أو نُسبوا إليه من وسوسة، وجنح بعضهم الآخر إلى آفاق ظليلة حانية من التصوف والزهد. وقد اكتفوا بالإنشاد الشعري أبياتاً، ونتفاً، ومقطوعات، وقصائد قصيرة، وفق أبنية لغوية وتشكيلية، عبرت عن مدى وعيهم الفني المتنامي بروح عصرهم. وموفرين لها قدر طاقاتهم من (الإيقاعية) أوزاناً وقوافي، ومماثلة صوتية، ونحوها من روافد الموسيقى الداخلية، التي تجاوزت حدود الأوزان والقوافي إلى غيرها من أدوات التشكيل الصوتي، والإيقاعي التي عزف على أوتارها معاصروهم.